خرافة الإسلاموفوبيا

تأليف :

أ.د. الدراجي زروخي

منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية

خرافة الإسلاموفوبيا

تأليف الدكتور : زروخي الدراجي

هـذا الكتـاب

يعرفنا هذا الكتاب بأهم العوامل التي أدت شيـوع الإسلاموفوبيـا و المتمثلة أساسا في الإعلام الذي ضخم هـذه الظاهرة لدرجة أنهـا أصبحت حتمية فرضت نفسها في عالمنا الراهن. وقد نالت هـذه الظاهرة حيزا كبيرا من الدراسات لدى المفكرين والفلاسفة ورجال الدين والسياسيين من المسلمين ومن غيرهم. وكل منهما حلل هـذه الظاهرة وفق منظوره الخاص، فهنـاك مـن أظهـر العـداء المطلـق للإسـلام ، وفي المقابل نجد من يناقض هذا الطـرح مثل غارودي و ادغار موران وتشومسكي و جون بودريار بالرغم من تأصيلهم الغربي إلا أنهم أعطوا للإسلام وجهـه الحقيقي، وامتـازوا بالموضوعيـة في الطرح، وقد انعكست هذه الظاهرة على الجانب السياسي من خلال العلاقات السياسية الدولية واختلالها فقد مهـدت السياسـة الغربية في كثير من الدول لبروز هذه الظاهرة وتنميتها مـن خلال التبعيـة السياسية للمجتمع العربي، جراء الفساد السياسـي. و نحـاول من خلال هذا الكتاب أن نقف على حقيقـة مصطلـح الإسلاموفوبيـا، ومـن صنعـه، وما هـي الغاية منـه؟

ISBN: 978-9931-687-26-9

جامعة محمد بوضياف -المسيلة

منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية

1442هـ / 2021م

خرافة الإسلاموفوبيا

تأليف

أ.د. الدراجي زروخي

رقم الإيداع القانوني :978-9931-687-26-9

الطبعة الأولى مارس 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.

الآية" 32 " سورة التوبة

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

الآية " 6،5 " سورة الاسراء

مقدمة

مقدمة

نعيش في هذا العالم تحت وطأة الصراع والتنافس الدولي من أجل الريادة والسيطرة، كل يريد أن يحكم الكل، والكل يريد أن يكون سيدا على الكل، والكل يريد أن يحكم هذا العالم، ولا تهم نوعية الوسائل التي تحقق هذا الهدف، واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تنهي الأسطورة الروسية لتحكم قبضتها وتكون دركي العالم، وبتبوؤها لهذه المكانة حاولت بكل الطرق أن تقتل وتنهي كل منافس لها أو من يمكن أن يكون منافسا في القرون القادم، ويبدو جليا أن الولايات المتحدة الامريكية، ومن ورائها الغرب بصفة عامة يدركون جيدا بأن الإسلام بتوسعة اليوم في العالم يمكن أن يكون المنافس القادم .

لذا عملت أمريكا على تشويه هذا الدين، ووصفه بالتخلف والجمود لتنعته في نهاية الأمر بالإرهاب، وكان هذا تمهيدا لظهور مصطلح الإسلاموفوبيا، ويُرجع مؤرخو الحقبة الاستعمارية أول استعمال لمصطلح "الإسلاموفوبيا" -الذي يعني "رُهاب الإسلام" أو الخوف المرضي من الإسلام-إلى بدايات القرن العشرين، فقد استعمل علماء اجتماع فرنسيون هذا المفهوم لوصف رفض جزء من الإداريين الفرنسيين ومعاداتهم للمجتمعات المسلمة، التي كانوا يتولون إدارة شؤونها في زمن الاحتلال، ويُفترض أن يتعايشوا معها ويندمجوا في أنساقها الاجتماعية، نظرا لما تُمليه المهام الإدارية والسياسية المسندة إليهم.

والواقع أنَّ ذلك الرفض وتلك الكراهية مصدرهما عنصري بالدرجة الأولى، ثم ثقافي ونفسي مردُّه إلى الخطاب الاستعماري نفسه الرافض للإسلام والمخوف منه، ومن المسلمين بشكل عام، ومن ريادةِ الحضارة العربية الإسلامية للعالم.

ويرى البعض الآخر من علماء الاجتماع السياسي واللسانيات أن الإسلاموفوبيا ازدهرت كمفهوم مع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، إذ استُخدم هذا المفهوم ورُوج له من قبل مرجعيات دينية شيعية محافظة لفرضِ ارتداءِ الحجاب، فوُصفت الثورة الإيرانية بمعاداة الإسلاموفوبيا، غير أن المتعمق في خلفيات هذه الظاهرة يجد أن لها جذور بدأت مع بداية ازدهار الإسلام، بل ومنذ النشأة الأولى للدين الإسلامي، فمنذ ظهور الإسلام عرف عدة مكائد من اليهود والرومان وغيرهم، واستمر هذا الحال إلى عصرنا هذا.

وحاول الغرب منذ قرون القضاء على العالم العربي والإسلامي ويتضح ذلك جليا من خلال الحروب الصليبية، وما كان لهه من أثر في نشوب فكرة العداء بين المسلمين والمسيحيين، ومع تطور الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية في المجال العلمي والتقني، ساهم هذا في سيطرتها على العالم، وتفردت الو.م.أ بسيادة العالم بعد سلسلة من الحروب، وانقسام العالم إلى معسكرين الشرقي والغربي لتحتل الو.م.أ صدارة العالم، وكانت نقطة التحول على الساحة العالمية بعد الريادة الأمريكية، وهنا تغير نوع الصراع من صراع مسلح إلى صراع فكري إيديولوجي، الغرض منه إقناع الفرد الغربي بأن أمريكا هي القوة العظمى

التي لا يوجد منافس لها، وأن ما دونها يعني الخراب، وتم الترويج إلى فكرة خطر الإسلام وعنفه، وأنه سيدمر المجتمعات الأخرى لأنه دين إرهاب.

ونشهد اليوم موجة من التشويه للدين الإسلامي بمختلف الوسائل بغرض الحد من انتشار هذا الدين، لأن الإسلام لقي تجاوبا وإقبالا في المجتمعات الغربية والعالم ككل، خاصة عند بعض المثقفين والعلماء والمفكرين، وهذا ما زاد من حدة تخوف الغرب، وبدلا من أن يصبح الإسلام عالميا خلقت أمريكا حركة العولمة أو الأمركة، لتكون الثقافة الأمريكية بديلا عن كونية الإسلام، واستخدمت في العولمة كل الاليات الثقافية والاقتصادية والسياسية والفنية من أجل ترسيم وترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا في النفوس.

ومن هنا يجد الانسان نفسه محاطا بمجموعة من الإشكاليات والتساؤلات العديدة التي يطرحها كل عاقل على نفسه ومن بينها: لماذا اختير الإسلام دون غيره من الديانات ليوصف بالإرهاب؟ ومن المساهم في شيوع مصطلح الإسلاموفوبيا؟ ومن المستفيد؟ ولماذا تتخبط المجتمعات العربية والإسلامية في مشاكل تقليدية ساهمت في انتشار العنف بين أبنائها، كما أدت إلى نشوب ثورات داخل اوطانها؟ كيف السبيل لرفع مخططات ومؤامرات العولمة التي ساهمت بوسائل عديدة ومتنوعة في ترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا في أذهان الكثيرين؟ وهل كان للمجتمع العربي الإسلامي دور في شيوع هذا المصطلح؟

هذه الإشكاليات نحاول بقدر الإمكان في هذا الكتاب تقديم تصورات لتوضيحها، وليس بالضرورة الاجابة عنها بشكل فاصل، لأن هذه

الإشكاليات شائكة وصعبة، وتحتاج إلى معلومات مدققة جدا، وحاولت أن أعتمد على مجموعة من الدراسات لتبيين حقيقة مصطلح الإسلاموفوبيا وتفنيده، لأن الإسلام لم يكن يوما ما دين قمع أو قهر أو إرهاب كما يعتقد البعض، والعقيدة الإسلامية انتشرت بالقلم والحجة والبيان، وكل قول يخالف هذا هو مجرد تزييف لحقيقة الإسلام أو جهل به، وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام أصبح غريبا حتى بين معتنقيه والأغلبية في فهما لهذا الدين حطت الرحال بعقولها على ظاهره متجاهلة عمقه وصدفه وابعاده ومكنوناته، وهذا ما ساهم في ترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا نتيجة الفهم السطحي والمغلوط للإسلام.

ونتمنى أن يجد القارئ ضالته في هذا الكتاب، وارجوا أن يساهم هذا الكتاب في إزالة ولو القليل من اللبس الذي أصبح يحيط بالإسلام ويحجبه.

الأستاذ الدراجي زروخي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة. الجزائر

أولا/ ماهية الإسلاموفوبيا

" الإسلاموفوبيا لا تعني الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب التي تسعى أمريكا وأذنابها إلى عولمتها على باقي شعوب العالم من أجل استعبادها... بل تعني خوف الغرب من إنهاء الإسلام لهذا المخطط الدنيء ... ولا يسعنا سوى أن نقول بأن الإسلام دين لا يبغضه إلا إثنان جاهل أو صاحب هوى "

الدراجي زروخي

أولا/ ماهية الإسلاموفوبيا

الإسلاموفوبيا من المصطلحات المعاصرة، وارتبط ظهوره بمجموعة من التطورات والأحداث والوقائع على الصعيد العالمي، وتعني الإسلاموفوبيا في ظاهرها أن الإسلام دين باطل، ودين إرهاب وعنف، ولا علاقة له بالحجة والبيان والمعرفة والمنطق والعقل، وهذا التصور هو نتيجة لتعالي الأصوات في بعض الدول الغربية المتسلطة والدعاية الصادرة من الإعلام الغربي، وبعض الإعلاميين العرب لتشويه هذا الدين والنيل منه، وهذا الأمر يعود إلى التراكمات إيديولوجية وسياسية منذ أن ظهر الدين الإسلامي حتى يوم الناس هذا.

ونال هذا المصطلح اهتماما كبيرا من الدراسات المختلفة سواء كانت فلسفية أو سياسية أو اجتماعية، وحتى ثقافية وإعلامية حسب زواياه المختلفة، فقد تعددت الآراء وتناقضت في تصورها لمفهوم الإسلاموفوبيا وأيضا تعددت الاتجاهات، فكل ينظر لهذه الظاهرة من منطلقاته وأغراضه سواء كانت عقائدية أو قومية، وكان لهذا الموضوع انعكاسات وآثار واضحة على علاقة المسلمين بغيرهم، وكذا العلاقات السياسية بين الدول الغربية والدول العربية الإسلامية، والمتمثلة في تحقيق أطماع ومصالح وتدخل في الشؤون الداخلية للعديد من الدول، إذ تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية الحركات الإسلامية المزعومة ذريعة للتدخل في شؤون الدول، بحجة حمايتها من خطر الإرهاب الإسلامي، وتحقيق السلام والحفاظ على الأمن القومي للدول.

1/ حول مصطلح الإسلاموفوبيا

تعد ظاهرة الخوف من الإسلام، والتي اصطلح عليها الغرب كلمة الإسلاموفوبيا من الظواهر الجديدة في العالم والتي تعبر عن توتر العلاقات بين الدين الإسلامي والغرب، ولا يمكن فهم حقيقة مصطلح الإسلاموفوبيا إلا من خلال تفكيك هذا المصطلح الى الأسماء التالية: الإسلام والخوف والرهاب.

أ-تعريف الإسلام

الإسلام هو آخر الأديان السماوية ظهورا، وهو المكمل والمتمم لها وبين روجي غارودي في كتابه الإسلام أن الدين الإسلامي يحتوي على كل تعاليم الأديان السابقة، وهو المتمم والمكمل لها، والإسلام هو "الدين الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، النبي العربي، عرف باسم الإسلام منذ عهده الأول، ومعنى هذه الكلمة، الطاعة والإذعان والصلح، والأمان والخلوص، والبراءة من الشوائب الظاهرة والباطنة، أي إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى"[1]، والاسلام بهذا هو حسن الانقياد والطاعة لأوامر الله، وإتباع ما جاء في القرآن الكريم وسنة نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم محمد، باعتبارهما يمثلان عماد الدين الإسلامي، وبهما تستقيم حياة الإنسان المسلم، والإسلام ليس دين قومي خاص بالعرب وحدهم، وإنما هو دين كوني عالمي، فإن كان القرآن بلسان عربي فإن الإسلام لا لغة له، بل للناس كافة.

والإسلام دين يهدي الناس إلى طريق الحق، وجاء لحل جميع المشاكل التي تواجه الإنسانية، وقيل في مفهوم الإسلام بأنه " الخضوع، وقيل الإسلام هو الإخلاص بالأفعال، وهو أن يسلم نفسه لله، أو يسلم دينه، لا يشركه فيه".[2] وعلى هذا فإن الإسلام في مجمله يعني الاستسلام الكامل لأوامر الله وتطبيقها في جميع مجالات الحياة، والإسلام هو دين روحي يعني الانقياد التام لله، وإخلاص النية في جميع الأفعال لله وحده.

فالإسلام يوجب على المسلم عبادة الله وحده، وألا يشرك بعبادته شيئا بقصد أو بغير قصد، فالعلم بالوحدانية واجب على كل مسلم حتى لا يقع في الشرك بحسن النية، كما يوجب الاسلام على المسلم أن ينقاد الى أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام، وتطبيق مبادئ الإسلام كما بينها الله ورسوله.

وأغلب آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، تؤكد أن الإسلام دين رحمة وسلام، وأنه جاء للعالمين أي للناس كافة عربهم وعجمهم، وإذا كان القرآن بلسان عربي مبين فإن الإسلام لا لغة له، ولا فضل فيه لعربي على عجمي، فمنذ بداية الرسالة المحمدية كان الخطاب الإسلامي موجها لجميع الناس، ولكل الأجناس، فلا ينبغي على أمة الإسلام أن تكون منغلقة و معزولة عن الأمم الأخرى، ولا يجب أن تحتكر الدين الإسلامي لها أو تحتفظ به لنفسها، بل وجب الدعوة له، وتعريف جميع الأمم به وتبليغه، ويجب أن ندرك بأن الإسلام جاء مكملا للرسالات السماوية السابقة.

والرسالة الإسلامية هي دعوة خير وهداية موجهة إلى كل الإنسانية وجاء الاسلام لكي يحرر الناس من أوهام الجهل، والتحلي بالمثل والقيم السامية، والتحرر من القيود والعبودية والانطلاق نحو العمل والبناء والسعي إلى التطوير، وإلى نشر الأمن والسلم بين الأمم والتعايش بينهم وتأسيس حضارة قاعدتها الاحسان والعمل الصالح واحترام الآخر.

إن الاسلام يشترط التسليم به، وذلك بعد الاقتناع بهذا الدين بالحجة والعقل بعد التفكير والتأمل أو الفطرة، ثم الامتثال لما أمر الله به، بمعنى أن الطاعة تأتي بعد الاقتناع، فلا يجوز بعد الاقتناع أن نخالف أوامر الله يقول عز وجل في كتابه الكريم" **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** " "سورة فصلت الآية53" ، **ويقول المولى عزوجل في كتابه المبين " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** " "سورة آل عمران الآية 191".

يبدوا جليا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الامتثال لأوامر الله ولرسالة الإسلام مستمد من التفكير والتصديق والبرهان، وليس مجرد اتباع أعمى في معزل عن العلم والفهم.

ب-تعريف الخوف

الخوف هو عبارة عن شعور بالرهبة والقلق من بعض المواقف والأحداث التي تثير الهلع في نفس الإنسان، والذي يشكل عائقا في حياته

ويؤثر كثيرا في مستقبله، وعرفه صاحب المعجم الفلسفي جميل صليبا بقوله "الخوف هو انفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب الوقوع".[3]

ونميز بين نوعين من الخوف، خوف عادي أو صحي، ويكون فيه مصدر الخوف ظاهر ومعروف أي شيء يثير القلق، والخوف المرضي هو تخوف من أشياء لا تثير الخوف مثل الخوف من الماء أو الخوف من المواقف الاجتماعية، وهو خوف يعود الى أسباب ماضية قائمة في نفس المتخوف.

وقد يكون للخوف آثار ايجابيه، فقد يساهم في مساعدة الفرد على التطور والتفتح والخروج من الانغلاق، وتطوير النفس حتى تصبح أكثر قوة وأشد صلابة، كما أن للخوف آثارا سلبية إذ يدفع الفرد أحيانا إلى أن يعيش في حالة فراغ رهيب لا مجال للخروج منه، ويدفع الإنسان إلى الاستسلام، ويجعله أسيرا لأحكام وقرارات غيره، ويقتل الإبداع في الفرد فهو أكثر شيء يدمر النفس الإنسانية، والخوف عاطفة موجعة على نحو خاص تنشأ عن خطر يتهدد صاحبه[4]. وهذا ما حدث مع الكثير من الناس في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء، إذ جعلهم الخوف ينفرون من الإسلام، ويأخذون تعاليمه من غيرهم كوسائل الاعلام المضادة للإسلام، وبعض الجمعيات والمنظمات الارهابية وغيرها، فأصبح بعض الناس أسير أحكام عن الاسلام استمدها عن غيره، ولم يستمدها من النص القرآني في حد ذاته، وقد يستمدها بعض المتخوفون من الإسلام

من بعض الجماعات الارهابية التي لا علاقة لها بالإسلام لا من حيث الفهم ولا الانتماء، وهو ما سنبينه لاحقا في هذا الكتاب.

ويمكن القول بأن الخوف هو مجموعة من العواطف التي تدفع الفرد إلى القيام بالعديد من الأفعال، التي لا يكون على قناعة تامة بها ويقوم بها في حالة وعي أو دون وعي، وهناك من الأشخاص من لا يعترف بخوفه، ويتركه في حالة كبت، وهذا ما يساهم في التدمير النفسي للإنسان، ويسبب له العديد من العقد التي لا علاج لها، والكثير من الناس لا يعترفون بوجود الخوف في حياتهم إطلاقا، فهم يرون أنه مجرد وهم، وتهيئات للنفس الإنسانية التي تستطيع محوه عن طريق كبته، وهذا ما يساهم في إخفاءه وعدم تطوره، وعلى هذا النحو يتحول الخوف إلى عائق ابستمولوجي وعائق أمام الابداع والفهم.

ج-تعريف الرهاب

الرهاب أو الفوبيا هي تخوف من بعض الأشياء العادية التي لا تثير الخوف في الإنسان العادي السوي، هو تخوف مرضي هستيري من نوع معين من الأغراض أو الأعمال أو حتى الايديولوجيات .[5]

أي أنه خوف من أشياء لا تثير الخوف في أصلها، لكن الإنسان يشعر بالرعب منها جراء مرض نفسي يعاني منه أو عقد نفسية تكونت لديه بفعل ظروف وأسباب معينة، سواء كانت بقصد أو بغير قصد. وتتكون بتعرض الفرد للعديد من الصدمات في صغره انعكست عليه سلبا، وللفوبيا العديد من الأنواع مثل الخوف الاجتماعي أو الخوف

من المرتفعات أو من الأماكن المغلقة والضيقة وغير ذلك، وقد يكون أخطرها الخوف من إيديولوجيا أو دين رباني.

د-الإسلاموفوبيا

الإسلاموفوبيا هو مصطلح حديث - رغم جذوره القديمة - ظهر نتيجة للعديد من الأسباب والوقائع التي حدثت على المسرح العالمي. ومصطلح الإسلاموفوبيا يعتبر شكلا من أشكال العنصرية المنهجية المستقرة في البنية الاجتماعية الموجهة نحو المسلمين من طرف أعداء الدين الاسلامي [6]، بل وسخروا كل السبل من أجل اقناع الرأي العام العالمي بما فيهم المسلمين بحقيقة هذا المصطلح.

ويمكن القول بأن هذا المصطلح هو أحد مآرب الغربيين الرافضين لهذا للدين الإسلامي والمتخوفين من انتشاره، وأقنعوا المجتمعات بأن هذا الدين في جوهره دين تطرف وعنف، وأنه لا يحمل في طياته وثناياه وظاهره وباطنه أي ذرة من القيم والسلم والتسامح، وكان هذا التحامل على الإسلام منذ بعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا وسيستمر، ولكن مع مرور الوقت ازدادت حدة التوتر بين المسلمين وغيرهم، مما أدى بالدول الغربية الى تبني منهجية سياسية وإعلامية وثقافية لتشويه صورة الإسلام، بل أصبح مشروع تشويه الإسلام المشروع الأول للدول الغربية، باعتراف مفكري الغرب من أمثال ادغار موران وجون بودريار.

وأي عمل إسلامي أو ردة فعل لغزو دولة ما كغزو أمريكا للعراق أو جهاد الفلسطينيين ضد اليهود هو عبارة عن عمل إرهابي، وأي حادثة عنف تحدث في العالم تنسب إلى المسلمين، وأصبح الفرد المسلم يعاني من هذه الآثار التي انعكست سلبا وخطورة خاصة على الجالية المسلمة في الغرب، وبين هنتنغتون أن "مفهوم الإسلاموفوبيا يعني الخوف من تصاعد الصحوة الإسلامية اتجاه المسلمين نحو الاعتماد على الإسلام كمنهج حياة، الإسلاموفوبيا هي نتيجة الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب التي تسعى الو. م أو حلفاءها عولمتها على باقي شعوب العالم"[7]. اعتراف صريح بدور وسعي الولايات المتحدة ومن بعدها الدول الغربية إلى عولمة مصطلح الإسلاموفوبيا، ومحاربة الدين الإسلامي من خلال تشويهه تشويها ثقافيا ممنهجا، وهي نفس الرسالة التي حاولت الحروب الصليبية تمريرها من قبل، لكن هذه المرة وفق خطة منهجية محكمة خاصة في ظل ضعف المسلمين وضعف وسائل الإعلام لديهم.

وما تقوم به السياسة الغربية من مجهودات لتشوية واتهام للإسلام، كان ناتجا من التخوف الكبير من عودة الإسلام إلى الواجهة وتصدر المشهد العالمي كما كان من قبل، حيث أن الواقع يشهد على تزايد انتشار الإسلام في العالم، سواء من خلال تزايد عدد السكاني مقارنة بنسبة التزايد المحدود للغرب، أو من خلال إسلام العديد من النحب الغربية المقتنعة بأصالة هذا الدين وسماحته وسموه، لأن العديد من العلماء والفلاسفة الغربيين قد اسلموا من خلال الإعجاز

القرآني، واقتناعهم بأن الإسلام هو دين سلام وعلم وحضارة، لا كما يدّعي الإعلام الغربي بأنه دين عنف وقتل و إلغاء للآخر.

2/ارهاصات نشأة الإسلاموفوبيا

أ-الحروب الصليبية

هي مجموعة من الحروب التي نشبت في العصور الوسطى بين المسيحيين والمسلمين حول بيت المقدسات، والتي حاول الأوروبيين السيطرة عليها وأخذها من المسلمين، ولها العديد من الغايات والأهداف و "من أهم الوثائق التاريخية الدالة على حقد الغرب الصليبي على المسلمين وخوفهم منه، والتي بدأت منذ سنة 490 هـ، ومن يومها بدأ الإسلام الصراع الجاد الحقيقي من أعدائه من ملة الكفر والطغيان".[8]

فبدايات هذه الحروب كان منذ محاولة المسيحيين الاستيلاء على الأراضي المقدسة للمسلمين، وهي إيديولوجيات مكنونة في نفوس الغرب حيث حاولوا التعبير عن أحقادهم وإخراجها عن طريق هذه الحروب. وكانت ناتجة عن العديد من الأسباب منها الدينية أو السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن أهم الأسباب المباشرة لاندلاع الحروب الصليبية نرجح الأسباب الدينية في محاولة من الصليبين الى طمس الهوية الإسلامية، ومحاربة الإسلام والمسلمين بأشكال متعددة من أجل إنهاء وجود الدين الإسلامي، لأنه يشكل خطرا على الغرب، وكذلك حاولوا التخلص من الأوضاع المزرية التي كانوا يعانون منها كسوء المعيشة وذلك عن طريق الاستيلاء على ثروات المسلمين، فكان الحل عندهم في

استعمار الدول العربية الإسلامية عن طريق شن حروب عليهم، ووقع اختيارهم على بيت المقدس الذي يحتل مكانة مهمة لدى المسلمين، ويمثل قطب أساسي يجمع كل المسلمين على اعتبار أنه قضية توحد كل العالم الإسلامي، فالحروب الصليبية بمراحلها وأسبابها وغاياتها هدفها ضرب الإسلام واقتلاعه من جذوره، وزعزعة استقراره وتشويهه.

ومن أهم الحروب الصليبية "حروب الفرنجة وهي حملات قامت في العصور الوسطى خلال القرن 11 م حتى أواخر القرن 13 تحت إقرار كنيسة الروم الكاثوليك، ففي 1095 قام البابا أوربان الثاني بإطلاق حملة صليبية من مدينة كليرمونت الفرنسية بهدف فك سيطرة المسلمين على أراضي مقدسة، وإرجاعها إلى قبضة الصليبيين وحملت الشعار الديني، وتبعتها ستة حملات أخرى".[9]

فالحروب الصليبية هي الحروب التي قام بها الأوروبيين ضد المسلمين في محاولة للسيطرة على أرضيهم وإخراجهم منها، وخاصة بيت المقدس، نظرا لأهمية هذا المكان وقدسيته في جميع الأديان السماوية فبيت المقدس يمثل رمز لكل دين، فبالنسبة لليهود يعتبر مركزا لعبادتهم وأساطيرهم التي ترى أن تحتها ملك سليمان عليه السلام، أما المسيحيين فيعتقدون أنه المكان الذي صلب فيه اليسوع، والعرب المسلمين فهم يرون أن هذا المكان الذي حدثت فيه ليلة الإسراء والمعراج، والذي يحتل مكانة مهمة جدا في نفوسهم.

والواقع يشهد أن حقيقة الحروب الصليبية هي حرب دينية ويضاف اليها حاجة أوروبا إلى تحقيق غايتها من خلال الدخول إلى منطقة الشرق الأوسط، من أجل اكتشاف أسرار المنطقة ومعرفة نقاط ضعفها وقوتها، لكي تسهل للغرب عملية الدخول إليها ونهب ثرواتها، لأن أوروبا كانت تشهد في ذلك الوقت اقتصادا منهارا، بينما كان العرب في أوج قوتهم وازدهار حضارتهم، فقد كانوا بمثابة خزان مليء بالأفكار، كما كانوا قوة عسكرية واقتصادية، ولا يعانون من أي أزمات ومشاكل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، فقد كانوا أرقى المكانات، لكن الغرب بطبيعته أراد أن ينقل مركز الصدارة له، لأنه يعاني من عقدة التفوق كما أن التطور الإسلامي اتى على حضارتهم سابقا.

ومن هنا افتعلت الحروب الصليبية من أجل إحداث نقلة نوعية يتم من خلالها نقل الصدارة إلى أوروبا الغربية من أجل السيطرة على العالم وانتقال السيادة لها، ونشر الديانة المسيحية وتدنيس العقيدة الإسلامية، لأن الإسلام منذ ظهوره كان له الكثير من الأعداء الذين يحملون له الغل والحقد، ويرون بأنه ليس دين سلام بل هو دين إرهاب.

ودبر الغرب العديد من المؤامرات لكي يخلق الطريق للدخول والتوغل في العالم العربي الإسلامي، واكتشاف خباياه وأسراره، ومن ثمة استغلاله ونهب ثرواته، وقد نجح الغرب الى حد كبير في ذلك، لأن العرب بالرغم من قوتهم إلا أنهم كانوا يشكون من بعض نقاط الضعف التي استغلها الأوروبيين في تدبيرهم لهذه المؤامرة.

ومن هنا اشتعلت الحروب التي كان فيها العديد من الخسائر المادية والبشرية من اجل السيطرة على بيت المقدس، وقد اختلفت الدراسات بين المفكرين والمؤرخين حول طبيعة هذه الحروب وحقيقتها، فهناك من قال إنها حرب بطولية وتمثل رمز الكفاح والقوة وهذه نظرة الغرب لها، وهناك من قال بأنها حروب استغلال وتدمير وانتهازية بدرجة أولى، وهي نظرة المفكرين الشرقيين، الذين نظروا الى هذه الحروب نظرة موضوعية ولحد الآن لازال الصراع قائما في القدس الشريف، لأن الحروب الصليبية لم تحسم الأمر في حكم بيت المقدس، وانتقل حكم الأقصى الى اليهود ولايزال الى يومنا هذا.

وساهمت الحروب الصليبية في اقناع شعوب العالم بأن الإسلام دين عنف ويضيق على الحريات الشخصية ويلغيها، وأنه ليس بدين الديموقراطية، فهو دين قمع واستبداد، واستمرت هذه الأوهام التي مررها الغرب للشعوب العربية حتى أيامنا هذه، حيث اقنعوا العالم بأنهم سيزيحون نظام صدام حسين من أجل تحقيق الديموقراطية للعراقيين، وكذلك فعلوا مع الشعب الليبي في ازاحتهم للعقيد معمر القذافي واوهموا الليبيين بأنهم سيحققون لهم السلام والأمن والديمقراطية والرخاء، ونفس الشيء يفعلونه مع نظام بشار الأسد، فلا الشعوب العربية عاشت في أمان بأنظمتها الضعيفة، ولا هي تنعمت بالديمقراطية الموعودة من أمريكا، إنما غاية الأمر كله ضرب الإسلام

وتشويهه وتزييف صورته، وهذا ما أكده المفكر الفرنسي روجي غارودي في العديد من كتبه.

ب-أحداث 11 سبتمبر2001

تعتبر حادثة 11 سبتمبر 2001 من أهم الحوادث واخطرها، وقد أثارت ضجة كبيرة في العالم، وتعتبر من أهم أسباب ظهور الإسلاموفوبيا وتناميها "إذ أن أي تفسير للأسباب التي أدت إلى حدوث هجمات 9/11 لابد أن ينحصر بين أمرين اثنين هما إما وجود تواطؤ على أعلى مستويات الحكومة الأمريكية، أو وجود انهيار غير مسبوق على مستوى النظام بأكمله، فيما يتعلق بقدرة مد اليد على حماية نفسه من مثل هذا المشكل المتوحش من الهجمات الإرهابية".[10]

فهذه الأحداث كانت بمثابة ضربة موجعة، لأنها مست قلب أمريكا، ففي يوم 11 سبتمبر هوجمت أمريكا صباحا باصطدام طائرتين في برجين شمال وجنوب نيويورك في مركز التجارة العالمي، مما خلف أضرار جسيمة في مختلف المجالات، فقد تجاوز عدد القتلى الآلاف بالإضافة إلى حالات الفزع والخوف الهستيري، وقلبت هذه الأحداث أمريكا رأسا على عقب، ونشرت حالة طوارئ و"تمثل الاعتداءات التي وقعت على برجي التجارة العالمية في سبتمبر 2001، نقطة تحول في العلاقات بين الدول الغربية والدول الإسلامية، المتهمة بضلوع أفرادها في تلك الأحداث، مما سنح للولايات المتحدة الحق التاريخي للرد على مثل تلك الهجمات من

خلال استراتيجية الحرب ضد الإرهاب، مستعملة الحرب الإستباقية (الوقائية) كوسيلة تحول دون تكرار مثل هذه الهجمات في المستقبل".[11]

فهذه الواقعة كانت بمثابة ذريعة لتبرير وتنامي كره الغرب للإسلام ولشيوع مصطلح الإرهاب، وكانت سببا في سن العديد من القوانين المعادية للإسلام، والجالية المسلمة في الغرب، وهذه الحادثة كانت عاملا في شيوع مصطلح الإرهاب، وربط أي حادثة عنف تحدث بالإسلام والمسلمين، فالجالية المسلمة بعد تلك الأحداث أصبحت تعاني من المضايقات والتهديدات والاتهامات، والعديد منهم خسروا وظائفهم وطردوا من الأماكن التي يقيمون فيها، إلى جانب تشويه صورتهم وتسميتهم بالإرهابيين والمتطرفين والهمجيين.

وظهرت العديد من الحملات من قبل المفكرين ومنظري السياسة للمطالبة بتوجيه أقسى العقوبات لمنفذي هذه الاعتداءات، وطالبوا الولايات المتحدة الأمريكية أيضا بتوجيه كل ألوان العقاب لكل العرب والمسلمين، بصفتهم منبع الإرهاب أو الداعم له، فهم يعتبرون أن منطقة الشرق الأوسط مشكل ومكون للإرهاب الحقيقي. وهذه الأحداث حسبهم قد نفذت من طرف مجموعة إسلامية، من أجل استهداف الأمريكيين فالمسلمون قد تجردوا من كل أخلاقهم، وقتلوا العديد من الأبرياء من دون أي شفقة أو رحمة، وهو أكبر دليل على أن المسلمين متطرفون والإسلام هو دين العنف والإرهاب وازهاق الأرواح، وهذه مغالطة تدل على عدائهم للإسلام.

3/أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا

يوهم الغرب العالم بأن طبيعة الدين الإسلامي هي سبب تنامي ظاهرة الخوف منه، وأنه دين يقوم على مبادئ تدعوا إلى العنف ويستشهدون بالعديد من الآيات والأحاديث الشريفة المعروفة لدى المسلمين بالجهاد.

يقول هنتنغتون في كتابه صراع الحضارات "مشكلة الغرب ليس مع الأصولية الإسلامية بل مع الإسلام".[12] وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الإسلام قادر على قيادة العالم تحت لواءه، وتخوف العالم الغربي من هذا يظهر في فكرة صراع الحضارات، ومن هنا نتأكد أن الغربيون يجهلون حقيقة الإسلام أو بالأخرى يتجاهلونها، نتيجة الأفكار المظللة التي زرعها بعض المستشرقين عن الإسلام في المجتمع الغربي، فأغلبهم يعتبر العرب والمسلمين " وحوش ضاربة وحيوانات مفترسة (كالفهد والضبع) وأن الواجب إبادة خمسهم ...والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر".[13]

وهذا يعتبر مثال عن الكتابات الخاطئة للمستشرقين أعداء الإسلام، فهم بهذا شوهوا حقيقة الإسلام. ونعتوا المسلمين بصفات لا تليق بهم، إن الغرب في شعوره الباطني يعتقد أن الإسلام قوة، لذلك

يحاول جاهدا وبكل ما لديه من قوة وإمكانيات إفساد صورة الإسلام في أعين الناس، من أجل الحد من انتشاره خاصة مع احتكاك المسلمين اليوم مع الغرب في كل الدول تقريبا، بحيث أن هناك العديد من العلاقات التي يقوم بها المسلم مع غيره في مجال تبادل الأفكار، ومختلف الخدمات أدت الى افتتان الكثير من مفكري وعلماء الغرب بالإسلام ثم اعتناقه، كما سنبين ذلك لاحقا.

وساهمت وسائل الاعلام في احتكاك الغربيين مع غيرهم من المسلمين، لذلك سعوا جاهدين من أجل نشر نظرة سلبية عن الدين الإسلامي، وبأنه دين باطل ولا يرقى لمستوى العالمية، وزاد التزايد السكاني في المجتمع العربي الإسلامي من حدة خوف الغرب من الإسلام، فالغرب يدرك جيد بأن الإسلام هو أخطر دين سوف يواجه الحضارة الغربية في المستقبل مثلما واجهها في الماضي، وهذه التخوفات من الإسلام إن دلت على شيء، فإنها تدل على معرفة الغرب بحقيقة قوة الإسلام، وقوة النهضة الحضارية التي سيحققها إن وجدت إرادة سياسية تتبنى هذا الدين وتفعله، وهذا ما نلمسه في كتاب روجي غارودي الإسلام دين المستقبل.

ويضاف إلى هذا الدور السلبي الذي قامت به وسائل الإعلام في الترويج للعديد من الأخبار الزائفة، ونشر العديد من الإشاعات والدعايات المضادة لمبادئ الشريعة الإسلامية، والتشهير إلى أن سلوك المسلمين يمثل ويعكس حقيقة الدين الإسلامي، ويجسد صورته التي

تتجلى في قهر الغير وارهابهم، فهم يرون أن طبيعة الدين الإسلامي دموية وأن كل مسلم هو قاتل مأجور وإرهابي بالضرورة، وأن كل العرب والمسلمين يدعمون هذه السلوكات المضادة للإنسانية، وقد لا نختلف إذا قلنا بأن العديد من السلوكات التي يبديها الكثير من المسلمين لا تتوافق تماما مع الدين الإسلامي، ولا تعكس حقيقته، وهذا ما استغله الإعلام الغربي خاصة في ضرب عمق الإسلام من خلال نشر هذه الصور السلبية لبعض المسلمين الجاهلين لمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، و" الغرب اليوم يخشى من الإسلام بسبب بعض الممارسات الخاطئة التي يقوم بها بعض المسلمين، والتي يسهم الإعلام الغربي في تضخيمها وتعميمها"[14]، وهذا التضخيم والتهويل غايته دنيئة وهي الحد من انتشار الدين الإسلامي في أوروبا وغيرها من مناطق العالم.

علينا أن ندرك اذن وبعمق أن بعض السلوكات التي يقوم بها الكثير من المسلمين تتنافى مع معالم ومبادئ هذا الدين، وهذه الفئة تمثل صورة سلبية عن حقيقة الإسلام والأمثلة كثيرة عن هذه السلوكيات كغياب العدالة وعدم المساهمة في البناء الحضاري، والتسليم المطلق بصحة الرأي وتجريم المخالف وغيرها، وهذه السلوكات الناجمة عن بعض المسلمين ساهمت في تسويد صورة الإسلام عند الغرب و **" لا شك أن سلوك المسلمين وأوضاعهم العامة، وما يمرون به من تخلف شديد هو أسوأ شيء في تشويه صورة الإسلام، وحتى الوجود الإسلامي في الغرب على تعاظمه البشري ما زال يقدم صورة عن الإسلام لا**

تتصف بالحضارة كما ينبغي"[15]، فالغرب ربط كل سلوك يقوم به المسلمون بمصطلح الإرهاب والتطرف، وأي عنف أو جريمة تنسب للمسلمين، حتى في المحافل الدولية الكبرى ينسب مصطلح الإرهاب للإسلام والمسلمين، فالأزمات السياسية التي يمر بها المسلمون على مر التاريخ كانت سببا في بروز العديد من الظواهر السلبية، وردود الأفعال اتجاههم، واتجاه دولهم واتجاه دينهم، ويضاف إلى هذا استغلال الدول الغربية للبلدان العربية والإسلامية، والتدخل في شؤونهم وهذا ما عمق من كره المسلمين للغرب، وجعلهم يبدون العداء له، لكي يعبروا عن رفضهم لسياسة الغرب الانتهازية، ويجب لفت الانتباه إلى أن الإسلام يقف في وجه انتشار الشيوعية والمسيحية، وكذلك يهدد استقرار الكيان الصهيوني، فالإسلام هو الجدار الذي يحول دون انتشار المسيحية نظرا لعقلانيته، والقوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار وتوسع المسيحية، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية[16]، وهذا دليل على قوة الإقناع التي يتميز بها الإسلام، وعقلانيته وعالميته، كذلك الإسلام دين واقعي يوفق ويوازن بين متطلبات الجسد وتطلعات الروح، فتأثير الدين الإسلامي أوسع من الديانة المسيحية وباقي الديانات الأخرى، باعتبار أن الإسلام هو دين مكمل لباقي الرسالات السماوية، والواقع يشهد أن العديد من الأفراد الغربيين من مختلف الديانات قد اعتنقوا الإسلام مرتدين عن دياناتهم الأصلية، لما رأو في هذا الدين من سلم وسلام، وهذا ما يشكل نقطة تخوف الغرب من الإسلام وتهديد مصالحهم وأطماعهم في احتلال الدول الإسلامية،

واستغلال ونهب ثرواتها وهدم ثقافاتها وقيمها التي بنيت عليها، والكثير من الغربيين يرون أن الإسلام هو دين أصيل، تحكمه ضوابط وقوانين مستمدة من الكتاب والسنة، طبعا اقصد من نظر إلى الإسلام نظرة موضوعية.

ولا يخف علينا أن السياسة الغربية أنانية، ولا تتفاعل مع الأفكار التي لا تخدمها، وبالتالي فالغرب ورث ديانته مثلما ورث الفرد المسلم المبادئ الإسلامية، لكنه يرى بضرورة إتباع المسلمون للعقيدة الغربية لأن ذلك يخدم مصلحته، ولا يكون هناك أي تهديد لتحقيق أهدافه المنشودة، وكذلك ازداد تخوف الغرب من خطر الإسلام بعد اعتناق الشباب المسيحي له، وأصبحت الكنائس اليوم شبه خالية من المسيحيين بينما نلاحظ عكس ذلك في العالم الإسلامي ،حيث تشهد الدول المسلمة تزايد ملحوظ في التمسك بالدين ومحاولة الدفاع عنه، وتحسين صورته ونشره بشتى الطرق، كما أن الإسلام غزى الغرب، وعلى حد تعبير روجي غارودي فإن الإسلام سيكون دين أوربا القادم ففي كل يوم يعتنق العشرات من علماء أوروبا و فلاسفتها الإسلام.

وخلاصة القول أن الإسلاموفوبيا لا تعني الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب، التي تسعى أمريكا وأذنابها إلى عولمتها على باقي شعوب العالم من أجل استعبادها، بل تعني خوف الغرب من إنهاء الإسلام لهذا المخطط الدنيء، ولا يسعنا سوى أن نقول بأن الإسلام دين لا يبغضه إلا إثنان جاهل أو صاحب هوى.

الهوامش

1 - علي المولا: الموسوعة العربية الميسرة، ط1، شركة أبناء الشريف الأنصاري، لبنان 2010، ص328.

2-سميح دغيم: مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ج1، مكتبة ناشرون، بيروت لبنان، 1998، ص 116.

3 -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1،دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ص545.

4- دليل إكسفورد للفلسفة: تر نجيب الحصادي، ، ج1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ص337.

5 - لالاند: الموسوعة الفلسفية، تع أحمد خليل، ج1، ط2، منشورات عويدات، لبنان، 2001، ص984.

6 -أرون كوندناني: المسلمون قادمون، تر شكري مجاهد، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، 2015، ص19.

7- مشري مرسي: جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، رسالة دكتوراه، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2010، ص15.

8 -أحمد باقر: الحروب الصليبية، مجلة الهجرة، نيويورك، و.م.أ، ديسمبر 1981، ص 98

9 -محمد مؤسس عوض، الحروب الصليبية علاقات بين الشرق والغرب، ط1، دار عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1999، ص19.

10- دافيد راي غريفين: شبهات حول 9/11 أسئلة مقلقة حول إدارة بوشا، تر مركز التعريب والبرمجة، ط1، الدار العربية للعلوم، 2005، ص218.

11 -مشري مرسي: جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، ص12.

12 -صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تر طلعت الشايب، ط2، سطور للنشر، القاهرة، ص352.

13 -محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، (د ط) كلمات عربية للنشر، 2010، ص23.

14 -رائد أحمد غنيتم: الخوف الغربي من الإسلام، ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012، ص27.

15 -زكي الميلاد: الإسلام والمدينة، ط1، دار العربية، بيروت، لبنان، 2007، ص45.

16-جلال العالم: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (د.ط)، دار الفكر للنشر، 1975، ص32.

ثانيا/ رؤى ومو اقف حول الإسلاموفوبيا

"إن شرط نمو (الغرب) إنما كان بالضرورة وليد نهب ثروات القارات الثلاث ونقلها إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، وبالمقابل فإن الغرب هو الذي جعل ما نسميه العالم الثالث متخلفا".

روجي غارودي

ثانيا/ رؤى ومو اقف حول الإسلاموفوبيا

هناك علاقة وطيدة بين الإسلاموفوبيا والسياسة، فالسياسة هي الدافع الأساسي لنشوء مثل هذه الظاهرة، والسياسة الغربية عموما تحاول تنطلق من الاختلافات والتمييز بين الشعوب في تأسيسها للمواطنة، والسياسية الغربية تنظر للإسلام نظرة دونية سواء كان كدين أو كمجتمع أو كثقافة، وتقصي هذه السياسة الفرد المسلم في كثير من الأحيان من امتيازات المواطنة والديمقراطية، وهذا ما سنبينه من خلال تطرقنا للإسلاموفوبيا من خلال فسفة الاستشراق ونظرة بعض مفكري الغرب للإسلام وللمجتمع الإسلامي.

1/المنظور الفلسفي للإسلاموفوبيا

أ-الاستشراق

كان للاستشراق دور كبير في نقل الصورة السلبية والخاطئة عن المسلمين، فالمستشرقين لم ينقلوا حقيقة الدين الإسلامي، ولا ثقافته التي يتميز بها، بل على العكس من ذلك في كثير من الأحيان كانت دراستهم تبريرا لمواقف السياسة الغربية وانحيازا لها، فهم بهذا يخدمون جانب واحد وهو الجانب الغربي، وتفكيرهم يفتقر إلى النزاهة والموضوعية حيث حاولوا ترسيخ الصورة السلبية للمسلمين، وتشويه المجتمع العربي والإسلامي، وأغلب المستشرقين دمروا الإسلام في كتاباتهم، فهم يرون أن المجتمعات العربية بدون هوية وبدون ثقافة، ولا حضارة لهم، وكان هدفهم تحطيم الدين الإسلامي، وشعارهم أنه "يجب أن نستخدم

القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا".[1]

والمقصود بهذا القول هو أن قوة الإسلام تكمن في القرآن باعتبار أنه يمثل حضارة المسلمين ومنهجهم في الحياة، فالمستشرقين كانت لهم العديد من الأهداف لتدمير الإسلام والدين الإسلامي، مثل القضاء على القرآن، وعلى وحدة المسلمين وإبقاءهم ضعفاء، وتدمير عقول المسلمين وأخلاقهم. و"الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي".[2]

فأغلب المستشرقين كانوا يرون بأن الإسلام هو الدين الكامل الذي تتوفر فيه جميع شروط الحياة، وهو في تزايد مستمر منذ ظهوره، وهو بهذا يشكل خطرا كبيرا على مصالح الغرب. إلا أنهم يدارون ذلك ويسوقون للمجتمعات عكس قناعتهم، في محاولة منهم لتزييف حقيقة الدين الإسلامي، وحتى لا نكون مجحفين في حق بعض المستشرقين علينا أن نعترف بإنصاف الكثير من المستشرقين للدين الإسلامي، سواء من اعتنق منهم الإسلام أو ممن بقي على دين أجداده كالفيلسوف الإرلندي برنارد شو أو المفكر الفرنسي روجي غارودي الذي اعتنق الإسلام، وغيرهم كثير.

ب -رؤية فرانسيس فوكوياما للإسلام

اشتهر فوكوياما بفكرتي نهاية التاريخ ونهاية الإنسان، ومجد الغرب لدرجة أنه رأى بأن الغرب متمثلا في أمريكا هو نهاية التاريخ، بمعنى أن الغرب يمثل نهاية التطور الإيديولوجي للإنسان، حيث يقول في كتابه نهاية التاريخ "وقد حاولت دول كثيرة أخرى إقامة صورة من صور الشمولية، كالثورة الصينية عام 1949، ونظام الحمير الحمر الإجرامي في كمبوديا في منتصف السبعينات، وعدد لا حصر له من الديكتاتوريات الصغيرة القبيحة الممتدة من كوريا الشمالية واليمن الجنوبي وأثيوبيا وكوبا وأفغانستان من اليسار، إلى إيران والعراق وسوريا من جانب اليمين، غير أن السمة المشتركة لكل هذه النظم الشمولية الجديدة هي أنها قامت في أقطار فقيرة متخلفة نسبيا"[3].

حاول فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ الذي جاء بعد هيمنة الليبرالية على العالم، وانهيار الأنظمة الاشتراكية، وتفرد النظام الرأسمالي باعتباره النظام العالمي الجديد، أن يشكل نهاية التطور الفكري للإنسان أي أن الفرد الليبرالي هو خاتم البشر، لذلك يجب أن يكون هناك إجماع حول شرعية الديمقراطية الليبرالية، فهو يعتبرها نظام شامل، ولا يوجد بديل له، فقد حاولت العديد من دول العالم الثالث في نظر فوكوياما أن تخلق صورة من صور الشمولية إلا أنها أخفقت وبقيت في تبعيتها للغرب، ومن بين هذه الدول كوريا الشمالية وأفغانستان وسوريا وغير ذلك، لأنها فقيرة وتعاني من التخلف.

ففوكوياما يرى أن الصراعات الإيديولوجية قد انتهت، إذ تفردت الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، ويجب تبني الليبرالية الغربية كنظام وعقيدة من أجل انهاء الصراعات الأيديولوجية، لأنها القوة الوحيدة التي لا يمكن أن يقهرها أحد.

ويعتقد فوكوياما بأن الإسلام يشكل تهديدا للنظام الليبرالي في الدول الإسلامية، ويسميه بخطر الإسلام الذي يهدد أوروبا، فكثيرا ما يستدل ببعض الهجمات التي تحدث في أوروبا، والتي ينفذها بعض الشباب المسلمين الذي يسميهم بالإرهاب، ويرى أنهم يفتقدون للعديد من القيم الذي يتحلى بها المجتمع الغربي مثل الديمقراطية والانفتاح، لذلك لا يمكن للمجتمع الغربي أن يقبلهم أو يسمح بدمجهم.

وفي هذا الصدد يقول فوكوياما "صحيح أن الإسلام يشكل إيديولوجيا متسقة ومتماسكة شأن الليبرالية والشيوعية، وأن له معاييره الأخلاقية الخاصة به، ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كذلك أن للإسلام جاذبيته، ويمكن أن تكون عالمية داعيا إليه البشر كافة باعتبارهم بشرا لا مجرد أعضاء في جماعة عرقية قومية معينة، وقد تمكن الإسلام في الواقع من الانتصار على الديمقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي".[4] معنى هذا أن فوكوياما يقر بأن النظام الإسلامي يشكل قوة إيديولوجية، شأنه شأن الأنظمة الأخرى، وأنه في تزايد كبير إلا أن هذا لا يشكل خطرا، لأن الإسلام يؤثر في المناطق الإسلامية فقط، وغير قابل للتوسع في المناطق الغربية، كما

أن المسلمين يعانون من التبعية والتقليد، فهم أكثر عرضة للتأثر بالأنظمة الغربية وليس العكس .

وعلينا أن نلفت الانتباه هنا إلى أن فكرة فوكوياما عن الإسلام يشوبها الاضطراب والتناقض المنطقي، ويغيب عنها الانسجام الفكري فمن جهة لا يفرق فوكوياما بين سلوك المسلمين وبين الإسلام في حد ذاته، ففي كثير من الأحيان سلوك الشباب المسلم مناقض لتعاليم الإسلام، ومن جهة ثانية يصف الإسلام بالتعصب والعنصرية ثم ينعته بالجاذبية والعالمية، وهذا يعني أن منطلق فوكوياما منطلق ذاتي وعدائي للإسلام، وكل كتاباته مسخرة لتشوية الإسلام، ووصفه بالإرهاب، ويستغل في ذلك أخطاء بعض الشباب الذين ينتمون للإسلام بالاسم فقط، ولا يعلمون عن تعاليمه شيئا.

ج-الإسلام في فلسفة هنتنغتون

يعتبر هنتنغتون من أهم المفكرين الذي أثاروا جدلا واسعا حول علاقة الحضارات ببعضها البعض، والتي اعتبرها حالة من الصدام والصراع، وأيضا يشكل موقفه من الدين الإسلامي، ورؤيته السلبية له واحدة من أهم المغالطات، حيث بين في كتابه صراع الحضارات بأن العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثودوكسية أو غيرها كانت عاصفة غالبا، وكلاهما كان بالنسبة للآخر صراع، والصراع بين الديمقراطية الليبرالية والديمقراطية الاشتراكية ليس سوى ظاهرة

سطحية وزائلة، إذا ما قورنت بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية.[5]

فصدام الحضارات هو فكرة عنصرية تعبر عن موقف هنتنغتون المعادي للإسلام وكراهيته لهذا الدين، وهذا ما جسده في نظريته التي أثارت ضجة كبيرة في العالم المعاصر، وانعكست على المسلمين وعلاقتهم بالآخرين، فهنتنغتون اعتبر أن الإسلام مصدر قوة للمسلمين، ويشكل عنصر تهديد للغرب، ويحاول الإسلام في نظره تكريس هيمنته على العالم ورأى أن هناك مصدرين أساسيين يهددان استقرار الحضارة الغربية وهما الإسلام باعتباره العدو الأول، وكذلك الحضارة الصينية باعتبارها قوة اقتصادية، فالغرب تفرد بالريادة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي فحاول ابتكار عدو جديد يحاربه ألا وهو الإسلام، وذلك للعديد من الخلفيات التاريخية والاجتماعية والثقافية، وهنا اتضح الموقف الرافض والمعادي للإسلام بدون أسباب مقنعة، بل هو عداء من أجل العداء لا أكثر.

ويعتقد هنتنغتون بأن الإسلام قوة روحية قادرة على السيطرة على العالم إذا لم يتم وضع حدود له ومحاربته وردعه، ومن هنا شن حملة مضللة عن صورة الإسلام الحقيقية، وادعى أنه لا يوجد تكافؤ بين الإسلام وبين الغرب "فالغرب يحاول وسوف يواصل محاولاته للحفاظ على وضعه المتفوق، والدفاع عن مصالحه بتعريفها على أنها مصالح "المجتمع العالمي"، وقد أصبحت هذه العبارة هي التسمية المهذبة لما كان

يطلق عليه العالم الحر"، وذلك لإضفاء شرعية كونية على الأعمال التي تعبر عن مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى، فالغرب مثلا يحاول أن يجمع اقتصاد المجتمعات غير العربية في نظام اقتصادي عالمي سيطر عليه".[6]

لطالما كانت للغرب عقدة التفوق، واستعمل كل السبل للوصول إلى ما هو عليه الآن، واستغل جميع الفرص التي أتيحت له للبقاء في هذا المركز، وسعى من خلال مكانته هذه إلى السيطرة على كل الشعوب غير الغربية تحت شعار المجتمع العالمي، فأمريكا استغلت جميع الدول غير الغربية من أجل نهب ثرواتها واقتصادها، ومن أجل إحكام السيطرة عليهم والبقاء في الريادة، وقد استعملت أمريكا كل الطرق والوسائل من أجل إحكام قبضتها على جميع الدول العالمية، وعلى مختلف الأصعدة كل هذا لأنها متخوفة من بروز حضارة أخرى تنافسها أو تسلبها مكانتها، ومن أجل ذلك تأخذ كل الاعتبارات لبقائها في القمة، فأمريكا اليوم تستغل قوتها العسكرية إلى جانب نشر القيم والأنظمة السياسية والاقتصادية كالديمقراطية الليبرالية والعلمانية، وهو الذي حدد لنا شكل الصراع فأغلب الأنظمة التي جاءت بها أمريكا تتنافى مع الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية، وبالتالي كانت هناك العديد من ردود الأفعال السلبية للمسلمين تعبيرا عن رفضهم للقيم المنافية لمبادئ الشريعة الإسلامية ورفضا للاستفزازات الغربية، وهذا ما يبرر الصراع بين الغرب والمسلمين

وشتانا بين أن يكون العنف رد فعل عند المسلمين، وبين أن يكون أحد مبادئهم أو جزء من تعاليم دينهم.

فهنتنغتون يرى بأن الإسلام جعل منطقة الشرق الأوسط كلها دموية ومتطرفة، ويبرهن على ذلك مستخدما بعض الوقائع التي لا تمت للإسلام بصلة، ومنها ما حدث في السودان والعراق. فأي مشكلة تحدث في العالم ينسبونها زورا وبهتانا للإسلام، وأي مشكل يحدث داخل القطر الإسلامي ينسب إلى فشل الإسلام في تسيير شؤون الأمم والأنظمة الإسلامية، حتى وإن كانت الأنظمة الحاكمة لا تطبق الإسلام، ويحتج هنتنغتون على ضعف الإسلام بهجرة العديد من المسلمون إلى الغرب وتقليدهم له في كل شيء، وهذا دليل على تفضيلهم لأنظمة الغرب وسياستهم وثقافتهم رغم اختلاف الدين، ورغم مساوئ الغرب في قيمهم وثقافتهم، ورغم نظرة الغرب الدونية للمسلمين، ومعاملتهم السيئة لهم في كثير من الدول، لكن هذا لم يمنع المسلمين اليوم من اتباع الغرب. وتقليدهم الأعمى له، وهذا جراء التدهور الكبير اليوم في المنطقة العربية الإسلامية سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية فالعالم العربي الإسلامي اليوم يحتضر، والإنسان العربي أصبح يبحث عن أي فرص تتيح له الهجرة إلى الغرب، لأنهم في نظر هنتنغتون يعتبرون الحضارة الغربية حضارة كاملة، وتتوفر على طرق العيش السليم، وتحقق الرفاهية والسعادة للأفراد، حيث لا يضمن الإسلام شيئا من كل هذا.

وبالرغم من شيوع نظرية صامويل هنتنغتون، والتي كانت في بداية الأمر عبارة عن فكرة، وتطورت إلى كتاب عالمي تقوم عليه السياسة الأمريكية، فقد أصبح كتاب صدام الحضارات يدرس اليوم، وهو بمثابة المرجع الأساسي الذي يعتمد عليه الغرب في تسيير شؤون الحياة.

إلا أن هناك العديد من المؤلفين والمفكرين الذين انتقدوا هذا الكتاب، ورأوا أنه يحمل بذور العنصرية، ويشجع على التعصب والتنافر بين الحضارات، ومن أهمهم المفكر الفرنسي روجي غارودي الذي يصرح في كتابه حوار الحضارات أن الغرب لم ينشأ نشأة أصيلة، بل إن قوته وجبروته اليوم ناتج عن استغلاله لثروات البلدان الأخرى خاصة منها العربية من خلال الاستعمار أو التدخل في شؤون الدول الناشئة والتحكم فيها، وفي ثرواتها يقول **روجي غارودي "إن شرط "نمو" (الغرب) إنما كان بالضرورة وليد نهب ثروات القارات الثلاث ونقلها إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، وبالمقابل فإن الغرب هو الذي جعل ما نسميه العالم الثالث متخلفا".**[7]

يعتقد غارودي أن الغرب وما يشهده حاليا من تطور ونمو في جميع الأصعدة إنما كان من خلال وضع خطط واستراتيجيات من خلال بسط نفوذه على العالم، ونشر قوته واستغلال البلدان الفقيرة، وكان مسؤولا عن دمار دول العالم الثالث، ونشر الأزمات فيها وإحكام قبضته عليها، وفي المقابل نشر ثقافته في هذه الدول، حتى تبقى هذه الشعوب رهينة الثقافة الغربية، وكانت الغاية الأسمى من هذا هو ضرب المناطق التي

ينتشر فيها الإسلام، لأن الغرب يخاف من تمكن الإسلام، وهو على دراية بما يحمله هذا الدين من قوة قادرة على زعزعة كيان الغرب، وقيام حضارة إسلامية عالمية في أية لحظة.

ويعترف غارودي بأن الإسلام دين قوة عكس ما صرح به هنتنغتون بأنه دين تطرف وعنف، وظهر ذلك من خلال مؤلفاته في هذا السياق فهو يقر بأن أخلاق المسلمين وسلوكاتهم هي الدافع من إعجابه بهذا الدين، واعتناقه له بعد العديد من الأبحاث والدراسات التي قام بها حول الدين الإسلامي، ويعتقد غارودي أن الإسلام هو دين وحدة وتماسك، وإذا أتيحت له الفرصة وتملص من قبضة الغرب، فإنه في الوقت القريب سيصبح دين عالمي.

وهنا استلهم روجي غارودي نظريته في حوار الحضارات التي دعا فيها إلى خلق عالم واحد يشترك فيه الكل لبناء مستقبل واحد، ويكون هذا من خلال حوار الغرب مع الإسلام، دون أن يهمل دور المسلمين في اختراع واكتشاف نظريات طبقها الغرب، ونسبها إليه بحكم أنه يعتقد زيفا أنه أفضل الأجناس وأرقى العروق، رغبة منه في السيطرة على العالم وإبقاء الآخر يعيش في تبعية له، وتكمن قيمة نظرية حوار الحضارات لروجي غارودي في أن غارودي رجل غربي، ويدعو الغرب إلى مراجعة نفسه مع الإسلام، وفتح باب الحوار مع المسلمين، فالحل لكل الأزمات والحروب التي تظهر اليوم يكون من خلال انفتاح الحضارات مع بعضها بغية تكوين نظام عالمي جديد، ولا شك أن الإسلام سينتصر في هذا

الحوار، لأنه يملكك كل مؤهلات الحوار، لذا عمد الغرب الى تشويهه واقصائه.

2/ المنظور الاجتماعي للإسلاموفوبيا

هناك مظاهر عديدة للإسلاموفوبيا والتي انعكست على الجانب الاجتماعي، باعتباره جزء لا يتجزأ من الكيان الإنساني، فالإسلاموفوبيا ظاهرة تخص الأفراد، سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم، وظاهرة الإسلاموفوبيا لا تتحرك بمعزل عن المجالات الاجتماعية الأخرى، فهي تتخلل معظم المؤسسات والهيئات التي يتشكل منها المجتمع ككل، إنها ظاهرة نضال الأفراد والمجتمعات، سواء بقصد أو بغير قصد، ومن هنا فإن الدراسة السوسيولوجية لظاهرة الإسلاموفوبيا باتت ضرورية، إذ ستمكننا من فهم وتتبع التحولات التي تلحق بكيان المجتمع ككل.[8]

وتعتبر ظاهرة الإسلاموفوبيا جزء من عمق المجتمع، باعتبار أنها ظاهرة تؤثر فيه وتتأثر به، والدليل على هذا ما يعيشه المسلمون سواء في مجتمعهم أو في مجتمعات أخرى، فهي تعبر عن صورة من العنف والنظرة السلبية للإسلام وأتباعه، إذ أصبحت أساسا للتهميش الذي يعانيه المسلمون داخل وخارج الوطن، وخاصة المهاجرين للدول الأوروبية لأن الغرب فرض سياسة تحد من حرية المسلمين المقيمين في الخارج وكثيرا ما أسفرت هذه العنصرية عن أحداث عنف وجرائم مست المسلمين، مثلما حدث مع الفتاة الأمريكية ذات الأصل المصري نرة حسين التي تعرضت للضرب حتى الموت من قبل أشخاص غربيين

مجهولين أمريكيين، حيث عبرت هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر المشابهة لها عن الحقد الذي يكنه الغرب للإسلام منذ مجيئه وحتى يومنا هذا.

وقد ساهم الإعلام الغربي في نشر ظاهرة الإسلاموفوبيا عن طريق تشويه صورة المسلمين في المجتمعات الغربية، بحيث نجد العديد من الصحف والمجلات والنشرات الإخبارية، التي تقوم بالترويج لأبشع الصور عن المسلمين، وسلوكاتهم الموصوفة بالإرهاب خصوصا بعد حادثة 11 سبتمبر، و "إن التغطية الإعلامية للإسلام تتركز حول توريد بلدانهم للنفط وأنهم إرهابيون يهددون الغرب".[9]

وهذا ما أدى بالمجتمعات الغربية إلى تكوين صورة عن المجتمع الإسلامي، على أنه مجتمع إرهابي عنيف، فأصبحوا لا يتعاملون مع المسلمين وقطعوا جميع علاقاتهم بهم، وكلما مر شخص مسلم تنشأ حالة الهلع لدى الغربيين. بحيث أن الهدف هو استغلال الموارد بحجة القضاء على الإرهاب، فهدف الغرب الوحيد هو نهب الموارد والثروات الطبيعية وفقط، وذهنيته في كل ذلك أن هذه الثروات لا يجب أن تستغل من طرف المسلمين، لأنهم يشكلون تهديدا للغرب.

3/ الإسلاموفوبيا والاجتهاد السياسي

تعتبر السياسة من أهم الأسباب والدوافع وراء انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا بحيث "أصبح مصطلح الإسلاموفوبيا يستعمل من طرف جماعات سياسية لاستقطاب كتلة انتخابية أكثر اتساعا تتشبث بحق

التعبير عن كراهية الدين والمسلمين، ولكن المقلق أكثر أن إحدى الفصائل المتطرفة قد تجاوزت مستوى الخطاب إلى مستوى الممارسات فبحسبها أن التصريح بالإسلاموفوبيا هو جزء من حرية الرأي والتعبير".[10]

السياسة تقتضي التعبير عن الرأي سواء كان ذلك بالقول أو الفعل وهذا ما اتضح من خلال الممارسات الاضطهادية التي يتعرض لها المسلمون، فقد أصبحت العلاقة بين السياسة والإسلاموفوبيا علاقة ممارسات واقعية، فالسياسة عامل من العوامل التي ساهمت في ظهور الإسلاموفوبيا تحت غطاء حرية الرأي والتعبير.

وبما أن الغرب يؤمن بأن حضارته هي نهاية المطاف، لأن الدورة الحضارية متوقفة عندهم، وهذا ما فرض هيمنة الغرب على العالم، مما دفع الجميع للتخوف منها فهو " أمر يثير الخوف، والأكثر منه إثارة للخوف، هو تموضع هذه الحضارة بكل ما لها من أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية ودينية في مناطق ساخنة وملتهبة كالشرق العربي-الإسلامي، وفي إفريقيا وأوروبا أيضا، الجميع يشعر بالخطر الآن من هذه الحضارة الجديدة، ولكن الأشد خوفا هم العرب المسلمون، كون هذه القيم لا تساند قيمهم لا من قريب ولا من بعيد، فالفجوة الحضارية بين الاثنين كبيرة للغاية".[11]

ومن هنا نستنتج أن الدافع السياسي للنظام الأمريكي هو إعادة صناعة نظام جديد يتمثل في الليبرالية، والذي تفرض فيه أمريكا نفسها

كدولة قادرة على قيادة العالم نحو مستقبل أفضل، وإخراجه من الأزمات التي تؤدي به إلى التقهقر والتخلف، وتوحيده تحت غطاء الرأسمالية، ويرى بعض المفكرين ومن بينهم فوكوياما وهنتنغتون بوجوب التبعية للنظام السياسي الأمريكي، لأن السياسة الليبرالية هي الموجه الأساسي لكل المجالات، وكون أن الولايات المتحدة الأمريكية لها الحق في قيادة العالم، لأنها تتوفر على متطلبات وشروط العصر من خلال الجانبين التطبيقي والنظري، لكنهم تناسوا الخصوصية التي تتميز بها مختلف البلدان الأخرى، فما يخدم الحضارة الغربية لا يخدم بالضرورة دولة أخرى، فلكل مجتمع توجهه الخاص وعقيدة وثقافته الخاصة وقيمه المختلفة التي يسير عليها، فلا يمكن لأي مجتمع أن يتنازل عن خصوصياته لصالح الليبرالية.

ويسعى الفرد الغربي إلى نشر قيمه من خلال دحض ونقد كل ما هو غريب عنه، لكن العدو الأساسي للغرب منذ القديم هو الإسلام والمسلمين، باعتبار أن الإسلام دين يختلف جذريا عن كل ما تسعى إليه الحضارة الغربية، ووفقا لهذا "يتميز الساسة الغربيون على غيرهم بنزعة من الفزع جعلتهم يخافون من كل ما ليس غربي، كالإسلام وأهله".[12]

وهذا ما يبرر سيطرة وسيادة النظام الليبرالي على العالم، وذلك لرفض الساسة الغربيون لأي نظام آخر، حيث أن أي شيء صادر عن غير الغرب يعتبر تهديدا لمصالحهم، لأن الإسلام إذا عم في العالم سوف يسعى مثل الغرب إلى نشر مبادئه وقيمه، وتحقيق النظام السياسي

والاقتصادي الذي يخدم صالح الدولة الإسلامية، ولا يتنافى مع عقيدتها وهذا يعني ضرب مصالح الغرب، وانهاء تفرده بالزعامة على العالم للبقاء في القمة، ومحاربة كل من يحاول الوصول إلى هذه المكانة، ويعتبره الغرب عدوا له.

وكذلك الخوف من المسلمين كأشخاص لأنهم ينظرون لهم نظرة خوف ورعب وحقد، وهذه النظرة التي يرى إليها الغرب الإسلام هي التي زادت من حدة الفجوة والصراع والصدام بين هاتين الحضارتين، ولعل السبب الرئيسي لخوف الغرب من الإسلام وأهله هو جهلهم بحقيقة الإسلام، وما يسعى إليه من نشر الرفاهية للشعوب، وتحقيق أقسى درجات السعادة مع إعطاء كل السبل والطرق من أجل تحقيقها، لأن الإسلام كدين شامل يحتوي على جميع القوانين والقواعد التي من شأنها تنظم الحياة.

4/انعكاسات الإسلاموفوبيا على الإسلام والمسلمين

لقد حاول أعداء الإسلام والمسلمين تدمير الدين الإسلامي والقضاء عليه نهائيا، وقد استعملوا العديد من الأساليب والطرق لهدم هذا الدين وهذا كله بسبب خوفهم من سرعة انتشاره واقتناعهم بأن هذا الدين يشكل قوة روحية هائلة، قد تدمرهم إذا لم يسطروا عليها، وكل هذه المحاولات قد خلفت الكثير من الآثار التي انعكست على الإسلام والمسلمين من أهمها:

أ-القضاء على القرآن والسنة

القرآن والسنة هما بمثابة الدستور الثابت لحياة المسلمين، لذلك سعى الغرب إلى تدميرهما "إن تعاليم القرآن الكريم الدينية خلفت هذا الأساس المتين، وسنة رسول الله أصبحت إطارا من الفولاذ حول ذلك البناء الاجتماعي العظيم".[13]

لقد كان القضاء على القرآن وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام، من أهم المخططات الغربية الهادفة للقضاء على الإسلام، مستدلين في ذلك على أن جميع المسلمين لا يستعبدون ما دام القرآن في قلوبهم وأنهم أكثر قوة، إذا استدلوا بالقرآن وسنة المصطفى عليه الصلاة و السلام ومحاولات القضاء على القرآن الكريم بدأت مع مسيلمة الكذاب، ولاتزال مستمرة لحد الساعة، ولكنها اليوم أخذت اشكالا أخرى أما السنة النبوية فقد حاول اليهود تحريفها منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لكن علماء الحديث احبطوا محاولاتهم، ويحاول الغرب اليوم بعد فشله في تحريف القرآن والسنة أن يشوهوا هذا الدين وينعتونه بدين الإرهاب.

وشن الغرب حملة تشكيك في القرآن الكريم على يد الكثير من المستشرقين الذي انتهى المطاف بهم لاعتناق هذا الدين، الذي لم يقاوموا بيانه وقوته وتماسكه المنطقي والعقلاني ، وكان هدف الغرب الأسمى قتل القرآن ونزعه من قلوب المسلمين، لأنه بمثابة الروح التي تحرك المسلم، وتدفعه إلى السعي في هذه الحياة، وتزوده بالطاقة الإيجابية نظرا لاحتواء القرآن والسنة النبوية الشريفة على مبادئ تسير هذه الحياة، وتدفع الإنسان المسلم إلى تحقيق غايات هذه الحياة

والتحلي بالقيم وبمكارم الأخلاق وتنهاه عن المنكر وتدفعه إلى العمل وتقديس الحياة.

والحضارة القائمة على القرآن والسنة هي حضارة بطبيعة الحال تحمل في طياتها قوة وازدهارا، وعلاقة الأفراد فيما بينه في حضارة الإسلام هي علاقة تعاون وترابط "وما أدركت أمة من الناس هذه التربية القرآنية، إلا وارتفع المستضعفون فيها عن مناخ الذل الذي كان يشدهم إليه، ونزل المستكبرون منهم عن عروش تسلطهم وطغيانهم، ثم تلاقوا جميعا على سبيل معتدل من التآخي والتعاون ابتغاء عمارة الأرض وإنشاء حضارة إنسانية سليمة فوقها".[14] فما يميز الإسلام عن غيره من الديانات كالمسيحية هو أنه دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشجع على التآخي والتعاون، ويرفض الذل والخضوع لغير الله، فالمسيحية مثلا دين لا يعطي للإنسان حقوقه، وأول هذه الحقوق حرية التفكير، ولا يوجد للمرأة دور أساسي في المجتمع. ويشجع على الخضوع والتبعية والذل للغير في أبسط أمور الحياة.

لكن القرآن أعطى للمسلم الحق في العيش في هذه الحياة بكرامته وعزته، وحدد له حقوقه وواجباته كما أنه كرم المرأة وأعطى لها مكانة مركزية في المجتمع عكس ما يدعيه الغرب، ودليلنا في ذلك أن الغرب حرر المرأة ثم جعلها مجرد سلعة يعبث بها ويلهو ويتاجر بجسدها، فالتحرير ليس لتكريم المرأة في فلسفة الغرب، وإنما من أجل التجارة والمتعة والعبثية، في حين اختار الإسلام تكريم المرأة بعيدا عن الحرية

الزائفة، فلم يجد حرجا في أن يضرب بها مثلا للإيمان ويسبقها على الرجال يقول عز وجل "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12) الآية" 11، 12 " سورة التحريم، هذا وجعل الإسلام المرأة مكفولة الحقوق تحت أي ظرف من الظروف، وكرمها وحرم التلاعب بجسدها، وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بها خيرا ورفقا، والشواهد على ذلك كثيرة إلا من أبى أن ينظر في هذه الشواهد وفي تاريخ الإسلام .

ب-تفكيك وحدة المسلمين

لطالما كانت العقيدة الإسلامية متكاملة ومنسجمة فيما بينها، حتى وإن اختلفت التوجهات وتعددت الطرق فيها لكن الحقيقة واحدة، وهي أن الإسلام دين الحق، فهو يسعى إلى لم شمل المسلمين وتوحيدهم، لكن المخططات الغربية جعلت من هذه الاختلافات داخل العقيدة الإسلامية سببا لحدوث الصراع "هذه التوجهات في خدمة الإسلام كلها صبت وتصب في إيجاد الصحوة الإسلامية، وكل منها يخدم من خلال وجهة نظره، والخطر عندنا أن يكون التناقض بين هذه الاتجاهات سببا في إلغاء قوة الإسلام. المطلوب الآن –كما قلنا-إخاء واحد ووعي واحد بضمان الجميع".[15]

من خلال الاختلاف الحاصل بين أنواع الفرق الإسلامية، كالسلفية والأحزاب السياسية أو الصوفية أو السنة والشيعة استطاع الغرب أن يتدخل، ويحول الاختلاف الى فتنة وعداوة بين المسلمين، وخلق صراع ديني، وهنا يتشتت المسلمون كل حسب توجهه الخاص، وكل يعتقد أنه على الحق المطلق، ولا مجال للتشكيك في مذهبه أو انتقاده أو تنازله في مقابل وحدة المسلمين، وهذا هو الهدف الأسمى لأعداء الإسلام والمسلمين في رؤية المسلمين وهم شتات وفرقة وصراع ، وقد يكون هذا الصراع بين المسلمين من خلال الجدل، وقد يصل أحيانا إلى المواجهة بالسلاح مثل ما يحدث بين الشيعة والسنة الآن في بعض المناطق كاليمن، والصراع القائم بينهم أدى إلى التعصب في الرؤى والاتجاهات، وهذا ما خلق لنا انقسام وتصدع وحدة المسلمين، بحيث أصبح المسلمون اليوم وبكل أسف أعداء، وقد يفوق عداء بعضهم للبعض الآخر عداوتهم للصهاينة المحتلين.

وهذا ما سهل على الغرب خلق خرافة الإسلاموفوبيا محتجين على الدماء التي تسيل في المجتمعات الإسلامية، نتيجة الصراع الدائر بين أبناء المسلمين، فكيف يكون حالهم إذا ما اقتتلوا مع غير المسلمين؟ لذا يجب على المسلمين أن يغيروا نظرتهم للاختلاف بينهم، ويكون شعارهم شعار الامام الشافعي رحمه الله " ألا يصح أن نكون إخوانا الا إذا اتفقنا ألا تجمعنا كلمة لا إله إلا الله و تفرقنا مئة مسألة فقهية اختلفنا حولها " هكذا يجب أن تكون نظرتنا للاختلاف حتى نفوت الفرصة على الغرب

في تشويه صورتنا وصورة الإسلام، وعلينا أن نعي جيدا أن حبنا لبعضنا البعض لا يظهر إلا في حالة الاختلاف، فعند الاتفاق تظهر المودة، وعند الاختلاف تظهر الرحمة، ويجب أن لا يكون الاختلاف والتنوع عامل للتفرقة والابتعاد عن الدين، ونشوب النزاعات والمشاكل بين المسلمين ويجب أن لا نعطي الحجة لغيرنا لاتهامنا بالتعصب، ولا يصح أن نترك للغرب مجالا لتفكيك وحدتنا، ولابد أن يكون الاختلاف مصدر قوة لا مصدر ضعف وتفرقة، لأن الإسلام دين قوة وترابط و تآلف، والمسلمين كلما كانوا متحدين - برغم اختلافهم - كلما شكلوا بنيانا مرصوص لا يخترقه غيرهم، ولا يسمح لهم بالطعن في صدق رسالتنا ودينا، ويجب أن يكون المسلمون مثالا أعلى للشعوب، وأن تكون رسالة المسلمين للعالم هي أن الإسلام دين وحدة وتكامل، ومهما تعددت الأسباب والظروف لا يمكن لأي سبب أن يفرقنا، والاختلاف نقطة قوة فينا وليس العكس.

إننا في الوقت الراهن وبكل أسف نجد علامات الفتنة والتفرقة ظاهرة بيننا، فأصبحت الأسرة المسلمة في حد ذاتها تعيش التفكك والانهيار، وذلك بسبب الثقافة الغربية وانتشارها في أوساط المسلمين مع غياب التوعية الدينية، وانهيار الروابط الاجتماعية ناهيك عن الصراع النفسي الذي يعيشه الفرد المسلم جراء ابتعاده عن تعاليم الإسلام وهذا أخطر ما يضرب صميم الإسلام ويشوه سماحته.

ج-إفساد أخلاق وقيم المسلمين

من السهل علينا ان ندرك اليوم مع التطور الحاصل خاصة في مجال التكنولوجيا والإعلام ترويج الغرب لثقافته وقيمه على حساب أخلاق وقيم المسلمين، لأن قيم الغرب في اغلبها تقوم على عكس الدين الإسلامي الحنيف، وما اتفق منها مع الإسلام كالعدالة مثلا أنكروه على الإسلام، ويحاول الغرب ضرب القيم الإسلامية من خلال نشر مجموعة من الثقافات من خلال الفن الهابط فهناك أفلام إباحية، وهناك مجلات خليعة، وهناك كتب التربية التي تنادي بالحرية الجنسية، وهناك أساليب التخنث والترجل[16]. وهناك مواقع تحتل فضاء الانترنت هدفها افساد أخلاق المسلمين في غفلة من علماء الإسلام، وعزوف منهم عن انشاء بدائل تحرر الشباب من كل هذا.

هناك ممارسات يقوم بها الغربيون ويعتبرونها جزء من حياتهم وحريتهم الشخصية، في محاولة منهم لإقناع المسلمين بأن ممارستها شيء طبيعي، لكنها تتنافى مع أسس العقيدة الإسلامية، والشرع يجرم فاعلها نظرا لما فيها من أضرار جسمية وروحية، وفيها ما فيها من إفساد للعقل والمال مثل الخمر والعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وما ينتج عنها من أمراض جسيمة، واختلاط الأنساب وآفات اجتماعية.

وما نراه في الواقع الحالي في المجتمعات العربية المسلمة هو تجسيد وتقليد لكل ما هو غربي في كل جوانب الحياة، فقد تغيرت العديد من القيم التي كانت تميز وتفرد المسلمين عن باقي شعوب العالم، ولكننا لا نجد فرقا اليوم بين ممارسات المسلم وممارسات غيره، فالتقليد الأعمى

للغرب وصل إلى حد التخلي عن الهوية الإسلامية والتنكر لها، وشاعت في المجتمعات الإسلامية عن طريق غزو الغرب لنا أمراض اجتماعية مثل الشذوذ الجنسي، فقد أصبح ظاهرة عادية في المجتمع العربي المسلم والتي أصبحت تمارس جهارا وبشكل عادي دون احترام لمشاعر المسلمين ومبادئ الإسلام، ومن نادى وقال بجرمها رمي بالتخلف والتعصب، وأصبح الرجال في المجتمع المسلم يتشبهون بالنساء سواء كان في اللباس أو من خلال الممارسات الأخرى، وكذلك بالنسبة للنساء بحيث ترجلن وأصبحن مثلهن مثل باقي الرجال، وبات المشكل في اختلاف الأدوار التي يمارسها كلا الجنسين.

فالمسلمين الذين كانوا يعتنون بالإسلام من خلال القيم والأخلاق التي جاء بها القرآن أصبحوا الآن يجاهرون بهذه الثقافات الغربية التي لا تمت للإسلام بأي صلة، والإسلام برئ من هذه الأفعال، وسن الإسلام لهذه الأفعال العديد من العقوبات إلى جانب أنها لا تمثل الدين الإسلامي وعقيدته، ولا المسلمين وأخلاقهم، لكن هذه الأفعال تحولت إلى رمز للثقافة، ورمز للتطور والحضارة والتفتح.

وهذا مبتغى الغرب، فهو يحاول من خلال شيوع القيم الفاسدة إلى تشكيك الشباب في العقيدة الإسلامية السمحاء، بل وفر لهم كل الوسائل وسخر كل الجهود من أجل ضرب أخلاق الإسلام و إفساد قيم المسلمين، والدين الإسلامي حرم هذه الأفعال حفاظا على كرامة

المسلمين . لأن الإسلام دين الكرامة قبل أن يكون دين الحرية، فإن تعارضت الكرامة مع الحرية اختار الإسلام للفرد كرامته.

والرسول عليه الصلاة والسلام كان يتصف بالعديد من الصفات التي تمثل جوهر الإسلام منها الأخلاق، وأراد أن يجسد وينشر هذه الأخلاق بين المسلمين والناس كافة من أجل الارتقاء والسمو عن المفاسد التي تؤدي إلى انهيار الأسر والمجتمعات، وفساد الحضارة ككل، وهذه الأفعال لا تمثل الإسلام، بل هي مستوردة مثلها مثل أي بضاعة أخرى والتي لاقت رواجا واسعا في أوساط المسلمين، خاصة فئة الشباب المراهق "فالمسلم في سعيه الحضاري، وتحريكه للحياة، ينبغي أن ينطلق من الفهم المعنوي للحياة، والإحساس الخلقي بها، فكل سعيه فيها يكون محكوما بقيم الإسلام الحاكمة والضابطة لكل حركاته"[17]. هذا وعمل الغرب على تشكيك المسلمين في الحديث والكتب الصحيحة والتاريخ وتشويه رموز الإسلام، وعملوا على وصف المتبع للدين والتراث بالرجعي المتخلف، حتى جعلوا الفرد المسلم يستحي بقيم الإسلام والانتساب اليها.

ونشير هنا إلى أن الحضارة الإسلامية حضارة قائمة بالدرجة الأولى على القيم والأخلاق السامية، وإن حدث وتخلى المسلمون عن مبادئهم الموجودة والمحددة في الشريعة الإسلامية، سوف يؤدي ذلك إلى زوال الدين الإسلامي أو بالأحرى تعطيله وتجميده، لأن الأخلاق والقيم هي التي تميز المسلمين عن باقي شعوب العالم، فالرسول عليه الصلاة والسلام نبي المسلمين ووصف بمكارم الأخلاق، وكانت رسالته تسعى إلى نشر

مبادئ الإسلام باعتبارها قيم تمثل الحياة الفاضلة، وما عداها هو رمز للحياة الشقية التي تشجع على نشر الرذيلة، وليس هذا نوع من التعصب، لأننا نرى فعلا هذا ونلمسه من خلال الفساد الأخلاقي الذي تصل إليه البشرية، إذا تخلت عن توجيهات الرسل، ومن جهة أخرى فالدين الإسلامي يدعوا الى أخلاقه بالقلم والبيان، ومنطق العقل ولا يفرضها على أحد بالقوة.

والإسلام لا يكبح شهوات المسلم وإنما حددها بضوابط على المسلم أن يتبعها، فالشريعة الإسلامية هي التي تحدد سلوك الأفراد، وتبين الطرق التي تؤدي بهم إلى الفلاح والنجاح في الحياة الدنيا والآخرة، وأهم ما يتميز به الإسلام هو تركيزه بشكل كبير على الفضائل ونبذ كل الرذائل بغية للوصول بالإنسان إلى الارتقاء، فأغلب الآيات تدعو إلى الخلق الحسن وهذه الصفة هي لب ما بعث به النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكانت دعوته متممة لمكارم الأخلاق.

وما نستنتجه من مما سبق أن الإسلاموفوبيا كظاهرة ليست خوف مرضي كما يقال عنها، وإنما مجموعة من التصورات صنعت بإرادة واعية وجاء بها الغرب من خلال حملة دعائية ضد الإسلام والمسلمين وكان هذا كله بسبب الحقد الذي يكنه الغرب للمسلمين، وقد ساهمت العديد من الدراسات، وكذلك الدور الخطير لوسائل الإعلام وللساسة والمفكرين الغربيين الذين ساهموا بتضخيم هذه الظاهرة، والترويج لها وللتعبير عن عنصريتهم وكراهيتهم، كما أن لهذه الظاهرة العديد من

الفضاءات الاجتماعية والسياسية خاصة، ولن ننسى مقولة جورج بوش يوم أراد غزو أفغانستان بعد احداث الحادي عشر سبتمبر أين صرخ قائلا وأمام وسائل الاعلام العالمية " إنها حرب الصليب ضد الإسلام" . بمعنى أن القضية ليست قضية طائفة معينة بقدر ماهي حرب على الإسلام في حد ذاته.

ويتضح جليا أن لهذه الظاهرة جذور قديمة تعود لقرون سالفة فمنذ نشأت الإسلام الأولى لم يلق قبولا ورواجا من طرف الكثيرين من اهل الملل الأخرى، رغم تيقنهم من أنه دين الحق، وتطورت الأحداث والحروب الصليبية التي شكلت منعرجا حاسما لهذه الظاهرة، وأفرزت الكثير من الحقد والغل للمسلمين حتى يوم الناس هذا، وما حدث في 11 سبتمبر 2001 عمق الفجوة بين المسلمين والغرب، ووجد الغرب ذريعة لمحاربة الإسلام واتهامه بالإرهاب.

لقد سعى الغرب إلى محو كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين وحاول ولايزال يحاول الفصل بين المسلمين والقرآن والسنة الشريفة ويعمل على تدمير أخلاق الشباب المسلم، وتفريقهم وتمزيق وحدتهم وتماسكهم، كل هذا بسبب تخوف الغرب من نهضة إسلامية، وظهور الإسلام كقوة تهدد الغرب وتهدد مصالحه، وليس تخوفا من الإسلام على مصير الشعوب، وهناك فرق شاسع بين الإثنين.

الهوامش

1 -جلال العالم: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ص50.

2 -محمد البهي: المبشرون والمستشرقون، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1978، ص6.

3 -فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر حسين أحمد أمين، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993، ص123.

4-نفسه، ص56.

5 -صمويل هنتنغتون: صدام الحضارات، ص295.

6-نفسه، ص294

7-روجي غارودي: حوار الحضارات، تر عادل العوا، د ط، عويدات للنشر والتوزيع، لبنان، ص40.

8 -مختار مروفل: الإسلاموفوبيا في فرنسا، جامعة معسكر، الجزائر، ص171.

9 -تركي بن خالد الظفيري: الاستشراق عند إدوارد سعيد، ط2، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، 2015، ص77.

10 -إيدوي بلينيل: من أجل المسلمين، تر عبد اللطيف القرشي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ص23.

11 -جميل خليل نعمة: الفكر السياسي الأمريكي المعاصر وأثره على الوطن العربي، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص219.

12- الطاهر محمد البليلي: مفهوم الإرهاب في الفكر الإنساني والشريعة الإسلامية، د ط، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص18.

13 -محمد الأسد: الإسلام على مفترق الطرق، تر عمر فروخ، (د ط) دار العلم للملايين، ص39-40.

14-محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط3، دار الفكر، دمشق، 1998، ص47-48.

15 -سعيد حوى: جند الله تخطيطا، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1995، ص23.

16 -مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984، ص137.

17 -محمد عبد الفتاح الخطيب: قيم الإسلام الحضارية، كتاب الأمة، العدد 139، قطر، 1431، ص123.

ثالثا/ الفكر السياسي عند ابن تيمية وأغلوطة التنظيمات الجهادية

" ابن تيمية شخصية عصرية، يقف في منطقة وسط بين بداية الإسلام وحاضره، وأنه صاحب أضخم رد على الأديان في الإسلام، وكذلك على الشيعة، وله موقف من الأضرحة والدعاء عندها سبب له المشكلات وقتها "

جون هوفر

ثالثا/ الفكر السياسي عند ابن تيمية وأغلوطة التنظيمات الجهادية

في زمن عرفت فيه المجتمعات العربية ما يزعم انه ثورات أو ربيع عربي أدى إلى هلاك دول، وانتشرت حركات تدعي أنها حركات ذات منهج إسلامي، وأنها تستمد أفكارها من الفكر السياسي لابن تيمية، وسالت في هذا الموضوع أقلام العلماء والساسة وتضاربت آراؤهم، فوجدت أننا بحاجة إلى دراسة الفكر السياسي لابن تيمية من جديد لعله يعطينا مخارج سياسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتبط الإرهاب في اذهان الكثيرين بفتاوى ابن تيمية، في وقت أصبح الكل يدعي فيه العلم، وكذلك فإن إحياء هذا الفكر كفيل بتبيين الزيف المستتر الكامن داخل الكثير من التنظيمات الإسلامية المتطرفة، وفي مقدمتها تنظيم داعش، هذه الحركات استخدمت من طرف السياسة الامريكية، وساهمت الدولة الامريكية في صناعتها لتشويه الاسلام وسلبه من كل معطيات التمدن والتحضر، لتنقل عنه صورة اعلامية مشوهة، بغرض سد السبيل ومنع الانسان الغربي من اعتناقه بتخويفه منه.

وكان ابن تيمية باعتباره شخصية مركزية في التاريخ الإسلامي وبمساعدة من بعض الطوائف الشيعية بحكم أن ابن تيمية خير ناقد للعقيدة الشيعية عرضة للتشويه، واستخدمت بعض فتاواه بعدما فصلت عن سياقها العام وتغيير فهمها، وأصبحت كأصل لهذه الحركات الارهابية بقصد تشويه هذا الرجل، وتشويه عقيدة أهل السنة والجماعة، وفيما يلي بيان بذلك، اذ نحاول أن نبين الفجوة الفسيحة بين

فكر ابن تيمية وفكر التنظيمات الإرهابية، وقبل ذلك يجب أن نتعرف على مفهوم الخطاب السياسي وابعاده، لندرك بعدها حقيقة ما نادى به ابن تيمية من أفكار سياسية، وحقيقة بعض الحركات الجهادية الإسلامية.

1/ تعريف الخطاب

تعددت دلالات لفظ الخطاب بتعدد مجالات الدراسة التي ينتمي إليها ففهم معناه يكون من خلال السياق الذي يوجد فيه، ليعكس بذلك صورة الاختصاص المتواجد فيه، فمثلا إذا توجهنا إلى الجانب الإسلامي لكان بمثابة وسيلة للتبليغ والإرشاد، على اعتبار أنه عملية للمخاطبة يتم من خلاله صياغة الأفكار والآراء المرجو إيصالها للعالم كافة، فينتج عن هذا خطابا إسلاميا، وإذا ما لاحظناه في المجال السياسي لوجدناه كدلالة ومفهوم يعتبر قوام السياسة، وبهذا يقوم كل حقل معرفي بفرض "مسلماته واشكالياته على المفهوم، فبينما يضيقه البعض ليقتصر على أساليب الكلام والمحادثة يوسعه البعض ليجعله مرادفا للنظام الاجتماعي برمته" [1]، وعليه ونظرا لتنوع الاختصاصات فإن المفهوم الواحد يتداخل معناه أحيانا، ويتقاطع أحيانا أخرى بحسب تداخل المجالات، وقد تكمل المعاني بعضها البعض الآخر أو تتباعد، لذا يجب علينا إن أردنا تحديد دلالة الخطاب أن نحدد الاتجاه الذي ينتمي إليه.

إن تعريف الخطاب يتعدد ويتباين، ولهذا المصطلح مفاهيم لغوية واصطلاحية، بالإضافة إلى معاني وردت في القرآن الكريم، نبينها على النحو الآتي:

أ-على مستوى المفهوم اللغوي

أخذ هذا المفهوم " الخطاب " معاني لغوية متشابهة، فهذا لسان العرب يعرفه بأنه "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده"[(2)]

والخطاب كما ورد في كتاب الكليات هو" الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابا "[3].

أما هاريس الذي يعد مبتكر هذا المصطلح في المجتمع الغربي فقد عرفه بقوله "إن الخطاب منهج في البحث أي مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئا شبيها باللغة ومشتمل على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه"[4]. وبحسب رأي دي سوسير* فالخطاب هو مصطلح مرادف لـ"الكلام"[5].

ب-على مستوى المفهوم القرآني

تعدد في القرآن الكريم لفظ خطب تسع مرات وورد بصيغة خطاب ثلاث مرات في قوله تعالى (فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) الآية "23سورة ص". وفي قوله أيضا (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب). الآية" 20 سورة ص".

كما وردت هذه الصيغة في قوله تعالى (رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا)[8]. الآية" 37 سورة النبأ"، ليأخذ هذا

المفهوم في معجم ألفاظ القرآن الكريم الدلالة التالية " خاطبه ومخاطبة وخطابا: تكلم معه والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة.".

ومن خلال ما سبق نستنتج بأن المفهومين اللغوي والقرآني يتقاطعان حيث يتم على إثرهما التأكيد على الدلالة السامية لهذا المفهوم على اعتبار أن فصل الخطاب لا يأخذ معناه الدقيق والصحيح إلا إذا تلاحم واقترن بالحكمة، وكان القصد من وراء هذا إظهار وجه الحق.

ج-على مستوى المفهوم الاصطلاحي

اختلف الباحثون في تعريفهم للخطاب فهذه موسوعة لالاند الفلسفية تعطيه التعريف التالي "عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة، وبنحو خاص: تعبير عن الفكر وتطوير له وسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة"[6].

أما الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية فأعطته الدلالة التالية "التعبير عن الأفكار بالكلمات أو محادثة بين طرفين أو أكثر أو معالجة مكتوبة لموضوع ما أو حوار أو كلام"[7].

2/ حول مفهوم السياسة

أ-تعريف السياسة

إن مصطلح " السياسة " كغيره من المصطلحات ذات الدلالات اللغوية والاصطلاحية والتي أخذت معاني اختلفت باختلاف فهم الفلاسفة والمفكرين، ونوجزه فيما يلي

- على مستوى المفهوم اللغوي

السياسة في اللغة من مصدر ساس يسوس سياسة، فيقال: ساس الدابة أو الفرس، إذ قام على أمرها من العلف والسقي والترويض والتنظيف وغير ذلك، وأحسب أن هذا المعنى هو الأصل الذي أخذ منه سياسة البشر، فكأن الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب ارتقى إلى سياسة الناس وقيادتهم في تدبير أمورهم.

ولذا قال شارح القاموس: ومن المجاز سست الرعية سياسة أمرتهم ونهيتهم: وساس الأمر سياسة: قام به والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه[8].

ويذهب المعجم القانوني إلى تعريف السياسة بأنها "أصول أوفن إدارة الشؤون العامة"[9].

من التعريفين السابقين نستنتج بأن السياسة هي الطريقة التي يتم بها تنظيم حياة الأفراد داخل مجتمع ما اعتمادا على مؤسسات مختلفة يتشكل منها جهاز الدولة، وبهذا تكون ممارسة يكشف من خلالها عن بعد أساسي للإنسان، إذ من خلالها يمكن إضفاء النظام والاستقرار على الحياة الاجتماعية عبر الامتثال لمبادئ وقوانين تشرف عليها سلطة معينة ومن ثم فهي بعد يميز الإنسان عن الحيوان.

- على مستوى المفهوم القرآني:

جاء في الكلام المنزل حديثا عن السياسة والحكومة في مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم، وكلها تنطوي تحت مسلك وعنوان واحد " الإمامة الخلافة، الحكم " فكانت بذلك ضرورة عقائدية إيمانية لهداية الوجود الإنساني وإصلاح حياة الإنسان، بهذا تكون مطمحاً أساسياً لكل

إنسان، إذ ترسم إليه مبادئ العدل والحق والخير، هذه المبادئ التي تمثل شعار العقيدة الإسلامية قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" الآية " 30 سورة البقرة".

-على مستوى المفهوم الاصطلاحي

يأخذ المعني الاصطلاحي معاني كثيرة نذكر من بينها تعريف الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية حيث عرفتها بأنها " طريقة يمكننا من خلالها أن نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية وهي الوسائل التي يستطيع من خلالها بعض الأفراد والجماعات المسيطرة على الوضع أكثر من الآخرين"[10].

وهذا يعني بأن مفهوم السياسة إنما يرتبط بغاية سامية يهدف إلى تحقيقها، إذ توكل لها مهمة تنظيم الحياة الاجتماعية ورعاية شؤون الناس، فقد اختصت في اليونان بتدبير شؤون المدينة "الدولة" حيث مثلت فضاء للممارسة السياسية، ومن ثم تعد تعاريفهم للسياسة نابعة من طبيعة الظروف ومقتضيات ذلك العصر، فهذا سقراط يؤكد على أن السياسي هو الذي يتقن فن السياسة أو بالأحرى المتقن لفن الحكم، أما تلميذه أفلاطون فربط السياسة بالتربية، فكانت بذلك تهتم بعناية الحياة الجماعية، وبهذا كانت السياسة كما عند أستاذه، ليكون السياسي هو الحكيم الذي يتقن فن السياسة، وإذا كانت هذه المدلولات الفلسفية نابعة من طبيعة الحياة الاجتماعية التي عرفتها الحضارة الإغريقية فإن مفاهيمها في العصر الحديث كانت مغايرة تماما عما

سبقها، فلم تأخذ بذلك البعد التربوي الأخلاقي، وإنما أخذت غايات وسبل أخرى لتعرف معنى مختلف كل الاختلاف مع مكيافلي، حيث ارتبطت السياسة عنده بمبدأ القوة، فكانت السياسة عنده هي التمسك بمقاليد السلطة، وإبقائها في يد الحاكم بغض النظر عن الوسيلة التي تحقق ذلك "إن الغاية تبرر الوسيلة...والغاية السياسة المحافظة على قوة الدولة والعمل على ازديادها، والغرض الوحيد هو البقاء في السلطات بأي ثمن كان، وإن النجاح يبرر كل انتهاك للحرمات"[11].

من هنا نجد بأن تعريف مكيافلي للسياسة إنما جاء ليعكس حالة وواقعة سياسية معينة عرفتها أوروبا في تلك الفترة.

نستنتج من خلال ما تم عرضه بأن التعاريف تباينت من جانب لغوي واصطلاحي وقرآني إلى معاني مختلفة قدمها الفلاسفة، وكلها ترمي إلى تحديد مفهوم السياسة وهويتها، إذ نجد بأن كل فيلسوف قدم تعريفه الخاص انطلاقا من فلسفته العامة، ومن ثم كان تعريفه يتماشى مع تصوره العام ونزعته الفلسفية.

ومن خلال تقديمي لمعاني مقتضية لكل من " الخطاب والسياسة " ولما كان غرضي هنا أن أبين دلالة الخطاب السياسي، وأبحث عن المعنى الذي يحمله، وجدت بأن هذا المصطلح إنما يدل على البعد السياسي الذي يرمي إليه، فهو خطاب موجه لتحقيق مقاصد وغايات معينة. وتتجلى هذه الغاية من خلال قراءة الواقع المعيش لتكون أهداف الخطاب السياسي إما صريحة وإما مضمرة، وهذا ما نلمسه من خلال التعريف التالي " تركيب من الجمل موجه عن قصد إلى المتلقي بقصد

التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة، ويتضمن هذا المفهوم أفكارا سياسية... ويهدف السياسي من خطابه إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار والواقع، مما يجعله في حالة لها صفات وسمات وهيئة معينة "[12].

وانطلاقا من هذا القول نستنتج بأن الخطاب السياسي إنما يهدف إلى تحقيق مرامي معينة، ومن ثم كان له ميزات خاصة من بينها اللغة فلغته مختلفة، فهي ليست لغة أدبية أو رياضية وإنما لغة قصديه هادفة تستند إلى عنصرين أساسيين هما المتحدث" المخاطب". والخطاب "الرسالة "، وعليه تلعب اللغة دورا أساسيا في الخطاب السياسي فهي بمثابة جسر التواصل الذي يحدد العلاقة بين الأنا " المتحدث " والآخر " المخاطب " بهذا تفوق اللغة السياسية لغة التخاطب اليومي، فهي أداة يسعى من خلالها الفاعل السياسي إلى التأثير، فتكون بذلك لغته مرنة إذ تمكنه من ربط السياسة بالواقع.

من هنا توصلت إلى القول بأن الخطاب السياسي حقل للتعبير عن الآراء والأفكار حول القضايا والمشكلات الإنسانية من قبيل التشاور وتبادل الآراء، ليحمل بذلك الخطاب السياسي سمة الإقناع عن طريق اللغة النفعية التي تضمن مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد، والتي تعد نواة الخطاب، ومن ثم يكون الخطاب السياسي مقنعا، ويهدف إلى حمل المخاطب على القبول والتسليم بعدم تكذيب الدعوى، ويتم ذلك عن طريق توظيف الحجج والبراهين بغرض الإقناع، لتتلخص بذلك مصداقية الخطاب السياسي في مدى محاكاته للمشكلات الواقعية

والظروف الراهنة، ويمكن القول أيضا بأن هدف السياسة هو تحقيق سعادة الفرد والمجتمع، لذا كان علم السياسة في نظر الكثير من المفكرين أشرف العلوم وأنبلها على الإطلاق.

3/الفكر السياسي عند ابن تيمية

أ-حياة ابن تيمية

إنما نتطرق لحياة ابن تيمية بهدف النظر في سيرته، والنظر فيما إذا كانت فعلا سيرة تدعو لمقلديه أن يكونوا من دعاة العنف والإرهاب أم العكس من ذلك.

ابن تيمية هو الإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبوا العباس احمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن علي عبد الله ابن تيميه الحراني نسبة إلى (حران) بلدة بالشام، ولأسرة ابن تيمية في ربوع الشام قديما شهرة ذائعة ومكانة عالية في العلم والفضل والزعامة والإمامة في مختلف العلوم الإسلامية فقد كان شيخ الإسلام الشيخ مجد الدين عبد السلام (جد ابن تيمية) – كما اجمع عليه المؤرخون – متميزا في زمانه عالما بالفقه وأصوله، إمام من أئمة الحنابلة، بارعا في الحديث وعلومه، وله معرفة بالقراءات والتفسير، صنف التصانيف العظيمة والتي منها: المحرر في الفقه الحنبلي، واشتهر اسمه وشاع ذكره وعم فضله، ولد بحران سنة 590 هـ وحفظ بها القرآن الكريم، وسمع الحديث من عمه فخر الدين وغيره من حفاظ الحديث، ورحل في طلب العلم إلى بغداد عاصمة الخلافة

العباسية في سنة 603هـ، وأقام بها بضع سنين ثم عاد إلى بلده حران وبعد مدة عاد إلى بغداد فزاد بها شهرة ومكانة وإمامة، وتوفي بها سنة 673 هـ رحمه الله، وكان الشيخ شهاب الدين عبد الحليم (والد ابن تيمية) على غرار أبيه شيخ الإسلام عبد السلام صاحب علم خلق وشهرة ومكانة، قرأ الفقه الحنبلي على يد أبيه وتفوق فيه وأحكم فروعه وأصوله ودرس وأفتى، وكان إماما محققا غزير العلم وصاحب أخلاق حسنة، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ولد بحران في عاشر ربيع الأول سنة 661 هـ، ثم ارتحل والده به وبأخويه إلى دمشق فيمن هاجرا إليها من المسلمين فرارا من التتار الذين أغاروا على بلاد الإسلام في ذلك العهد، وأظهروا في الأرض الفساد، وشب ونما في كنف والده الإمام بدمشق، واستظهر بها القرآن الكريم، وتعلم حفظ الحساب في حداثة سنه، ثم أقبل بعد ذلك على الفقه وعلم العربية، ثم أقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه. كل ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة فانبهر العلماء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه، وقوة حافظته ومداركه [13].

وكان في صغره يحضر المحافل العلمية، فيناظر ويجادل ويفحم الكبار، وأفتى وهو أقل من تسع عشرة سنة، وشرع في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره، وفي تفسير القرآن أيام الجمعة في المسجد الجامع كما كان والده من قبل، واتجه إلى الحديث رواية وحفظا فرواه عن أعلامه الكبار وشيوخه كزين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي وابن أبي اليسر والكمال بن عيد وشمس الدين الحنبلي، وشمس الدين بن عطاء الحنفي، وجمال الدين الصيرفي، ومجد الدين ابن عساكر وابن

أبى الخير وابن علان وأبي بكر الهروى، والكمال عبد الرحيم وفخر الدين ابن البخاري وابن شيبان وزينب بنت مكي وغيرهم من شيوخ الحديث وقد بلغ عدد من سمع منهم أكثر من مائتين وسمع الكتب الستة والمسانيد ومعجم الطبراني الكبير، وقرأ بنفسه الكثير ولازم السماع عدة سنين، وكانت له خبرة تامة بالرجال وبالجرح والتعديل وطبقات الرواة والمحدثين، ومعرفة واسعة لفنون الحديث مع حفظه لمتونه، وبلغ من قوة حفظه أنه ما كان ينسى شيئا حفظه مع سرعة الحفظ، وكانت له قدرة عجيبة على استحضار ما تستدعي الحاجة استحضاره من الأحاديث، وكان إليه المنتهى في الكتب الستة ، والمسانيد بحيث يصدق بأن يقال فيه أن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، وأتقن التفسير أيضا [14].

وكان دؤوبا على الدرس والمطالعة والبحث والتأليف في مختلف العلوم، وكلما يزاول علما إلا ويفتح عليه فيه، وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو الفقه أو أصوله أو أصول الدين أو الرد على الفلاسفة أو أهل الملل والنحل والفرق أو غيرهم نحوا من أربعة كراريس، واشتدت الخصومات بينه وبين معارضيه ونازلهم بشدة وعنف في مناظراته ورسائله وكتبه، وحبس في الشام ومصر وفي الإسكندرية مراراً، ومات أخيراً وهو في سجن بقلعة دمشق في العشرين من شهر ذي القعدة سنة 728هـ عن سبعة وستين عاماً وثمانية أشهر وعشرة أيام. رحمه الله، وذكر ابن كثير أنه لم يتخلف عن تشييع جنازته إلا من لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، وحضرها نساء كثيرات قدرن بخمسة عشر ألفا غير اللاتي

كن على الأسطح وغيرهما، وأما الرجال فحضروا بستين ألف إلى مائة ألف وقد دفن بمقبرة الصوفية إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله تعالى [15]. سيرة حياة ابن تيمية تجعل عدوه يحترمه قبل صديقه فقد كانت حياته مسخرة للعلم ونصرة الحق.

إن المتتبع لحياة ابن تيمية والمتأمل في منهجه سيدرك دون عناء بأن ابن تيمية كان يرد على مخالفيه دون أن يجرمهم أو يمقتهم أو يقمع رأيهم ولم يكن يدعو إلى إراقة الدم رغم كثرة اتباعه وقوة شوكته وكان صابرا محتسبا، وكان موسوعة معرفية ورجل قلم إلى درجة أنه اطلع على الفكر اليوناني ونقض المنطق الأرسطي، واطلع على الإنجيل وكتب كتابة الجواب الصحيح لمن بدل قول المسيح وكتابه الرسالة القبرصية، وهذا يدل على أن الرجل كان يبطل قول معارضيه بالحجة والبيان لا بالعنف والإرهاب كما يدعي الكثير من المتعصبين اليوم ممن ينسبون أنفسهم زورا إلى ابن تيمية.

ب/فكره السياسي

يتردد كثيراً على الألسنة أن السياسة لا علاقة لها بالدين، وأن الفقهاء ميدانهم الدين والدعوة، أما السياسة فلها رجالها، وعلينا أن ندرك مبلغ الخطورة الناجمة من هذه الأفكار، إن السياسة اليوم تشكل عصب الحياة. فهل يمكن أن يتخلى الدين عن عصب الحياة؟

الغرابة في الأمر أن بعضهم ينفي خوضه في السياسة اعتماداً على ابن تيمية في حين شكلت السياسة أحد اهتمامات ابن تيمية، وكثيراً ما دخل السجون نتيجة أفكاره السياسية، لأنه أراد أن يحقق وينشر العدل

وهذه مهمة العالم المسلم، فلم يتخل عما أمره به ربه، ولنا حجة في هذا كتاب ابن تيمية الشهير المسمى "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ".

إن هذا الكتاب يعتبر منهجاً في إصلاح أحوال الدولة، واعتبر ابن تيمية الحكم أمانة، ووجب على الحاكم أن يحفظ الأمانة، ويؤديها بحقها وذلك بمراعاة التناسب بين الحقوق والواجبات، ونشر العدل وتطبيق الحدود، وهذه ليست مهمة الحاكم وحده بل مهمة الرعية أيضا، إذ وجب على الرعية مساندة الحاكم ومد يد العون له؛ حتى يتمكن من أداء مهامه على أكمل وجه.

وبين ابن تيمية أنه يجب أن ندرك أن ولاية أمر الناس من أهم واجبات الدين، ولا قيام لهذا الدين إلا بالولاية، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من وازع أو حاكم تجب له الطاعة، ويجب عليه تسيير شؤون العباد وفقا لما أراد الله.[16] وقول ابن تيمية هذا يتوافق مع السنة النبوية الشريفة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني "[17].

وأكد ابن تيمية أن طاعة الأمير دليل من أدلة وجوب الإمارة والرئاسة، فالرئاسة أحق وأوجب، وبها يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا في وجود الحاكم[18]. وهذا يعني أن وجود الحاكم ضرورة شرعية

وضرورة تنظيمية وضرورة اجتماعية، بل يمكن القول أنه ضرورة حياتية، فلا تتحقق سعادة المجتمع وطمأنينته في غياب الحاكم.

وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد وإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة الحدود لا تكون إلا بالإمارة. ولهذا يعتقد ابن تيمية أن الحياة تحت سلطان جائر ستون سنة أصلح من ليلة بلا سلطان [18]. وقول ابن تيمية هذا يتوافق مع السنة النبوية الشريفة فعن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية" [19] ، فالإمارة واجب دنيوي وديني نصلح به حالنا في الدنيا ونتقرب به إلى الله، فإن التقرب إليه فيها طاعته وطاعة رسوله وهي من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها والصراع والتنافس من أجلها، ومن أجل تحصيلها، لذا يجب أن لا نحرص على الإمارة فعن أبي هريرة أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال "إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة ".[20]

وقد أخبر الله تعالى عن الذي يؤتي كتابه بشماله أنه يقول ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾. الآيتان " 28،29. سورة الحاقة".

وغاية مريد الرسالة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون[21]. وقد بين الله تعالى في كتابه حال فرعون وقارون فقال تعالى ﴿أَولَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم

مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾. الآيتان" 28.29 سورة الحاقة"، وقال تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. الآية" 83 من سورة القصص".

وبهذا يتبين أن غاية الرياسة هي تحقيق العدل، ولا ينبغي أن تسخّر لخدمة الأغراض الخاصة أو العائلة الحاكمة؛ لأن في هذا هلاك المجتمعات، بل إن الحكم إن سخر لخدمة الأغراض الخاصة ولم يراع مصالح الناس كان خيانة للأمانة التي أمرنا الله بأن نؤديها على حقها.

وبين ابن تيمية أن الناس أصناف أو أقسام أشهرها

- القسم الأول

يريدون العلو على الناس والاستبداد والتكبر، وتحقيق مصالحهم والفساد في الأرض وهو معصية لله، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) الآية" 4 سورة القصص". فبطر الحق دفعه وجحده، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد[26]، فالمفسد يريد إذلال الناس واحتلال مكانة الله في الأرض، فتتحول الدولة وفق هذا المقتضى إلى حكم فردي شخصي، هدفه تسخير الناس للحاكم وجعلهم عبيدا له، وهذا النوع من الحكم سيكون عرضة للزوال والانتفاضة، وخروج الرعية عن الأمن العام وهذا فيه مبلغ الخطورة على الدولة.

- القسم الثاني

الذين يريدون الفساد بلا علو كالسراق المجرمين من سفلة الناس[22].

ويبدو أن هذا القسم يمكن التحكم فيه بإدماج هؤلاء الناس في الحياة العامة من خلال تحسين ظروفهم الاجتماعية، وإعادة تربيتهم من جديد على منهج السنة النبوية الشريفة.

- القسم الثالث

يريدون العلو بلا فساد كمن عندهم دين يريدون علواً في الأرض ولكنهم ليسوا بالمفسدين، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم كما قال الله تعالى﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾الآية" 139 سورة آل عمران ".

فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولا، وكم ممن جعل من اكابر القوم وهو لا يريد العلو ولا الفساد؛ وذلك لأن إرادة العلو والتكبر على الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد، فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم ونقيصة وفساد خلق، فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه، لأن العادل منهم لا يجب أن يكون مقهورا لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر، ثم إنه مع هذا لا بد له – في العقل والدين – وأن يكون بعضهم فوق بعض كما قدمناه، كما أن الجسد لا يصلح إلا برأس قال تعالى ﴿وَهُو الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ الآية " 165 سورة الانعام " وقال تعالى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّا﴾ الآية

"32 من سورة الزخرف ". فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله.

فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله كان في ذلك صلاح الدين والدنيا، وإن انفرد السلطان عن الدين فسدت أحوال الناس، وإنما يمتاز أهل طاعة الله عن أهل معصيته بالنية والعمل الصالح [23].

4/المفارقة بين الفكر السياسي عند ابن تيمية والفكر السياسي عند تنظيم الدولة الإسلامية.

أ-الأصل في الولاية والحكم عند ابن تيمية

إن الغرض من الولاية هو تحقيق العدل وتطبيق أوامر الله، ولما غلّب على الكثير من ولاة الأمور إرادة المال والترف، صاروا بمعزل عن حقيقة الإنسان وكمال الدين، ثم منهم من غلب الدين وأعرض عما لا يتم الدين إلا به من ذلك، ومنهم من رأى حاجته إلى ذلك فأخذه معرضاً عن الدين لاعتقاده أنه مناف لذلك، وصار الدين عنده في مقام العلو والعز، وكذلك لما غلب على كثير من أهل الديانتين العجز عن تكميل الدين، والجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء أستضعف طريقهم وأستذلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها.

هذان السبيلان الفاسدان – سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب، ولم يقصد بذلك إقامة الدين – هما سبيل

المغضوب عليهم والضالين -الأولى للضالين والثانية للمغضوب عليهم اليهود.

وإنما الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هي سبيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وسبيل خلفائه وأصحابه ومن سلك سبيلهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وزكاهم رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وازكي التسليم [24].

فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه، فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله، وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين وأقام فيها ما يمكنه من ترك المحرمات، لم يؤاخذ بما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار، ومن كان عاجزاً عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ففعل ما يقدر عليه من الخير لم يكلف ما يعجز عنه، فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديث الناصر كما ذكره الله تعالى، فعلى كل واحد الاجتهاد في إيثار القرآن والحديث لله تعالى ولطلب ما عنده مستعيناً بالله في ذلك ثم الدنيا تخدم الدين، فغاية الدين تحقيق مصالح العباد ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وغاية العباد تحقيق أوامر الله وعبادته، وأصل ذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. الآية" 56سورة الزخرف". ومنتهى القول أن الولاية وجدت لنشر القيم والعدالة والتعاليم الإسلامية السمحاء، ونشر الوئام بين الناس، وهذا ما أكد عليه ابن تيمية، فإن ظهر من الأمير غير ذلك قومناه بالنصيحة، ودون نشر الفوضى التي قد تضر بالمسلمين

أكثر من ضرر الظلم في حد ذاته، فعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم " من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية" [25].

فهل في هذا القول الذي رآه ابن تيمية ما يدعونا للقول بأن فكره السياسي يشكل خطرا على الأمة والمجتمع؟

ب-داعش بين الحقيقة والوهم

قبل أن أعرف بتنظيم الدولة الإسلامية المعروف باسم داعش أقول أن اختياري لهذا التنظيم في هذه الدراسة ليس عبثيا وإنما هو اختيار مدروس، لأني لاحظت أن الكثير من طلبة الجامعة الجزائرية يعتقدون أن داعش هي التطبيق الحرفي لفتاوى ابن تيمية وفكره السياسي، مما زاد من تنامي فكرة الإسلاموفوبيا في أوساط الشباب، فأردت بهذا البحث أن أزيل اللبس الحاصل في الأذهان عند بعض شبابنا، وذلك بالمقارنة بين الفكر السياسي عند ابن تيمية وهذه التنظيمات، التي لا تمت للإسلام بصلة في نظري على الأقل، وتنظيم الدولة الإسلامية كان يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يُعرف اختصاراً بـ داعش، وهو تنظيم مسلَّح يتبع الأفكار السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه -حسب اعتقادهم- إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، ويتواجد أفراده وينتشر نفوذه بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع أنباء بوجوده في دول أخرى هي جنوب اليمن، وليبيا، وسيناء، والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان.[26] وزعيم هذا التنظيم هو أبوبكر البغدادي*.

ومع تمكنهم من شبكات التواصل، أضحت داعش معروفة بفيديوهات قطع الرؤوس للمدنيين والعسكريين على حد سواء، من ضمنهم صحفيون وعاملون في الإغاثة، وعرفت داعش بتدميرها للآثار والمواقع الأثرية، وتُحمّل الأمم المتحدة داعش مسؤولية انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم حرب، كما تتهم منظمة العفو الدولية التنظيم بالتطهير العرقي على "مستوى تاريخي" في شمال العراق.

وقد استنكرت الزعامات الدينية الإسلامية حول العالم بشكل واسع ممارسات داعش وأفكارها، مؤكدين بأن التنظيم حاد عن الصراط الحق للإسلام، وأن ممارساتها لا تعكس تعاليم الدين الحقة أو قيمه، والمملكة العربية السعودية كانت أول من أدرج التنظيم كمنظمة إرهابية ومن ثم الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي ودوله الأعضاء، الولايات الأمريكية المتحدة، الهند، إندونيسيا، تركيا، سوريا، إيران وبلدان أخرى، وتشارك أكثر من 60 دولة بشكل مباشر أو غير مباشر في العمليات العسكرية للقضاء على داعش، لقد انبثق تنظيم داعش من تنظيم القاعدة في العراق الذي أسسه وبناه أبو مصعب الزرقاوي **في عام 2004، عندما كان مشاركًا في العمليات العسكرية ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة والحكومات العراقية المتعاقبة في أعقاب غزو العراق عام 2003خلال 2003-2011 حرب العراق، وذلك جنبًا إلى جنب مع غيرها من الجماعات السنية المسلحة، مثل مجلس شورى المجاهدين، والتي مهدت أكثر لقيام تنظيم دولة العراق الإسلامية في أوجها، وقيل أنها تتمتع بحضور قوي في المحافظات العراقية من الأنبار، وفي محافظة

كركوك، وأكثر تواجدا في صلاح الدين، وأجزاء من بابل وبغداد، ومع ذلك فإن محاولات تنظيم الدولة الإسلامية لإحكام السيطرة على أراضي جديدة أدت إلى رد فعل عنيف من قبل العراقيين السنة، مما ساعد على دحر حركتهم التي احكمت سيطرتها على الكثير من المناطق في العراق[27].

وفكرة تقسيم العراق لثلاث دول: دولة كردستان، الدولة الشيعية بالجنوب، الدولة السنية، ظهرت قبل الغزو الأمريكي وخلال وبعد الحرب الأهلية العراقية، حيث عارضها حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين في العراق بشدة، وفي نهاية عام 2006 أعلن مجلس شورى المجاهدين (يضم القاعدة) عن تأسيس إقليم سني/دولة سنية سميت بالدولة الإسلامية في العراق، وابتداءً من عام 2014، وتحت قيادة زعيمها أبوبكر البغدادي، انتشر تنظيم داعش بشكل ملحوظ، وحصلت على الدعم في العراق بسبب التميز الاقتصادي والسياسي المزعوم ضد السنة العراقيين العرب، وانتشرت بشكل ملفت وكبير في المحافظات السورية من الرقة وإدلب ودير الزور وحلب بعد الدخول في الحرب الأهلية السورية، إلا أن هذا التقدم توقف بعد إنشاء تحالف من عدة دول لمحاربة التنظيم يشمل دولًا عربية وإسلامية وأجنبية من بينها السعودية وإيران، وما بين أغسطس 2014وأبريل 2015، خسر تنظيم الدولة (داعش) ما بين 25% إلى 30% من الأراضي التي يُسيطر عليها في العراق.

ويسيطر أفراد تنظيم الدولة الإسلامية على مساحة كبيرة من مدينة الفلوجة العراقية، ابتداءً من أواخر ديسمبر 2013 وبداية 2014 حتى خسارتها في 2016.

وكان لتنظيم الدولة (داعش) صلات وثيقة مع تنظيم القاعدة حتى شباط/فبراير عام 2014، حيث أنه بعد صراع طويل على السلطة استمر لمدة ثمانية أشهر، قطع تنظيم القاعدة كل العلاقات مع جماعة داعش، حيث تعتبر القاعدة داعش تنظيمًا "وحشيًّا" وما قيل "الاستعصاء سيء السمعة. وفي حزيران/يونيو عام 2014، كان لتنظيم داعش على الأقل 4000 من المقاتلين في صفوفه داخل العراق، الذين بالإضافة إلى الهجمات على أهداف حكومية وعسكرية، فقد أعلن تنظيم داعش مسؤوليته عن الهجمات التي أسفرت عن مقتل الآلاف من المدنيين في آب عام 2014، ادعى المرصد السوري لحقوق الإنسان أن تنظيم داعش قد زادت قوته إلى 50،000 مقاتل في سورياو30000 في العراق، وكان الهدف الأصلي لداعش هو إقامة الخلافة وفق ما يدعون في المناطق ذات الأغلبية السنية في العراق، وبعد مشاركته في الحرب الأهلية السورية، توسع هدفه ليشمل السيطرة على المناطق ذات الأغلبية السنية في سوريا. وقد أعلنت الخلافة يوم 29 يونيو من عام 2014، وأصبح أبوبكر البغدادي يعرف باسم أمير المؤمنين إبراهيم الخليفة- وأصبح يلقب بالخليفة، والجماعة قد تم تغيير اسمها إلى "الدولة الإسلامية" فقط، ويحارب التنظيم كل من يُخالف آراءه وتفسيراته الشاذة من المدنيين والعسكريين، ويحكم بالرِّدة والشِّرك والنفاق

ويستحل دماءهم، وفي عام 2015 فقط قام التنظيم بتبنِّي خمس عمليَّات تفجير انتحارية لمساجد يحضرها الشيعة أثناء أداء صلاة الجمعة في كلٍّ من مدينة الكويت و القطيف و الدمَّام، كما قام بعملية تفجير انتحارية في نقطة تفتيش في السعودية مُستهدفًا الشرطة السعودية، بالإضافة إلى أحد المنتجعات التونسية، وتفجير أحد أسواق محافظة ديالى العراقية، وقد نتج عن هذه العمليات مقتل ما يزيد عن 190 مدنيٍ [28].

واستنادا إلى هذه الإحصائيات يمكن القول بأن منهج هذه الحركات هو منهج القتل لا الحوار والإقناع على عكس منهج ابن تيمية الذي قام على الحجة والبيان من السنة والقرآن.

ويقوم المنهج العام لشيخ الإسلام ابن تيمية على الأسس التالية:

– عدم الثقة كل الثقة في العقل أثناء الحكم على العقائد من حيث سلامتها أو بطلانها، وخصوصاً في المتشابهات من الأمور، وكذلك في إدراك ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، فالعقل ليس بمستقيم الإدراك في الوصول إلى الحقيقة منفرداً، كما أن ابن تيمية يرى أنه من الواجب أن يكون العقل خاضعاً للقرآن والسنة في أخبار الآخرة.[29]

– عدم إتباع أي مذهب من المذاهب إلا بدليل من القرآن والسنة وآثار السلف، ولا يعني هذا أن يكون المتبوع صاحب شهرة وصيت وعلم فالدليل سيد الإتباع[30].

– الدين أصله القرآن بتفسير من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى ذلك الصحابة بالاتباع، وحفظوه وفهموه بإحسان، وكان ابن تيمية يدعوا إلى الاحتكام إلى أهل القرون الثلاثة الأولى[31].

– عدم التعصب للرأي والجمود بفكر معين، فقد درس ابن تيمية المذاهب الإسلامية كلها، وعرف تاريخ كل فرقة ومنهاج كل نحلة وعقيدة كل طائفة، وكان يتعصب للحق لا للمذهب [32].

وبالنظر إلى هذا المنهج ندرك بأن ابن تيمية اعتمد منهج ذو قواعد قوية، فهو يقدم الشرع على العقل في أخبار الآخرة، ويستدل بالقرآن وأحيانا يسبق العقل عن الشرع في أمور الدنيا، وقد طبق هذا المنهج في التفسير والعقيدة وفي الرد على المتكلمين والفلاسفة، وفي التأصيل للسياسة والحكم، وتشهد كتبه ومؤلفاته أنه كان رجل علم وحكمة، ولم يدعُ إلى التقتيل والتنكيل وسفك الدماء رغم ما تعرض له من ظلم من قبل حكام عصره، وكان بإمكان ابن تيمية أن يحدث فتنة وفوضى ضد حكام عصره، لكنه كان حليما يحافظ على النفس، ويحرم سفك الدماء ويدعو إلى الحكمة والتعقل حفاظا على المجتمع الإسلامي، وكان يحارب الظلم بالقلم لا بالفتنة، ولم يكن متعصبا لنفسه أو مصلحته، وأمر بمحاربة الظلم بالحكمة والموعظة، ونصح الحكام بالرأي إلى إقامة العدل ونصح الرعية بالامتثال إلى الحق، وهذا ما يظهر في قوله (تعاون على البر والتقوى، من الجهاد وإقامة الحدود واستيفاء الحقوق وإعطاء المستحقين، فهذا مما أمر به الله ورسوله، ومن امسك عنه خشية أن يكون من أعوان الظلمة فقد ترك فرضا على الأعيان ...وعلى أن الواجب

تحصيل المصالح وتكميلها، وتبطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناها هو المشروع، والمعين على الإثم والعدوان من أعان الظالم على ظلمه)[33].

إذن يريد ابن تيمية للجهاد أن يكون وسيلة لإحقاق الحق ورفع الغبن عن المظلوم، وليس الجهاد بالسيف فقط، فقد يكون الجهاد بالنصح وتوجيه الغير، لكن تنظيم الدولة الإسلامية داعش تأسس بغير تأصيل فنحن لا نعلم لهم شيخا معروفا، ولا نسبا شريفا ولا منهجا قويما سوى القتل بغير وجه حق، قتل بتعصب يوجه إلى كل من خالفهم الرأي، حتى وإن كانت حجته من الكتاب والسنة، فزاد نفور الناس من الإسلام بسبب ما ارتكبوه من مجازر، في حين أن منهج ابن تيمية كان يقوم على الحوار والإقناع والترغيب في كتاب الله وسنة رسوله، وكان داعيا إلى الله بالحكمة والحوار وواعظا لمن خالفه، لذا قال فيه قاضي المالكية **"ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا"[34]. وفي هذا الاعتراف تلميح صريح بسماحة الرجل وعفوه عند المقدرة. فهل نلمس هذا عند التنظيمات الجهادية واخص بالذكر تنظيم داعش الذي كان شعاره القتل وسفك الدماء؟**

يمكن ان نستنتج بعد هذه المقارنة بما يلي:

- يقوم منهج ابن تيمية على إتباع ما جاء في القرآن والسنة، وينبذ التعصب للمذهب، ولا يشترط في العالم المتبع أن يكون ذا صيت وشهرة وإنما الدليل سيد الإتباع، لذا لا تراه يتكلم في أمر إلا وكان لديه دليل من الكتاب والسنة.

- إن ابن تيمية رغم تركيزه على ضرورة أن يكون الحاكم عادلا وصالحا لا يدعو إلى الخروج عليه وإثارة الفتنة، والاستعانة بكافر أو مشرك لعزل حاكم مسلم، وحسبنا في ذلك أنه رغم ما لاقاه من ظلم وسجن إلا أنه وقف مع حاكم مصر أثناء غزو التتار لمصر، وجند الناس وطرد التتار، وحمل السيف وجاهد إلى جانب حاكم كان له سجانا، ورغم أن قائد جيوش التتار قازان كان يدعي الإسلام ويرفع راية لا إله إلا الله ومعه بعض المسلمين إلا أن ابن تيمية وقف ضده، وجاهد مع حاكم مصر رغم ما كان بينهما من خلاف.

- يتمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة يتكلم فيها بما في ذلك السياسة، لذا كانت آراؤه السياسية موافقة للسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهدفها الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع وحفظ دماء المسلمين.

- إن الحركات الجهادية الإسلامية لا صلة لها بابن تيمية، ودليلنا في ذلك أن ابن تيمية كان يملك شوكة في زمنه، ولم يثر أو يدعو إلى الثورة والفتنة رغم ما لاقاه من ظلم من طرف الحكام آنذاك على عكس الحركات الجهادية التي تفتقد إلى الشعبية اللازمة، ورغم ذلك تقوم بثورات ضد المسلمين، وتثير الفتن، ولا تميز في حربها بين مجند وغير مجند، وبين مقاتل وأعزل.

- ويمكن القول بأن هذه الحركات الجهادية هي جزء من المخطط الأجنبي الغربي المعادي للإسلام الذي يحاول تشويه صورة الإسلام، وإثارة الفتن داخل المجتمعات الإسلامية لا أكثر، وطريق نفاذ هذه الجماعات

وانتشارها كان جهل الأمة بفكر أسلافها خاصة ابن تيمية، فهم يأخذون جزءاً يسيراً جدا من فكر ابن تيمية ويراوغون به العامة، لأنهم يعلمون أن العامة اليوم جاهلة، ولا تبحث ولا تغوص في بطون الكتب، ولا تبحث ولا تتحقق مما يعطى إليها.

- الفكر السياسي لابن تيمية هو فكر مدني عادل، قام على ضرورة وجود ولي الأمر ووجوب طاعته، كما نادى بضرورة تطبيق القصاص وفقا لشرع الله، فما أحوجنا إلى علماء اليوم يتصدون للحكام الظلمة بالقلم والبيان، ويتصدون لعدوهم بالسيف والجهاد كابن تيمية، وما بال علماء اليوم يضعون أيديهم في أيدي أعدائنا ليعزلوا حكاما ويحطموا مجتمعات بحجة إرساء الديمقراطية وتجاهلوا قول الله عز وجل ﴿ كيف يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾. الآية" 7 سورة التوبة".

كما أن ابن تيمية استمات في دفاعه عن أسرى اليهود والنصارى الذي وقعوا في يد غازان، وطالب بفك أسرهم إلى جانب أسرى المسلمين وهذا ما جاء في خطابه الموجه لملك قبرص إذ يقول ابن تيمية " **وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان وقطلوشاه وخاطبت مولاي فيهم، فسمح بإطلاق المسلمين قال لي : لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفكهم ولا ندع أسيرا، لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة واطلقنا**

من النصارى ما شاء الله، فهذا عملنا واحساننا والجزاء على الله"[35].

لقد دافع ابن تيمية عن أهل الذمة وفاوض من اجل فك أسرهم وحمل نفسه مسؤوليتهم. فهل يصدر سلوك كهذا عن رجل نتهمه بالإرهاب؟

- لا تزال الحركات الجهادية ومنها تنظيم الدولة الإسلامية داعش تستقطب الشباب إليها بحجة أن فكر داعش هو نفسه فكر ابن تيمية وهنا مبلغ الخطورة على الشباب المسلم، وعلى الدول الإسلامية توعية الشباب المسلم بالمفارقة الحاصلة بين ما جاء به ابن تيمية، وبين ما تتبناه الحركات الجهادية كداعش.

- هناك سوء فهم من الشباب الإسلامي في كثير من البلدان لفكر ابن تيمية، لذا تحول الكثير منهم إلى آلات صماء ما يهمها هو الصراع على السلطة، ويجوز في هذا الصراع استخدام كل الوسائل وأصبح شعارنا التنافس والصراع من أجل الولاية والحكم.

الهوامش

1-محمد صفار: تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة مجلة النهضة مج السادس، العدد الرابع 2005م، ص.100

2- ابن منظور: لسان العرب، مطبعة دار الجيل ودار لسان العرب، مج 2،د ط 1988م، ص .856

3- أبوالبقاء الكفوي : الكليات، عدنان درويش ومحمد المصري، مطبعة مؤسسة الرسالة، د ط، 1992م،ص419.

4- ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب،ترجمة: عز الدين إسماعيل،القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1 2001م،ص30.

* فردينا ندي سوسير de Saussure (1857-1913م) عالم لغويات سويسري من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث اتجه إلى دراسة اللغات دراسة وصفية على اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية، من أعماله محاضرات سوسير في الألسنية العامة.

5- فرحان بدري الحربي: السلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) مجلد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 2003م، ص.39

6-إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، مركز الإسكندرية للكتاب، مج 1 ط1، 2005م، ص.195

7- لالاند الموسوعة الفلسفية، منشورات عويدات باريس، مج 1، ط2، 2001 م،ص287.

8- معجم ألفاظ القرآن الكريم: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية مج1996،2، ص 359.

9- المرتضي الزبيدي: معجم تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي بيروت، مطبعة الكويت، مج 1984،4م، ص169.

10- حارث سليمان الفاروقي: المعجم القانوني، مكتبة لبنان بيروت، د ط، 1970م ص102.

11- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية ص.246

12- موزه احمد راشد العبار: البعد الأخلاقي للفكر السياسي والإسلامي عند الفارابي والماوردي وابن تيمية، رسالة ماجستير في الفلسفة، رسالة غير منشورة، 2000م ص 309.

13- ابن تيمية : الفتاوى الكبرى، مقدمة المترجم، مج 1، دار المعارف بيروت، د ت ص.11

14- المصدر نفسه، ص 13

15- المصدر نفسه، ص15

16- ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1990، ص .169

17- احمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مج13، مكتبة الصفا القاهرة، 2003 ص 133.

18- ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1990، ص 169

19- احمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مج 13، ص145

20 – المصدر نفسه، ص150

21 ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1990، ص 170

22- المصدر نفسه ص 171

23- المصدر نفسه ص 171

24- المصدر نفسه ص 171

25- احمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مج 13، ص145

26- تنظيم الدولة الإسلامية داعش: https://ar.wikipedia.org/wiki

27- تنظيم الدولة الإسلامية داعش: https://ar.wikipedia.org/wiki

*- ابوبكر البغدادي : هو إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي المولود بتاريخ 1971 بالعراق تسلم أبوبكر البغدادي دفة القيادة لتنظيم ما يعرف آنذاك بـ"دولة العراق الإسلامية "في عام 2010، خلفاً لأبوعمر البغدادي الذي تم قتله في نفس العام. فقد كان وريث تنظيم عنيف وضعيف، إن صح القول، إلا أنه عند استلام البغدادي دفة القيادة، استطاع وخلال فترة وجيزة من إعادة ترتيب أمور التنظيم وقيامه خلال سنوات قليلة من احتلال أجزاء واسعة من العراق وسوريا. ومن ثم إقامة" الدولة الإسلامية " المزعومة ونصّب نفسه خليفة عليها، بعد أن أعلن عن انفصال التنظيم عن التنظيم الأم" القاعدة".

انظر <<https://ar.wikipedia.org/wiki/>>

**- الزرقاوي: هو أحمد فاضل نزال الخلايلة وكنيته أبومصعب الزرقاوي 30 أكتوبر 1966 كان عضوا في تنظيم القاعدة في العراق، قاد معسكرات تدريب لمسلحين في أفغانستان، اشتهر بعد ذهابه إلى العراق لكونه مسؤولاً عن سلسلة من الهجمات والتفجيرات خلال حرب العراق، أسس ما سمي بتنظيم" التوحيد والجهاد "في التسعينيات والذي ظل زعيمه حتى مقتله في يونيو2006 كان يعلن عن عدة هجمات في العراق بينها تفجيرات

انتحارية وإعدام العديد من الرهائن رهائن، عرف لاحقاً بزعيم تنظيم ما يسمي" قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين "الذي هوفرع تنظيم القاعدة في العراق.. انظر << https://ar.wikipedia.org/wiki/>>

28- تنظيم الدولة الإسلامية داعش: https://ar.wikipedia.org/wiki

29 . سيد الجميلي: مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره، (د.ت)، ص .111

30- المرجع نفسه، 112

31 . محمود مهدي الإستامبولي: ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، منشورات دار الحياة للطباعة والنشر، (د.ت)، ص .75

32 . المرجع نفسه، ص 76

33- ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 51، 52

34- الدراجي زروخي : ابن تيمية كما يجب أن يفهم؟ دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية. الجزائر،2013 ص9

35- ابن تيمية الرسالة القبرصية ، ط1، دار ابن حزم ، ط1، بيروت،1987،ص40

رابعا/ قراءة جون بودريارللسياسة العالمية وتصدع مصطلح الإسلاموفوبيا

"إرهاب ضد إرهاب ليس هناك إيديولوجيا وراء كل هذا، ذلك أننا صرنا من الآن فصاعدا فيما وراء الإيديولوجيا أو السياسة"

جون بودريار

رابعا/ قراءة جون بودريار للسياسة العالمية وتصدع مصطلح الإسلاموفوبيا

القرن الواحد والعشرون هو قرن الثورة المعرفية بامتياز، لعل هذا هو العنوان الاجمالي لتلك الطفرة الحضارية التي ستنقل كوكبنا إلى قمة الانفجار المعلوماتي، وقد عرف هذا القرن مجموعة من التغيرات المعقدة والمتداخلة فيما بينها التي تميز بها مختلف المجالات، وشملت حتى المصطلحات والمفاهيم، كما شملت هذه التغيرات المجال الاقتصادي السياسي، الاجتماعي والثقافي، وفي ظل ما يحدث الآن نلاحظ كل أطياف المفارقة، فالمرحلة الراهنة تتسع لكل التناقضات، حيث تتعايش فيها المفارقات الكبرى، إنها مرحلة التواصل والانقطاع، التعددية والاندماج الرفاهية والمجاعة، السلم والحرب والأيديولوجية، ونهايتها العالمية والمحلية، التضامن الاقليمي والتجزئة، لقد تغير الوضع الدولي بشكل جذري حيث لم يعد هناك حلفاء ولا أعداء دائمون، وتجذرت فكرة المنفعة الى درجة اتحاد المتناقضات من أجل تحقيقها، ولم يعد هناك عمل مستقر و دائم، لكن فرص العمل موجودة، ومن هنا تشكل نظام عامي وفق أسس لم تعد ممنهجة، وتأسست فيه أحكام قد تضفي على المستبد القوي صفة العدالة والديمقراطية، وفي ذات الوقت قد ينعت دين رباني انساني بالإرهاب، وهذا ما سيوضحه لنا جون بودريار من خلال تفكيكه لظواهر الواقع الدولي الحالي، حيث ينتهي من خلال تحليله هذا إلى تنزيه الإسلام وتبرئته من تهمة الإرهاب التي لفقتها له

الدول الغربية من أجل إبقاء سيطرتها على العالم. وهذا ما سنبينه من خلال العناصر التالية

1/ السياسة الردعية للنظام العولمي

ينتقد جان بودريار مشاريع الامبريالية الغربية بما فيها العولمة، وقام بشرح ظاهرة العولمة بعمق، وتبيين علاقتها مع العام والخاص، وكشف مآربها الحقيقية والخفية.

أ-العنف العولمي

سننطلق من المقولة التالية لجون بودريار "هناك بين لفظتي العالمي والعام تشابه خادع، أن العمومية هي عمومية حقوق الإنسان والحريات والثقافية والديمقراطية، أما العولمة فهي عولمة التقنيات والسوق والسياحة والإعلام، تبدو العولمة ذات اتجاه لا محيد عنه في حين أن العام في طريقه إلى التلاشي"[1]، ومنه فإن العولمة تتمظهر كجانب سلبي لشمولية التقنية التكنولوجية التي لا خلاص منها في عالمنا اليوم، أما العام الذي يقصد به الكوني أو البعد الإنساني في تمظهره السياسي الأخلاقي، فهو في طريقه إلى النهاية، بمعنى أن العولمة تسير في اتجاه واحد هو فرض سيطرة ثقافة الدول العظمى، وانهاء التعدد و الاختلاف.

ويؤكد جون بودريار هذا بقوله " أن كل ثقافة تعمم تفقد خصوصيتها وتموت، هكذا كان أمر كل الثقافات التي دمرناها بدمجنا إياها بالقوة، وكذلك بثقافتنا التي تتطلع إلى العام، الفرق أن الثقافات الأخرى ماتت من خصوصيتها وهو موت طبيعي في حين أننا نموت من فقدان كل خصوصية، ومن استئصال كل قيمنا وهو موت عنيف"[2].

حيث يرى بودريار أن كل عام يهلك في العولمة، وهذه الأخيرة تصنع نهاية كونية القيم، فهي تأسيس للنظام الواحدي لا الكونية القيمية بمفهومها الشامل.

ويعتقد بودريار بأن " العام كان فكرة حين تحققت في العالمي وانتحرت كفكرة كغاية مثالية، أما وقد صار الإنساني هيئة مرجعية وحيدة أما وقد احتلت الإنسانية للمحايثة لذاتها المكان الفارغ للإله الميت يسود الإنسان وحده من الآن فصاعدا، لكنه لم يعد يملك سببا نهائيا، وبما أنه لم يعد يملك عدوا، فهو يستولده من الداخل"[3]، وهذا يعني أنه بعد إعلان موت الإله، وتولي الإنسان المركزية الكونية عمل على إقامة عالم متحرر من كل نظام طبيعي سواء أكان نظام الجسد أو الجنس أو الولادة أو الموت.

ثم يطرح بودريار سؤال: من يستطيع أن يفشل النظام العالمي؟

يقول بودريار " إن ما يسعه أن يفشل النظام ليست البدائل الإيجابية بل الخصوصيات، إنها الخصوصية التي تنتقم لكل الثقافات الخصوصية التي دفعت تلاشيها ثمنا لإقامة هذه القوة العالمية الوحيدة ليس المقصود إذن صدمة حضارات بل مواجهة انتربولوجية"[4]، هكذا يرى بودريار بأن المواجهة هنا بين المغايرة الراديكالية للخصوصيات الثقافية والكونية الفارغة المنشأ بمجتمع الاستهلاك الراهن، ولكن هذه الخصوصيات قد تنشأ داخل هذا المجتمع أو خارجه، ولهذا لا يتعلق الأمر بصراع الحضارات، وينتقد هنا ما في الغرب من عجز متأصل من تصور حياة مختلفة مغايرة للنمط الغربي.

وبهذه الصفة فإننا نفرض على الخصوصيات الدخول راضية أو مرغمة في النظام العالمي، وأما التلاشي ومهمة الغرب هي إخضاع الثقافات المتعددة بكل الوسائل وشتى الطرق، ولو كانت إبادة الانسان المعارض لسياستها، ولننظر هنا ونتأمل ونتساءل أي إرهاب هذا؟

وينتقد بودريار الامبريالية الغربية ويفضحها، لأنها تحقق كونيتها الإنسانية بالدرع العسكري للحلف الأطلسي بعيدا عن الحوار والإقناع وهذا ما يسمى بالعنف الغربي، يقول 'بودريار "إن أساس كل سيطرة غياب المقابل دوما حسب القاعدة الأصولية أن الهبة من طرف واحد هي فعل السلطة وامبراطورية الخير وعنف الخير"[5]، بحيث يرى بودريار أن هذا لا يعني انتصارا للعولمة، بل هي انفعال عنيف لهذه الحياة الأسيرة.

ويؤكد بودريار على أن" **أن العنف الذي نشهده اليوم هو عنف رد الفعل، عنف رمزي الخصوصية مقابل العنف الرمزي والمادي العولمي هو ضد العنف العالمي الذي هو عنف يلاحق كل شكل من أشكال السلبية والخصوصية"**[6].بمعنى أن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس القهر والوصاية على الكثير من الشعوب المغلوب على أمرها، كما هو حاصل في بعض البلدان العربية، فإذا انتفضت هذه الشعوب وقاومت نعتها الاعلام الأمريكي بالشعوب العنيفة والإرهابية، ونعت دينها بالدين العنصري الإرهابي.

يقول بودريار "يجب لفهم كراهية باقي العالم نحو الغرب أن نقلب كل المنظورات، ليست كراهية أولئك الذين أخذنا منهم كل شيء ولم نرد لهم شيئا، بل هي كراهية الذين أعطيناهم كل شيء دون أن يتمكنوا

من رده"[7]، إنها ليست كراهية انتزاع الملكية والاستغلال بل هي كراهية الإذلال، وعلى هذه الكراهية إنما يجيب الإرهاب 11 سبتمبر إذلال ضد إذلال، حتى وان كنت شخصيا أرى بأن احداث 11 سبتمبر مدبرة من اللوبي الصهيوني.

وعبرت حنة أرندت* عن ردود أفعال الشعوب المقهورة بقولها "حيث اعتبرت العنف المعاصر عنف عقلاني، ليست الغلبة هدفه ولا النصر أعز مطالبه، بل إنه يسعى أساسا إلى إخضاع الخصم وإضعافه عن طريق الكثير من الوسائل، وعلى رأسها التسابق نحو التسلح الذي لا يعتبر إعدادا للحرب واستعدادا لها بقدر ما يعد وسيلة لتقوية هذا الإخضاع وأقوى ضمانة للسلم"[8].

وتقول أيضا "ما آثار هذه التأملات لدي إنما هو الأحداث والسجلات التي دارت خلال السنوات القليلة الماضية منظورا على خلفية القرن العشرون، قرن الحروب والثورات، فالحال أن أدوات العنف قد تطورت تقنيا إلى درجة لم يعد من الممكن معها القول بأن ثمة غاية سياسية تتناسب مع قدرتها التدميرية أو تبرر استخدامها حاليا في الصراعات المسلحة"[9]، وهذا ما وصفه بودريار بالإفراط في العنف وفي الهيمنة الذي ميز العالم المعاصر، ولم تفرق حنة أرندت بين العنف والسياسة، وهذا العنف الكبير لن يتوقف وسيبقى في تنامي، وأن العنف هو سلاح المستضعفين، بحيث لا يمكن تصفية الاضطهاد والعنصرية إلا بالعنف الذي يقابل عنف آخر للطبقة المهيمنة، وعلينا أن نتساءل هنا: من المسؤول عن العنف صاحب ردة الفعل أم صاحب الفعل نفسه؟

ب. الإرهاب ونهاية السياسي

يأخذ المفكرون المعاصرون بتنقيبهم عن جذور الإرهاب فيردونه تارة إلى أصول دينية، وتارة أخرى إلى طبيعة بيئة جغرافية أو عرفية، بينما ينعطف بودريار مخالفا أسلوب البحث السابق معطيا تفسيرا جديدا لظهور الإرهاب وتفاقمه كظاهرة معاصرة، حيث يقول " **ليس الإرهاب الراهن حفيد تاريخ تقليدي للفوضى والعدمية وللتعصب إنه معاصر للعولمة**"[10]، بمعنى أن بودريار يرى أن الإرهاب هو وليد العولمة، وليد هذا النظام العالمي الذي يكرس مفهوم الإقصاء، الذي يجعل نفسه مكان الإله الميت، ويصف وضع النظام العالمي الحالي بأنه في محل غيره ضاربا غيره من الثقافات، ولا مبال، وذا مستوى وضيع إزاء الثقافات ذات مستوى الرفيع، ثقافة النظم الخائبة المفرغة ، ثقافة المجتمعات الخالية من القدسية إزاء الثقافات أو الصور القربانية بالنسبة لنظام كهذا.

يقول بودريار " كل شكل عاص هو بالقوة إرهابي"[11]، ومنه فإن هذا النظام هو أيضا شكل من أشكال الإرهاب بالنسبة للثقافات والحضارات الأخرى، ويقول ايضا "إرهاب ضد إرهاب ليس هناك إيديولوجيا وراء كل هذا، ذلك أننا صرنا من الآن فصاعدا فيما وراء الإيديولوجيا أو السياسة"[12].

وفي هذا ينتقد أطروحة صامويل هنتنغتون الذي يرى أن الصراع والصدام القادم هو صدام الثقافات والحضارات يقول بودريار " **ليس ذلك إذن صدمة الحضارات ولا صدمة أديان، كما يتجاوز الإسلام وأمريكا اللذين نحاول تركيز الصراع بينهما كي ما نمنح أنفسنا وهم**

صراع مرئي وحل يتم بالقوة، إنها فعلا خصومة أساسية لكنها تسير عبر شبح أمريكا التي ربما هي المركز الأساسي، لكنها ليست تجسيد العولمة لوحدها عبر شبح الإسلام الذي هو الآخر ليس تجسيد الإرهاب إلى العولمة المنتصرة في صراعها مع ذاتها"[13]، ومنه ينفي بودريار فكرة أن يكون الإرهاب صناعة إسلامية، إذ يرى أنه لو كان الإسلام مسيطرا على العالم لوقف الإرهاب ضد الإسلام، ذلك أن العالم نفسه هو الذي يقاوم العولمة، وبذلك فهو يرى أن الإرهاب كالفيروس في كل مكان، وهناك انتشار عالمي للإرهاب الذي بات شأن الظل الملازم لكل نظام هيمنة.

يقول بودريار "عندما يكون الموقف محتكرا على هذا النحو من قبل القوة العالمية، وعندما تكون حبال هذا التركيز لكل وظائف الآلية التكنوقراطية والفكر الأحادي في أي سبب آخر يمكن سلوكه عبر التحويل الإرهابي للوضع"[14]، وبالتالي نجده يقر بأن الإرهاب هو صراع مقابل صراع، فالطاقة التي تغذي الصراع لم تعبر عنها إيديولوجية ولا أي قضية حتى لو كانت إسلامية، ويصرح أنه لا حاجة لأن يكون المرء إسلاميا أو داعيا إلى حقيقة عليا كي يحدد أنّ هذا النظام العالمي غير مقبول سواء كان هذا الرفض الإسلامي أصوليا أم لم يكن، فنحن نشاركه فيه، إذ أنّ الاحتكار الأمريكي إنّما يعبر عن الافراط في الهيمنة وهذا الإفراط في الهيمنة يولد ردة فعل عنيفة من طرف المضطهد في شكل سلوك إرهابي.

ويرى بودريار أن انهيار الأبراج في11 سبتمبر 2001م هو الحدث الرمزي الأكبر، فيتساءل هل تحطم البرجان أم انهارا؟، يقول بودريار" في

الواقع البرجان يشكلان في نفس الوقت موضوعاً ماديا، معمارياً وموضوعا رمزيا، رمز القوة المالية والليبرالية العالمية، وفي الواقع انهيارهما الرمزي أدى إلى انهيارها المالي، كما لو أن هذه القوة المتكبرة وقعت فجأة تحت وطأة قوة أكبر"[15]، وبالتالي فإن الإرهاب لا أخلاقي وحدث المركز العالمي للتجارة لا أخلاقي، هذا التحدي الرمزي لا أخلاقي ويرد على العولمة فهي الأخرى لا أخلاقية.

فمثل هذا النظام يرى في كل شكل عاص عليه، ولا يتبعه ولا يخضع له، يرى فيه إرهابيا مفترضا هكذا حال أفغانستان، فالعالم الحر لا يتحمل منع بلد ما من كل حريات الديمقراطية، ونقاش الإرهاب لا يمكن أن نربطه بدين أو قوم أو أفنية أو ما شابه، وانبعاث هذه الحالة هو رد على منطق الهيمنة العالمي وعلى النزعة الإمبراطورية، وهذا ما أطلق عليه روجي غارودي* اسم الإرهاب الغربي، فقد أراد الأمريكيون منذ نهاية البربرية القديمة بهزيمة هتلر أن يقدموا دليلا واضحا على ميلاد قوة تدمير جديدة لردع أي منافس محتمل ينازعهم على هذه الهيمنة يقول غارودي "ولذلك أعطى الرئيس 'ترومان' أوامره في السادس من أغسطس عام 1945م بإلقاء قنبلة ذرية بقوة 2500 طن من المتفجرات التقليدية على هيروشيما مما أدى إلى مقتل 8000 ألف شخص، بالإضافة إلى 1000 ضحية، وآخرين من المصابين بالإشعاع إلى المعرضين للموت بالسرطان ثم 2000 قنبلة على مدينة نجازاكي، ولم تكن هذه الجرائم لتقع دون أن تثير أشياء عالمية، وقد أعلن البيت الأبيض جهازا عينة الهجوم على مركز التجارة العالمي، أن الأمر يتعلق بمرحلة جديدة من

حرب أفغانستان هذه الرؤية تسمح لها كذلك بتكوين حقدها على الإسلام"[16].

وهكذا تتضح لنا الممارسات الإرهابية الغربية التي أوضحت أنّ النظام الأمريكي لا يتبنى مشروع السلام، بل يخدم مصالحه الخاصة ويتضح لنا مدلول 11 سبتمبر، فهو ليس تعبيرا عن المواجهة بين الإسلام والمسيحية، ولا بين الشرق والغرب، ولكن هذا ما يريده المتآمرون الأمريكيون أن يقود القرن الواحد والعشرين وفق سيناريو هنتنغتون، وعلى الغرب الرأسمالي الاستعماري أن يبحث عن مناهج يمكن أن تضمن له بقاء سلطته وهيمنته على العالم بعد أن أضحى يعاني من العديد من التناقضات الداخلية، وهذا ما اتفق عليه كل من بودريار وغارودي في تحليل وانتقاد النظام العالمي، الذي يقوم على سياسة القمع والتهميش التي لا تقل شأنا عن الإرهاب، وهي التي تولد الإرهاب لدى الآخر، ويمكن أن نقول بأن الإرهاب ولد من رحم الممارسات التعسفية الغربية واستعبادها للآخرين.

2/السياسة الاستهلاكية للنظام الرأسمالي ودورها الإرهابي

يبدأ بودريار نظريته بنقد الاقتصاد السياسي عبر مراجعة لما قدمه ماركس في منطق القيمة ليكشف أبعاد أخرى من القيمة تحمل بعدا رمزيا.

- منطق الاستهلاك رباعي القيمة

حصر كارل ماركس منطق القيمة الاستهلاكية إلى منطقين هما:

- قيمة الاستعمال التي تحدد من قيمة السلطة.

- القيمة التبادلية التي تصنع معايير التمايز والاختلاف بين البضائع، حيث يقول "والقيمة الاستعمالية لا تحقق أو يكون لها وجود فعلي إلا بالاستعمال والاستهلاك، والقيمة التبادلية الحقيقية لسلعة ما متساوية كل منها بالنسبة إلى الأخرى، وثانيهما أن القيمة التبادلية يجب أن تكون الطريقة التي تعبر عن شيء تحتويه السلعة أو تكون الشكل الذي يبدو به هذا الشيء"[17].

يساوي بودريار بين لسانيات دي سوسير* في البناء اللغوي والإحالة الدلالية ونظرية القيمة لدى ماركس فيقول " لقد حدد سوسير مستويين داخل اللغة، مستوى تحيل به اللغة إلى الشيء، ومستوى اختلافي بنيوي وهو المحدد لقيمة العناصر داخل اللغة، وأعتقد أن هناك تماثلا مغلقا بين لسانيات 'سوسير' ونظرية 'ماركس' في الانتاج"[18] إذ يرى بودريار أنّ التمييز الذي يقوم به الاقتصاد السياسي بين قيمة الاستخدام وقيمة التبادل محدود تماما، إذ لا بد من فهم الموضوع على أنه يمتلك قيمة رمزية، لا يمكن اختزالها إلى القيمة الاستخدامية أو القيمة التبادلية فقط.

لذا يضيف بودريار الموضوع الرمزي والموضوع العلاماتي للمنطق الاستهلاكي، وبعد ذلك ينادي بضرورة التمييز بين أربعة أنواع من المنطق[19].

-منطق الإجراءات العملية الذي يقابل قيمة الاستخدام.

-منطق التعادل الذي يوازي قيمة التبادل.

-منطق تساوي الحدين الذي يقابل التبادل الرمزي.

-منطق الاختلاف الذي يقابل القيمة العلاماتية.

ويمكن تلخيص هذه الأنواع كالآتي:

-منطق المنفعة الذي يصبح فيها الموضوع أداة.

-منطق السوق الذي يصبح فيها الموضوع سلعة.

-منطق الهدية الذي يصبح فيها الموضوع رمزا.

-منطق الاختلاف الذي يصبح فيها الموضوع علامة.

ويرى بودريار" أن العلامة تستعملنا كمواطنين كاملين وحقيقيين للمستهلك في النظام الرأسمالي"[20]، ويصبح المواطن الصالح في هذا النظام هو الأكثر استهلاكا، فهو أداة ووسيلة في عالم النزعة الاستهلاكية.

وبهذا يكون بودريار قد أضاف منطقين جديدين متحكمين في النظام الرأسمالي والاستهلاك الجديد، فقد تطورت الرأسمالية لتطبيق أبعاد أخرى للقيمة، وهما كما أسلفنا بالذكر المنطق الرمزي والمنطق العلاماتي، ومنه يتوجب علينا الوقوف وشرح كل منهما.

أما بالنسبة للمنطق الرمزي فهو الرمزية التي تحمل ثنايا التعاملات الاجتماعية للقيمة، ويأخذ مثالا على ذلك مفهوم الهبة أو الهدية، فهي من جهة الواهب عبارة عن حالة من الخسارة والضياع، لأنها بدون حساب أو مقابل أو معادلة للإعادة والتعويض، أما من جهة المتلقي فلا يمكن أن تقاس قيمة الأشياء نسبة لغيرها من الموضوعات، لأنها لا تقع ضمن القيمة المادية والاستعمالية الأداتية، بل ضمن خير الشخصية لأنها تحمل معنى التبادل الرمزي مثل –خاتم الزواج وما يمثله لدى

شخصين كمعنى وكمناسبة، كمكان وكزمان- وهنا يتصور بودريار تقديم الهدايا واستقبالها ضربة للأنساق المهيمنة والمنظمة والمستقرة لحياتنا[21].

أما المنطق العلاماتي فهو ما يحكم عالمنا المعاصر، ويحوله إلى زيف فما هو جوهري في الموضوع القيمي اليوم هو قدرته على الدلالة أو على حالة وضع، فالأشياء لا تستهلك في مجتمعنا الاستهلاكي ببساطة وإنما يتم انتاجها أصلا لمتطلبات الدلالة على حالة معينة وأكثر من تلبية حاجة وهذا راجع للعلاقة التفاضلية بين الأشياء، وبالتالي فإن المواضيع أو الأشياء في مجتمع استهلاكي كامل تصبح علامات تاركة بعيدا ورائها عالم الضرورة[22].

نحن في كل مكان محاطين بجلاء ملحوظ من الاستهلاك، والرخاء الذي نشأ من خلال تكاثر الأشياء والخدمات والسلع المادية، وهذا يشكل طفرة أساسية في البيئة من الجنس البشري[23].

فالنظام الرأسمالي يلعب على وتر الحاجات جاعلا من الاستهلاك محور حياة البشر التي تتأثر من خلالها الرغبات والميول، وحتى القرارات وتغدو فكرة السعادة هي المرجعية الأولى للمجتمع الاستهلاكي، ويستخلف بطل الاستهلاك بطل الانتاج، فإذا كان ماركس قد ذهب إلى أن السلع والعلاقات بينها قد حلت محل العلاقات الاجتماعية، فإن بودريار يذهب إلى أن العلامات والرموز قد حلت محل الواقع نفسه.

ويلتقي الاقتصادي الفرنسي المعاصر ليغاسير مع بودريار في انتقاد الوضع الذي آلت إليه الرأسمالية وهذا في مقال بعنوان –الرأسمالية هل هي قابلة للإصلاح؟ - حيث يرى أنه منذ حوالي قرنين ظل الفكر

الاقتصادي محصورا في حدود نظام يقوم على نظريتين متضادتين كلتاهما مخطئة الليبرالية والاشتراكية، وقد تعرضت النظرية الثانية لتدهور مفاجئ نال من مصداقيتها، فخلت الساحة بذلك أمام الليبرالية بيد أن ذلك أبعد من أن يصبح انتصارا لها[24].

ثم يقوم ليغاسير بطرح السؤال التالي: هل يمكن أن يقدم لنا النموذج الليبرالي وصفا صحيحا لحال الاقتصاد نتيجة لتماشيه مع آليات السوق مع كل التحسينات التي أدخلت عليه مع مرور الزمن؟ يقول ليغاسير "تمارس الأسواق المالية حاليا ديكتاتورية حقيقية غير إسمية على سياسة المنشآت الكبرى والدول اعتمادا على تحليلات سطحية ومتقلبة، وبالتالي خاطئة بصفة عامة، وإن كان لا مفر منها والسياسة التي تدبر بحكمة على المدى البعيد ولا تفهمها الأسواق سياسة محكوم عليها بالفشل"[25]، إذ يجب أن تتحقق أهداف الأسواق المالية بشكل فعلي وعملي ملاحظ على المدي القريب.

ويرى أنه التحدي الذي يتعين على مدرسة اقتصادية ما متحررة من النزاع القائم بين الليبرالية والاشتراكية في اقتراح أساليب تتدخل، ولا تترك المستقبل الاجتماعي في قبضة آليات السوق العمياء، وتستخدم خصائص تلك الأسواق التي لا غنى عنها للتوصل إلى إدارة فعالة للاقتصاد، ولكن من خلال النجاح في توجيه النشاطات نحو الأمثل الاجتماعي من الخارج[26]، وبالتالي يدعو ليغاسير إلى جعل الاقتصاد علما محايدا مستقل ذاتيا قادر على إرشاد البشرية نحو أقصى قدر من الرفاهية المادية، لكن الملاحظ هو أن الليبرالية تحكمت في الإنتاج

وجعلت من الشعوب الضعيفة شعوبا مستهلكة تابعة لها، ومع الاستهلاك تسوق أمريكا ثقافتها ومعتقداتها، وهذا المنطق هو الذي ولد عداء هؤلاء لأمريكا، وهو عداء منطقي بالنظر لما تفعله الليبرالية بهم.

3/ النظام العلاماتي الاستهلاكي

أكدّ بودريار أنّ آليات النظام الرأسمالي المتطور في المجتمع الما بعد الحداثي قد تغيرت وتحولت من الإنتاج إلى الاستهلاك، وأنّ الثقافة أصبحت أساس السيطرة في المجتمع لا السلع المادية ولا النفوذ كما زعم ماركس.

أي أنّ التركيز الاجتماعي لتحديد وضع الفرد في المجتمع انتقل من دلالة السلعة التي يمتلكها الفرد لا السلعة نفسها ولا كمية النقود، وأنّ الصور أو العلامات أي المنتجات المعلوماتية والفكرية والفنية المصبوغة في سياقات مصممة سلفا والموجهة أصبحت هي السلع أو القيم المادية الرئيسية التي تقاس بالنسبة لها قيمة كل شيء آخر، وأنّ الاستهلاك أصبح المجال الرئيسي الذي يتم فيه اغتراب الإنسان، حيث تتحدد وتنتج احتياجات الناس، وتوجه الرغبات نحو ما تمّ تحديده وإنتاجه من قبل ويتم استيعاب الناس في منظومة متعددة المستويات من الأشياء والدلالات[27].

ويعتقد بودريار أنّ الانفصال هو هذه الخاصية لكل جسد يحوم حول ذاته إلى درجة فقدان المعنى الذي يتألف منه.

فالموضة هي انفصال الجميل ماهية إلى شكل فارغ لإستيتيقا موهومة، فالتمقصد هو انفصال الواقع، وما عليكم إلا أن تشاهدوا

التلفاز فكل الأحداث الواقعية تتابع فيه ضمن علاقة انفصالية تماما أي ضمن السيمات المدوخة والمقولة اللاواقعية والمتوافرة التي يتيح أفرادها الخرف المتصل.

فالمذهل هو الشيء الذي تقع عليه وسائل الدعاية، هو المستهلك في الدعاية، إنه تقويم قيمة الاستعمال وقيمة التبادل إلى درجة الإلغاء في الشكل الخالص والفارغ من علامة الصنع[28].

ومن الناحية الاجتماعية يلاحظ بودريار أنّ عصر الشيفرة - العلامة - بدأ يتغلغل في النسيج الاجتماعي بأكمله، وأحد أعراض ذلك هو أنّ الأضداد تبدأ في الانهيار "وكل شيء يصبح غير قابل للبت فيه بشكل حاسم"[29]، الجميل والقبيح في الأزياء، اليسار واليمين في السياسة، الصادق والكاذب في الإعلام المفيد وعديم الفائدة على مستوى الأشياء، والمواضيع الطبيعية والثقافية، كل هذه الأمور تصبح قابلة للتبادل في بينها.

يقول بودريار" المحاولات الأكثر تنظيما ودقة لإضفاء القيمة على العالم لإعطائه معنى تحقق أمام هذا الحد الغير قابل للتجاوز، الأمر يتجاوز الاعتبارات الفلسفية أو الأخلاقية ها هنا الصوغ الحقيقي للعدمية المعاصرة، أي عدمية القيمة ذاتها"[30]، ويؤكد بودريار على أنّ الحتمية الاجتماعية انتهت، فالتسارع يجعل من كافة المواقع غير المحتملة في حقل إقصائي لا يمكننا حساب الموقع الراهن للفرد وسرعة إقصائه معا، يقول بودريار" لا يمكننا انطلاقا من نموذج عمل ما أو سهم في بورصة حساب القيمة الواقعية وسعة هبوط القيمة معا، ولا

نستطيع انطلاقا من العلامات حساب المعني وفقدان القيمة بمرور الزمن" Obsolescence "من كافة الأشياء على العموم لا نستطيع حساب الأثر الفوري والديمومة، هكذا هو لا يتعين في المجال الاجتماعي"[31]

وهذا ما عبر عنه عالم الاجتماع الأمريكي سكوت لاش في التدرج الاجتماعي حيث يري أنّ ما بعد الحداثة تؤسس انحطاطا واضحا ومفاجئا للطبقات، وكسرا لها ولحواجزها، ويؤكد لاش أنّ حركة ما بعد الحداثة ترى على أنها ثقافة المجتمع الرأسمالي ما بعد الصناعي هذه الرأسمالية تساعد على ظهور البرجوازية ما بعد الصناعية بأسسها المتواجدة في وسائل الإعلام والتعليم العالي والتمويل والإعلان، فمثلها كانت الحداثة هي ثقافة الرأسمالية وطبقاتها البرجوازية الحاكمة، وحركة ما بعد الحداثة هي ثقافة الرأسمالية غير المنظمة والطبقات الوسطى ما بعد الصناعية[32]

ومما سبق نستنتج أن التحولات الطارئة على مستوى المنطق الاستهلاكي ناتجة عن تغير ومراجعة الرأسمالية لنفسها عبر تطور هيمنتها بحيث جعلت من العلامة وسيلة للسلطة الاقتصادية واستعملت مبدأ الانفصال والموضة كأداة لبسط هيمنتها عبر العالم.

4/ السياسة الزيفية للنظام الإعلامي

منذ أكثر من ألفي عام شاعت فكرة بين الفلاسفة والمفكرين الأخلاقيين، وبين وعلماء الاجتماع وغيرهم أنّ الحقيقة يمكن أن تدرك بواسطة جهد التفكير النقدي الصارم، وهذا الاعتقاد ظلّ ثابت طوال

تاريخ الفكر، لكنه بات الآن معتقدا باليا، كما يذهب بودريار طالما أننا فقدنا كل حس بالاختلاف في عصر التقنية والتكنولوجية.

أ-السيمولاكرا وو اقعية فوق الو اقع

بين بودريار أننا نعيش في فلك من الظواهر الخيالية أو المخادعة ويرى أنّ الحقيقة ولت مثل ما ولّ العقل التنويري، أو ما شابه من أفكار بائدة وأنّ الواقع اليوم مشروط برقصة الصور الزائفة المتكاثرة أو المؤثرات الواقعة، وأنه ما من جدوى لانتقاد هذه الظواهر، إذ هي كل ما نملك أردنا ذلك أم لم نرد، والأفضل لنا أن نعقد سلاما مع واقع ما بدأ بالوضع الما بعد الحداثي بدلا من التعلق بأنماط بالية من خطاب قول الحقيقة الذي بات لا يملك أي مصداقية إجرائية[33].

ومنه القول بنهاية كل مركزيات الحقيقة، فهي الحياة على الحد أو بالكثير هي الهامش يقول بودريار " الفرد كمكانة ووعي مستقل قد فقد مركزيته الاستلابات المتكررة، ولا سيما مع نتاج التقنية، وكذلك فقدانه لهويته بسبب التنظيمات والمؤسسات وشبكات الاتصال والتلفزة[34]، فمع الاستلاب التقني الممارس على مركزية الذات الإنسانية لم تصبح السلطة في يد الإنسان بل في يد الذكاء التقني الذي يتطور بشكل مخيف.

فما هي فوق الواقعية؟ إنها تنطبق على الوسط غير المسبوق الذي تعيش فيه المجتمعات الغربية، ولها قدرة التوسع والتمدد إلى مجتمعات لم تبلغ حالة فوق الواقعية، لأنها لم تبلغ درجة التطور التكنولوجي العالم الثالث الذي ستصله لأنّ فوق الواقعية توسيعية واستعمارية

...المصطنع ليس هو ما يخفي الواقع بل الواقع هو الذي يخفي عدم وجود واقع المصطنع الحقيقي"[35].

ومن هنا يطرح بودريار العلاقة بين الرمز ومرجعية الرمز فوق الواقعية، وجوهر فوق الواقعية أنها تعيش فقط في الرمز (اللغة الصورة، التلفاز، الصيغة)، وما يميز فوق الواقعية هو أنها تقدم العلاقة الثنائية بين الدال والمدلول لينفى الرمز فقط، بمعنى آخر الرمز يطرد الواقع بل أكثر، فالرمز صار هو الواقع[36].

وبهذا المعني تموت مرجعيات الواقع، وتنهي معايير الحقيقة وكونيتها.

ويتواجد المصنع حسب بودريار على ثلاث درجات هي [37]:

. مصنع طبيعي: على علاقة بالطبيعة قائم على الصورة والتقليد والتزوير وهو منسجم وتفائلي، ويستهدف إعادة الطبيعة على صورة الله أو تأسيسها المثالي.

. مصطنع منتج: إنتاجي يقوم على الطاقة والقوة وتجسيدها بالآلة، وفي كل نظام ينسجم رؤية برؤية لعولمة وتوسع مستويين، ففي عام 1983م أعلن بودريار "نهاية المجتمع المشهدي" وظهور عصر الصور المحاكية أو النسخ غير ذات الأصل المحدد التي تتمثل في الحركة من حالة كانت الصور فيها بمنزلة الأقنعة التي تحل محل حالات الغياب للواقع الفعلي إلى حالة حقبة جديدة لا تحمل الصور فيها أي علاقة بأي واقع أيا كان فهي صورة لا تحاكي إلا نفسها، ليس لها أصل محدد واقعي هي صور تصبح في ذاتها هي الأصل[38].

إذ أنّ تصوراتها عن الواقع تشكل هكذا من خلال أعراف التلفزيون وخصوصياته، وكذلك من خلال أشكال الميديا الأخرى التي تكون على ألفة بها، إن أعراف التلفزيون تقف كبدائل للواقع، بل تكون هي الواقع فنحن لا نصرف الواقع إلا من خلالها، كذلك علاقتنا الأسرية هي الأخرى أصبحت مندسة في الدراما التي يرويها التلفزيون من خلال المسلسلات العائلية والرومانسية، والنظام والجرائم المدركة أيضا في ضوء الشفرات أو السنن التي تبثها مسلسلات تليفزيونية بوليسية[39].

ثم يطرح 'بودريار عدة إشكالات منها: هل تقف الميديا إلى جانب السلطة، للتلاعب بالجماهير أم هل الجماهير هي التي تحول الميديا وتصنعها ؟

. مصطنع الاصطناع: قائم على الإعلام والنموذج واللعبة من خلال الرقمنة الشاملة فوق الواقعية الهادفة إلى التحكم الشامل، والانتقال إلى العالم الافتراضي[40].

ومنه فإن المصطنع جاء نتيجة تطور الفكر الإنساني من جهة وتطور التقنية من جهة أخرى، فالمصطنع الطبيعي يقابل العصور القديمة، والمصطنع منتج يقابل العصر الحديث، عصر النهضة والمصطنع والاصطناع يقابل العصر المعاصر أو عالم ما بعد الحداثة.

ب. الميديا لاكرا

تأسيسا على ما سبق يرتبط الواقع المفرط دلاليا مما تعبر عنه الاصطناعات المنتجة (الميديا لاكرا) بالهيمنة الرأسمالية والمشروع

الأمريكي المعلوماتي، وذلك لأن العروض الإعلامية قد أصبحت ذات حقيقة أكثر من الواقع نفسه وأكثر من الأحداث التي تحلها أو تصورها.

ويلخص بودريار إلى أن تغلغل ونفاذ وسائل الاتصال الجماهيرية في حياتنا بكاملها، وتم خلق عالم من الواقع المفرط الذي يتكون من اختلاط أنماط السلوك البشري من جهة، والصور الإعلامية من جهة أخرى ليتألف واقعا افتراضيا خليطا ومتداخلا يكتسب دلالته ومعانيه من صور ومشاهد أخرى ومكررة فوق الواقع[41].

ووضع بودريار ثلاث فرضيات حول دور الإعلام هي[42]:

. إما أن ينتج الإعلام المعنى (عامل زيادة) الفعالية، ولكنه لا يتمكن من تعويض الحضارة الحادة في الدلالة في جميع الميادين، وعندما يعاد فتح الوسائل والمضامين من خلال الميديا، فإن خسارة المعنى وانغماسه يكونان أسرع من إعادة ضخه.

. وإما أنه ليس للإعلام علاقة بالدلالة فهو قضية أخرى، هو نموذج إجرائي لنظام آخر، هو خارج المعنى وخارج تداول المعنى بحد ذاته.

. أو إنه على العكس من ذلك تلازم مغلق وضروري بين الاثنين بحيث يكون مباشرة مدمرا للمعنى وللدلالة أو مزيلا لهما.

أما خسارة المعنى فترتبط مباشرة بالفعل التدميري والردعي للمعلومات والميديا ووسائلها الجماهرية، وهذه الفرضية هي الأقرب لبودريار، إذ يرى أن الإعلام يسرع في إنتاج المعنى بل وفائض في القيمة للمعنى كما هو فائض القيمة في الاقتصاد، والناتج عن التداول المسرع لرأس المال، إذ يسيطر الإعلام على عقلية الإنسان المستلب اليوم لتحول

لديه كل ما له معنى تاريخي وسياسي واجتماعي إلى صورة فوق الصورة حاملة دلالات مبتذلة لتشكيل جانبها الآخر، إذ تعمل باتجاهين إهمالي للواقع وتهويلي[43].

ويرى بودريار أن الصور الآن لم تعد تعبر عن موضوع، ولا عن شيء من واقع، وإنما عن الإنجاز التقني وحده تقريبا.

إنه الوسيط التصويري الذي يلعب والناس يعتقدون أنهم يصورون مشهدا بينما ما هم إلا المنفذون التقنيون لهذا التخيل الافتراضي، الذي هو الأداة التي لا تطلب سوى التشغيل واستنفاذ كل إمكانياتها، ونتيجة لهذا التطور التقني أصبحنا نعيش في واقع افتراضي لا يمد للواقع الفعلي بأي صلة، فقد أصبحت الرقمنة هي المبدأ الميتافيزيقي، للحضارة المعاصرة، وفي المقابل تقلصت فاعلية الإنسان وقدرته على التمييز بين الواقعي والافتراضي[44].

وهذا يعبر عن هيمنة الافتراضي على الواقعي فقد تحول العالم المعاصر إلى عالم من الشاشات تحكم سلوك الأفراد، وتوجههم وتحكم حتى علاقاتهم الإنسانية، فقد تخلى الإنسان عن العلاقات الاجتماعية الضرورية في مقابل علاقات افتراضية وهمية.

ويحدد بودريار أربعة مراحل للصورة[45]:

. الصورة تجسيد أو محاكاة فعلية للموضوع الخارجي (رسومات ليوناردو ديفينشي).

. دخول فكرة التسوية (الرسم الباروكي).

. إعادة الاستنساخ الآلي للصور بحيث يفقد المصدر نفسه قيمته وأصالته، ولا يمتلك المتلقي القدرة على التفرقة بين الأصل والصورة.

. اختفاء المصدر وصناعة الصورة مع دخول التكنولوجية.

ومنه فالفترة الحالية هي فترة المحاكاة التامة المحصلة لعملية تاريخية طويلة من المحاكاة، فيما أصبحت النماذج المحاكية تشكل العالم، تتجاوز التمثلات وتلتهمها، وهكذا تحرك المجتمع من مجتمع رأسمالي إنتاجي إلى نظام رأسمالي سيبرنطيقي، يهدف الآن إلى التحكم أو الضبط التام.

يستذكر بودريار وستماهيم حيث جعلت الميديا في نظرهم من نفسها أداة إدانة أخلاقية للإرهاب والاستغلال، ولكنها نشرت في الوقت نفسه وبكل غموض الإعجاب الخام بالفعل الإرهابي هي نفسها إرهابية[46]، ومنه يرى بودريار' أنّ الميديا تنشر المعنى وضده وتتلاعب في كل الاتجاهات معا ولا يستطيع أحد السيطرة على هذه العملية.

وأعلن بودريار قبل أيام من اندلاع الحرب في الخليج أنّ هذه الحرب لن تقع أبدا، فهي كما هو الحال مجرد شيء ملفق أفرزه زيف وسائل الإعلام العامة، وخطاب ألعاب الحرب أو السيناريوهات المتخيلة التي فاقت كل حدود العالم الواقعي أو الاحتمال الحقيقي، لقد فعلت سياسة الردع فعلها في السنوات الأربعين الماضية، بحيث أصبحت الحرب مستحيلة إلا بوصفها جزء من ظاهرة خطابية أو نوع من تبادل التهديدات الاستفزازية تكفل طبيعتها اللفظية "المفرطة" بأنّ تحول دون وقوع حدث من هذا النوع[47].

أي أنه باستثناء ذلك تبقي الحرب مجرد تمثيلية أو حرب السيناريوهات، يتوقف نجاحها على مدى القدرة على إدارة وتكييف ما يسمى بالرأي العام، والذي بدوره ليس سوى ردة فعل انعكاسية على خطاب وصور آلية التغطية الإعلامية، التي تخرق وهم مساندة للحرب بالإجماع عبر تقديمها بشكل مسبق لكل الأجوبة والمواقف الصحيحة وهذا ما يجعل من السلطة في نظر بودريار قادرة على التحكم أكثر فأكثر ومن النظام عنفا أكبر، وكل هذا بدعامة الإعلام.

ومنه يمكن اعتبار وسائل الإعلام الجماهيرية مساهمة في تحولات عميقة في طبيعة حياتنا من منظور بودريار، فقد أصبحت تعيد تحديد وتعريف ماهية العالم الذي نعيش فيه، وخلق عالم الواقع المفرط وهكذا يصبح الإنسان في غربه جديدة غربه بلا وعي، ويتحول الإنسان إلى آلة من نوع فريد آلة للافتراضي، وهذا ما يسميه بودريار باستلاب الذات.

ومما تقدم نستنتج أنّ بودريار بإدانته لسياسية النظام العالمي للعولمة النيوليبيرالية لتعميم الإفراط في نمط الاستهلاك، ولعدوانية هذا النظام على الشعوب غير التابعة للغرب، وإدانته لممارساته في أوروبا الشرقية وأفغانستان والعراق، بل ومع إعجابه للشعوب التي تعبر عن خصوصيتها في مواجهة هذا الغرب ومقاومته بما فيه الإرهاب.

هكذا كان موقفه من هجمات 11 سبتمبر في عدة كتابات له، فهو القائل بأنه لا يتعلق الأمر بصدام الحضارات ولا بصدام الأديان، إنما هو عنف ورد فعل عن عنف أكبر منه، وأهمية موقفه تنبع من كونه يمارس

النقد من داخل المجتمع الغربي ما يجعل صداه أكبر وفاعليته أشد داخل الغرب بالذات.

وفي نقده لنظام الاستهلاك يركز بودريار على دور الميديا والإعلام الذي أصبح نفسه سلطة وموضوعا في عالم أصبح سؤال الإعلام هو سؤال الأيديولوجية، ودور الإعلام هو دور منتج الايدولوجيا في عصر الثورة المعلوماتية والرقمية ويتحكم بالإعلام من يتحكم بإنتاج الآلة الذكية الرقمية.

ومنتهى القول هو أن بودريار يعتقد بأن الإرهاب الحقيقي هو الأمركة والعولمة التي ستنهي الثقافات المحلية، وتبقي على ثقافة أمريكا والدول العظمى الموالية لها، بهدف استعباد الشعوب الأخرى والإسلام بريء من تهمة الإرهاب الموجهة إليه من طرف أمريكا وعملائها.

الهوامش

*جان بودريار عاش في الفترة الممتدة من (1929، 2007)، منظر ثقافي وفيلسوف فرنسي ومحلل سياسي وعالم اجتماع ومصور فوتوغرافي. أنظر بدر الدين مصطفي: حالة ما بعد الحداثة، الفلسفة والفن، ص 243.

1 -جان بودريار: روح الإرهاب، ترجمة بدر الدين عمر زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2010م، ص .71

2 -نفسه، ص 71.

3- جان بودريار: روح الإرهاب، ص .74

4 -نفسه، ص .76

5-جان بودريار: روح الإرهاب، ص .79

6 -علي عبود المحمداوي، ومجموعة من المؤلفين: الفلسفة الغربية المعاصرة، ترجمة علي حرب، ج 2، دار الإيمان، الرباط، المغرب، 2013م، ص 1314.

7-جان بودريار: روح الإرهاب، ص 78.

*حنة أرندت: (1906،1975)، ألمانية الأصل، مختصة في الفكر السياسي. جمال الشوقي: مراجعة نقدية في كتاب "في العنف". www.harmoon.org h 20/03/2018, 19:45 Pm .

8 -زكريا الإبراهيمي: إشكالية العنف عند حنة أرندت، www.maaber.org 07/02/2018, 16:27 :pm .,

9 -حنة أرندت: في العنف، ترجمة إبراهيم العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1995م، ص .05

10 -جان بودريار: روح الإرهاب، ص .71

11 -جان بودريار: روح الإرهاب، ص .77

12 -نفسه، ص .15

13 -نفسه، ص .16

14 -جان بودريار، وآخرون: ذهنية الإرهاب، ترجمة بسام حجاز، دار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003م، ص 21.

15-جان بودريار، وادغار موران: عنف العالم، ترجمة إبراهيم محمود، دار حوار للنشر والتوزيع، سوريا، د ت، ص 49.

*روجي غارودي: (1913،2012)، فيلسوف فرنسي اعتنق الدين الاسلامي ودافع عنه، اشتهر بنظريته في حوار الحضارات.

www.aljazeera.net, pm 20/02/2018, 21:30 h.

16 -روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ترجمة دالية الطوفي وآخرون، ج 1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004م، ص .08،07

17- كارل ماركس: العمل المأجور ورأس المال، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم والنشر، برلين، 1891م، ص 18.

*فردنان دي سوسير(1875،1913)، أشهر لغوي في العصر الحديث، سويسري الأصل. فردنان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار الأفاق العربية، بغداد، 1985، ص3.

18-جان بودريار: الفكر الجذري (أطروحة الموت الواقع)، نقلا عن علي عبود محمداوي، الفلسفة الغربية المعاصرة، ص 1300.

19-جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ترجمة فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2008م، ص 467،468.

20 -William Pawlett, Jeain Baudrillard, Against Bantity by Rautledge londan 2007, P 44

"they Mark us as full and genume Citizen of the consumer capitaliste".

21 -علي عبود الحمداوي: الفلسفة الغربية المعاصرة، ص 1302.

22-جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ص 468.

23JEAN Baudrillard, sélécted writings. Ed mark poster. P 29.

"Today we are every wher surroun ded by the remarkable conspicuousnes of consumption and affluence est ablished by the multiplication of objects. Servuces and material gouds thes nous contites".

24-برنارد ليغاسير: الرأسمالية هل هي قابلة للإصلاح، ترجمة حليم طوسن، الثقافة العالمية، الكويت، العدد 102، 2000م، ص 07.

25-نفسه، ص 13، 14.

26-نفسه، ص 14.

27-سامي خشبة: مفكرون من عصرنا، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2001م، ص 221.

28-علي عبود المحمداوي: الفلسفة الغربية المعاصرة، ص 1303.

29-جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ص 471.

30-جان بودريار: التبادل المستحيل، ترجمة جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2013م، ص 17.

31-جان بودريار: التبادل المستحيل، ص 32.

32-جهاد عودة: معضلة مفهوم الحداثة في منظور مقارن دولي، المكتبة العربي للمعارف، د ت، ص .225

33 -كرستوفر نوريس، نظرية لا نقدية ما بعد الحداثة، ترجمة عابد إسماعيل، دار الكنوز الأدبية، ط 1، 1999م، ص .14

34 -جان بودريار: الحداثة، نقلا عن علي عبود المحمداوي، الفلسفة الغربية المعاصرة، ص .1295

35 -جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ترجمة جوزيف عبد الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م، ص .27

36-نفسه، ص .27

37 -نفسه، ص .125

38-شاكر عبد الحميد: عصر الصورة، عالم المعرفة، العدد 311، الكويت، 2005م، ص .122

39-نفسه، ص .123

40-جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ص .125

41-علي عبود الحمداوي: فلسفة الغربية المعاصرة، ص .1305

42-جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ص 147، .148

43 -جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ص .149

44 -بدر الدين مصطفى: حالة ما بعد الحداثة، الفلسفة والفن، ص .245

45-بدر الدين مصطفى: حالة ما بعد الحداثة، الفلسفة والفن، ص 246، .247

46 -جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ص 154

47-كروستوفر نوريس: نظرية لا نقدية، ص 09.

خامسا / العالم الغربي ومحاولات تزييف الدين الإسلامي

«إن الولايات المتحدة على رأس الدول الخارجة على القانون وهي لا تتقيد البتة بالقانون الدولي وهذا ما تقوله علنا، لقد غزت الولايات المتحدة العراق مع أن ذلك يشكل انتهاكا فظا لميثاق الأمم المتحدة»

نعوم تشومسكي

خامسا / العالم الغربي ومحاولات تزييف الدين الإسلامي

اتسم التاريخ الغربي على مدار العصور بالعديد من التحولات الفكرية والنقلات العلمية التي ساهمت في تغييرات جذرية في جميع المجالات في المجتمع الغربي، وكان لهذا التغيير انعكاسات سلبية في كثير من الأحيان على المجتمعات العربية والإسلامية.

وهناك محطات عديدة تبين هذه الانعكاسات، ومثال ذلك الحربين العالميتين اللتين أثارتا العديد من الجدل، وساهمتا في تغيير علاقات الدول وبروز قوتين متنافستين وظهور نوع جديد من الحرب يعرف بالحرب الباردة، إلى أن تفردت الولايات المتحدة وبسطت هيمنتها على العالم بأسره وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وتغيرت القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية وأصبحت موافقة للنسيج الأمريكي سواء كان هذا التغير عنوة أو مطاوعة.

ومن أهم الدولة التي استهدفها هذا التغيير دول العالم الثالث وخاصة الدول العربية والإسلامية، وعند انتهاء صراع أمريكا مع الشيوعية، أرادت أمريكا خلق عدو جديد ألا وهو الإسلام فراح الغرب يتوهم وينشر للناس زيفا ويقيم دعاية على أن الدين الإسلامي ظاهرة تثير الخوف، لذلك يجب مواجهتها فخلقوا العديد من الطرق والاساليب للقضاء عليه، وقد سال حبر المفكرين حول هذه الظاهرة التي شغلت الراي العام والخاص والمتمثلة في ظاهرة الإسلاموفوبيا.

1/ التحولات الفكرية والتطور العلمي للغرب

أ-الصراع الديني

ويظهر هذا الصراع بوضوح بين المسيحية والإسلام من جهة، وبين اليهودية والإسلام من جهة ثانية، وله اشكال أخرى أيضا قد تتعدى للهندوسية وغيرها، ويتمظهر هذا الصراع في اشكال متباينة منها:

-الحروب الصليبية

هي ذلك الصراع بين المسلمين والمسيحيين، حيث أراد المسيحيون افتكاك بيت المقدس فكان الهدف المعلن هو هدف ديني على اعتبار أن بيت المقدس هو مكان مقدس عند المسيحيين، فهو المكان الذي صلب فيه اليسوع عليه السلام في نظرهم، إلا أن هذا الهدف ظاهري، وتختفي وراءه اسباب حقيقية منها ما هو اقتصادي وثقافي " وهذا الباعث أيضا من أهم البواعث في الجهة الصليبية فالجموع الهائلة من العامة خرجت لإحباطها التام من الحصول على أي قسط من رغد الحياة في أوروبا فخرجوا ليبحثوا عنها في فلسطين"[1]. فظروف أوروبا المعيشية وأوضاعها المزرية كانت سببا في ايجاد مكان آخر تتوفر فيه مطالب الحياة، والبحث عن بيئة ملائمة للعيش، فقرروا احتلال فلسطين ونهب ثرواتها مع العديد من الدول العربية الأخرى كما هو معروف يقول **وليم كار" ويرمي مخطط هذه الكارثة الى تدمير العالم الإسلامي وعقيدته بواسطة الصهيونية السياسية التي ستدخل هي الاخرى في هذه الحرب ومعها دولة النور انيين في فلسطين "**[2]. وبحسب وليام كار فإن الهدف من هذه الحروب هو إبادة العالم الإسلامي وقتل كل من له صلة بالإسلام.

-النهضة الاوربية

حمل عصر النهضة أفكارا جديدة وروح جديدة حيث كان مصاحبا بإعطاء قيمة كبيرة للفكر والعلم، وتشجيع البحث التجريبي الى قوانين علمية تساهم في تطوير الحياة، وقد تقدمت أيضا العلوم البحرية، حتى تم اختراع البوصلة مما كان له أكبر الاثار في تشجيع الطبيعة البورجوازية الاوربية على المغامرة البحرية[3].

وتعتبر النهضة الأوروبية بمثابة الوقوف من جديد أو ما يعرف بالولادة الجديدة، إذ تطورت المعرفة في عصر النهضة بشكل كبير وضبطت الحياة بقوانين وقواعد علمية، وتم خلق عدة وسائل ساعدت الإنسان على الاكتشاف والمغامرة، مما أدى به إلى لوصول الى أماكن مجهولة، فعصر النهضة كان بمثابة ثورة على كل المجالات منها الأدب والعلم والفكر والفن، وشهد عصر النهضة ازدهارا في الادب والثقافة وتقدما في مجال التعليم والازدهار في التجارة الأوروبية.

ويعتبر هذا العصر من بين العصور التي تحرر فيها الفكر من العادات والتقاليد والمعارف الساذجة التي كانت سائدة، إلى أن أصبح فكر موضوعي ونزيه، يعتمد على العقل، ومع تطور العلم ظهرت نظريات جديدة، منها من كان رافضا للقديم، ومنها ما كان تطويرا وتصحيحا لأفكار قديمة " وإذا كانت النهضة تعني الولادة فإن التنوير يعني الرجل الغربي قد بلغ رشدة متجاوزا مرحلة الطفولة التي كان عقله فيها يعتمد على مساعدة الآخرين، وقد حقق الآن كمال رشده بحيث أصبح في مقام القيادة والتوجيه" [4]. ففي مرحلة التنوير تخلص الفكر نهائيا من العادات

السلبية السائدة، وتحول إلى فكر مستقل قائم بذاته، وبدأ مرحلة جديدة اتسمت بالتقدم والتطور في المجال المعرفي والفكري.

وعرف هذا العصر تطهير وتنقية العقول من الخرافات والاساطير التي كانت سائدة أنذاك، فأصبح هذا الفكر قادر على اكتشاف أشياء لم يتم التوصل إليها سابقا بسبب تسلط الكنيسة على فكره، وراح الانسان الغربي يدرس العلوم، ويصل إلى النظريات العلمية، وقد ساعده على هذا الإرادة وحب المغامرة التي كانت من أهم مميزاته، وشهد هذا العصر قيام العديد من الثورات في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

ونسجل هنا بداية التفوق الغربي نظير اهتمامه بالعلوم وبداية تراجع العقل الإسلامي نتيجة تخليه عن الاهتمام بالفكر والعلم فاسحا المجال أمام الغرب ليحكم العالم باستخدامه لمختلف النظريات العلمية التي تتوصل إليها فيما بعد، وإذا كنا نتكلم عن تشويه صورة الإسلام من طرف أمريكا والعالم الغربي واتهامهم له بالإرهاب فإن المسلمين بتخليهم واستهتارهم بالفكر والعلم التجريبي كان لهم الدور الأكبر في انهيار الإسلام اثبات هذه التهمة عليه، وضعف المسلمين جعلهم لا يصدعون بالحق، ولا يملكون القدرة على ذلك، لأنهم خرجوا انسحبوا من الحضارة بتخليهم عن الفكر والعلم التجريبي وتهميشه، افتقدوا بذلك الأدوات التي ينشرون بها دينهم ويعرفون العالم به ويدافعون عنه، وجرمهم هذا قد لا يقل شأنا عن جرم الغرب في محاربته للإسلام .

- الاصلاح الديني

يؤرخ الاصلاح الديني البروتستانتي في أوروبا ابتداء من 1517م، وهو العام الذي احتج فيه مارتن لوثر على صكوك الغفران[5]، ونادى بضرورة الاعتقاد بضمير الانسان عقله والكتاب المقدس، وتحرير السلطة الزمنية من السلطة الروحية، ومع الانحرافات التي قامت بها الكنيسة المسيحية ظهر في ذلك الوقت دعاة الإصلاح، ومن أهمهم مارتن لوثر وطالبوا بإحداث إصلاحات على الدين المسيحي، وارجاع المسيحية إلى أصولها الأولى وإزالة التحريفات التي طرأت عليها[6]، وقد انتج مارتن لوثر سلسلة من الكتابات الدينية من أجل تفسير العقيدة الجديدة والتي كانت متمثلة في جملة من المطالب، من اهمها رفض صكوك الغفران وابطالها، كما نادى أيضا بإعطاء الحرية لرجال الدين، وانتقد الباباوات وطريقة الحياة التي كانوا يعيشونها، والمتمثلة في البذج والمجون حيث أنها لا تمثل طبيعة الدين المسيحي.

«وكان الاصلاح البروتستانتي ثوره على ثيوقراطية البابوية والاكليروس، كما كان ثورة على روح الوثنية على شعوب البحر المتوسط فهو من ناحية قد انتقم للروح العلمانية على ادعاءات الاكليروس والاعفاءات التي كانوا يتمسكون بها، ومن ناحية اخرى كان حركة احياء ديني، ومحاولة للعودة الى الاساليب الاولى التي درجت عليها الكنيسة المسيحية»[7] .حيث أن الاصلاح أثر على شعوب البحر المتوسط مثل فرنسا، وفي هذه الاخيرة ظهرت ثورة، وبرز العديد من المصلحين هناك

ومنه انتقل هذا الاصلاح إلى أوروبا ككل ، ومن هنا نجحت أوروبا في التحرر.

كما نجحت في تحسين الظروف التي آلت إليها الكنيسة المسيحية بسبب ممارسات رجال الدين، وتمردهم وتسلطهم وخروجهم عن الضوابط التي كانت تحكم المسيحية الأولى، وكذلك اصدار قواعد خاصة بالإنسان المسيحي الحق، جاء المصلحون بثورة ضد كل هذه الأزمات والمشاكل، التي حلت بالمسيحية وادخلتها في التحريف بسبب الباباوية، وما ارتكبته من معاصي علنا وسرا.

ب-حرب الثلاثين عام

هي الحرب التي جرت بين المسيحيين في حد ذاتهم بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي، حيث ثار هذا الاخير على الأول، وذلك للعديد من الاسباب أهمها السبب الديني «هناك نشبت حرب الثلاثين عام بسبب الفتنة الدينية في بوهيميا، وقد كان من الممكن تحديد ميادينها ولكن اتيح لها أن تنتشر مما أدى إلى تدخل معظم الدول الاوربية في صراع بدرجات مختلفة»[8]. وأدت هذه الحرب الى ظهور رجال الإصلاح الديني مثل مارتن لوثر، وهذا الإصلاح خلق تشنج وحرب بين هذين المذهبين، وقد دامت هذه الحرب ثلاثين عام، وافرزت العديد من الأزمات كالأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وبالرغم من أن طابعها ديني إلا أنها تحتوي في باطنها اهدافا كثيرة.

وهذه الحرب لم تدم طويلا، وانتهت بصلح واتفاق، حيث حصد كل طرف على ما يرضيه، وانتهت بالحرية وتحقيق مطالب المسيحيين بصفة

عامة، ونيل حريه المعتقد والحد من تسلط الكنيسة ورجال الدين واتاحت الفرصة للمفكرين والعلماء ورجال السياسة في تسيير شؤون الحياة.

ج-الحربين العالميتين الأولى والثانية

يشهد التاريخ على حدوث العديد من الحروب والأزمات التي تتفاوت في شدة الصراع، إلا أن الأغلبية تتفق على أن الحربين العالميتين الأولى والثانية من أخطر ما حدث في العالم منذ نشأته، فالحربين العالميتين هما بمثابة الحادث الذي غير مجرى التاريخ، وغير العديد من القوانين والسياسات الدولية، وكان للحربين دور حتى في احداث تغيير في تركيبة المجتمع وثقافته، منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي ناهيك عن العديد من الخسائر البشرية والمادية والدمار في العديد من المجالات، وفيما يأتي تفصيل بذلك.

.الحرب العالمية الأولى

كان السبب المباشر لنشوبها اغتيال الارشيدوق فرنسيس فرديناندولي النمسا في سراييفو (27 يونيو 1914) بيد برانشبو الحربي، وبدأت الاعمال العدوانية ببطء، وفي نهاية صيف 1914 اشتبك الحلفاء 'انجلترا، فرنسا وروسيا وبلجيكا وصربيا والجبل الاسود واليابان، في نضال عنيف ضد قوات الحلف الرباعي (المانيا والنمسا والمجر والامبراطورية العثمانية[9]. والحرب العالمية الأولى اصطلح عليها العديد من المصطلحات مثل الحرب الاوربية والحرب العظمى، وقد حدثت بين دول الحلفاء ودول المركز، وهناك العديد من الاسباب التي أدت الى

نشوب هذه الحرب، والتي تمثلت في مختلف الصراعات بين هذه الدول مثل الصراعات على الحدود والتنافس على الاقتصاد، مما أدى ببعض الدول الى استخدام تقنيات جديدة، والمتمثلة أساسا في العتاد العسكري ومختلف أنواع الأسلحة الى جانب حدوث فتن بين هذه الدول، وقد كانت آثار الحرب العالمية الاولى وخيمة ومدمرة للجميع، وذلك لشيوع العديد من الأمراض وايضا انتشار المجاعة، ناهيك عن تدمير شبه كلي لبعض الدول، واتلاف أراضي كانت صالحة للزراعة الى جانب الوفيات التي كانت بالملايين، وباختصار فقد خلقت هذه الحرب انهيارا تاما في جميع المجالات، فقد وجدت الدول التي قامت فيها الحرب نفسها غير قادرة على اعادة بناء الدولة من جديد، كما وجدت نفسها عاجزة عن اصلاح المجتمعات التي كانت تعاني الانهيار الاقتصادي والاجتماعي جراء هذه الحرب .

والسؤال المطروح هنا لماذا لم توصف الدول المتسببة في هذه الحرب وهذا الدمار بصفة الإرهاب؟

د. الحرب العالمية الثانية

رغم أن الخرب العالمية الأولى انتهت إلا أنها خلفت أحقادا ومهدت لقيام حرب عالمية، فالحرب العالمية الثانية في حقيقة الأمر أعلنت منذ اللحظة التي انتهت فيها الحرب الاولى، وسوف يتناقش الناس طويلا فيما إذا كان من الممكن تجنب هذه الحرب المتجددة بحزم أشد [10].

لقد صنف هذه الحرب ضمن أخطر الحروب عبر التاريخ، نظرا لما تميزت به من دموية ووحشية ومن مخلفاتها الكارثية فقد تجاوز عدد

القتلى عشرات الملايين، وقد شاركت في هذه الحرب أغلب دول العالم وأدت الى تقسيم أوروبا وتغيير خارطة العالم، وكانت هذه الحرب بين دول الحلفاء ودول المحور، وتعتبر المانيا اكثر دولة متضررة، واليابان آخر دولة انهزمت في هذه الحرب، وقد ادت هذه الحرب الى تفجير الولايات المتحدة الامريكية للقنبلتين النوويتين في اليابان، وساهمت في ظهور القوتين العظمتين على المسرح العالمي، وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى، فقد سعت كل منهما الى بسط نفوذها على العالم والسيطرة عليه.

ومن أهم نتائج هذه الحرب ظهور الحرب الباردة، وعصبة الامم المتحدة من أجل نشر السلام بين دول العالم، وانهاء الصراعات والخلافات الدولية، وفي هذا الصدد يعتقد ادغار موران[11] أن الحرب العالمية الثانية لم تكن ردا على الحرب العالمية الأولى، إنها كانت استمرارية لها، لقد اصبحت حربا مغايرة، ليس بفعل تنامي قوى الموت فقط، ولكن أيضا بفعل تدخل النظامين المتنافسين[12] اثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في علاقة تعاون، من أ جل محاربة عدو واحد وهو النازية إلا أن هذا التعاون لم يدم واصبح عداء، فكل منهما ينشد السيطرة والتفوق.

ومع انتهاء الحربين العالميتين الأولى والثانية ظهرت حرب من نوع آخر بعيدة عن المواجهة المباشرة تسمى بالحرب الباردة، وهي حرب تنافسية بين الطرفين الأمريكي والسوفياتي من أجل السيطرة والتفوق

وكل يسعى إلى نشر ايديولوجيته في العالم، وتأهلت أمريكا لقيادة العالم واعلنت على نظام دولي جديد أمريكي، سعت من خلاله الى بسط طغيانها على العالم، فتعددت استراتيجياتها واساليبها في ذلك، وقد ساعدها على ذلك سرعة تطورها في مجال العلوم والتكنولوجيا، وكذلك طبيعة الإنسان الغربي الذي أدرك أن هذا العالم لم يعد يعترف سوى بالأقوياء وأن الحق الى جانب الأقوى دائما.

وكانت الحربين العالميتين الأولى والثانية نعمة على الولايات المتحدة الامريكية، لأنها لم تتضرر منها، كما نالت الريادة بفضلها، ومن هنا اكتسب القوة والخبرة من أجل السيطرة على العالم، ومن جهة أخرى تعتبر هاتين الحربين نقمة على باقي شعوب العالم، وعلى دول العالم الثالث خاصة، نظرا للضرر الذي لحقه منها، وبفعل الخسائر المادية والبشرية، وتدمير اقتصادهم بعد نهاية الحربين العالميتين وبالأخص الثانية، فقد مهدت للعالم ظهور قوة مهيمنة وهي أمريكا، والتي أصبحت دركي العالم بامتياز. وأضحت الدول الضعيفة مجرد وسيلة في يد أمريكا تحركها كيف شاءت وتعبث بها كيفما أرادت.

2/التطور العلمي وبروز الفكرة الليبرالية

بعد تفكك المعسكر الشيوعي وانهياره تزعمت الولايات المتحدة الامريكية قيادة العالم كما ذكرنا سابقا حيث أن أمريكا كانت الدولة الوحيدة المسيطرة على قيادة العالم بفضل تطورها وتفوقها في جميع المجالات، بالإضافة الى السياسة التي انتهجتها من خلال ادعائها نشر الأمن والسلام، ونشر الحرية والعدالة والقيم الإنسانية، ونشر مبادئ

الديمقراطية، وتميز القرن العشرين بسرعة التغيير، وغزارة الانتاج في شتى مجالات الفكر والحياة، وأصبح من الضروري على الإنسان العصري في أي مجتمع أن يلم بمنجزات الحضارة الغربية.[13]

فقد امتاز القرن العشرين بتغير ملحوظ على كل الاصعدة واصبحت هناك قوة وحيدة تتحكم في العالم هي الو.م.أ، وترجع هذه الهيمنة الى تطورها العلمي والتكنولوجي خاصة مع زيادة الحاجة لمثل هذه التطور، والتي استخدمته كأداة للهيمنة والسيطرة على شعوب العالم باعتبارها شعوب متخلفة، وهي تخضع وتابعة لها ، وكذلك أن مثل هذه الدول كدول العالم الثالث لا تستطيع أن تستغني عن منتجات الحضارة الغربية، باعتبار أن مظاهر التطور والازدهار أصبحت تسحر الدول الضعيفة، وحتى في مجال الثقافة نجد أن لغة الولايات المتحدة الأمريكية وعاداتها وفنونها غزت أغلب الدول المتخلفة، والجاهل بثقافة أمريكا اليوم هو جاهل لمعنى الحضارة في نظر الكثيرين.

أ-التطور العلمي والتكنولوجي

لم تقتصر الثورة التكنولوجية الحديثة على المعلومات والاتصالات بل إن هناك تقدما لا يقل اهمية في مجال علم الاحياء، وخاصة في ميادين الهندسية الوراثية، فهذه المرحلة امتازت بتطور تكنولوجي هائل وصولا الى غزو الفضاء، وسخر هذا التطور في انشاء العديد من التكنولوجيات التي احدثت ثورات داخل المجتمع، حيث ساهمت هذه التكنولوجيا في بسط قوة الدول المالكة لها [14].

وسعى الإنسان منذ ظهوره الى السيطرة على الطبيعة، ليكون سيدا عليها، وقد كانت اهتماماته كلها تعبر عن هذه الرغبة، الى غاية وصوله لهذه المرحلة التي نحن عليها اليوم، والمتمثلة في التطور العلمي والتكنولوجي الهائل لدرجة الوصول الى تغيير قانون الطبيعة والتحكم فيه بشكل كبير جدا، فأصبح الإنسان يخلق شبيهه اليوم، وقد غزى الكون كله واكتشف أسرار الفضاء، وأيضا اختراع أسلحة عسكرية مدمرة، وأصبحت أمريكا صاحبة الشأن الأول، والمالك لهذا التطور العلمي، وأتاحت الثورة العلمية والتكنولوجية قدرة ربط العلم بالإنتاج مباشرة، فقد زادت انتاجية العمل الى مستويات غير مسبوقة، وأتيحت للإنسان قدرة هائلة على السيطرة على مصادر الطاقة، بل اتسعت هذه السيطرة ليصح الإنسان قادرا على السيطرة على ظواهر كثيرة[15].

واستغل الغرب العلم اليوم لمواجهة أخطر الظواهر التي كانت تهدد حياته سابقا، وتحكم الإنسان الغربي في قوانين الطبيعة وسخرها لخدمته، وانتاج الطاقة وترقية طرق الحياة، ولن نكون مبالغين إذا قلنا بأن أمريكا اليوم تعلم كل صغيرة وكبيرة، وكل ما نفكر فيه وكل ما نعانيه وأنها قادرة على قياس دقات قلب أي مواطن عربي مسلم أينما كان وحيثما وجد.

ب-بروز فكرة الليبرالية

حملت الليبرالية الأمريكية الجديدة الكثير من المنتجات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي رافقت الصور الجديدة من التوسع الرأسمالي، وقد احتوت تلك المنتجات الكثير من المفاهيم الجديدة [15].

ومنها تجريم الإسلام[16]. فالليبرالية الأمريكية كفكرة ترى بأن الإنسان الغربي بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة هو القادر والمؤهل لقيادة العالم بأفكاره وايديولوجياته العالمية، وهذا ما ورد في الكثير من المؤلفات ومنها كتاب نهاية التاريخ لفوكوياما، الذي يمجد فيه الإنسان الغربي ويعتبر أن الحضارة انتهت عنده ومعه، وهو الفرد المتميز عن بقية أفراد العالم، ومن حقه أن يكون سيد العالم، ويفرض كل ما يقرره ويراه مناسبا للبشرية.

وكذلك كتاب هنتغتون صراع الحضارات الذي يرى أن أمريكا هي القوة العظمى في العالم، ويحثها على الحفاظ على مصالحها وطموحها في الريادة وتشجيع كل خططها بما فيها الخطط الاستعمارية، ويدعوها إلى التوسع ونشر كامل قوتها في جميع الدول، ويحذرها من بعض الحضارات كالصينية والإسلامية، باعتبارهما قادران ومؤهلان لمنافسة الغرب، وحتى التفوق عليه، وانهاء تسلطه وسيطرته على العالم.

ومن الناحية الفكرية تعني الليبرالية " "حرية" الاعتقاد والتفكير والتعبير، ومن الناحية الاقتصادية تعني "حرية" الملكية الشخصية و"حرية" الفعل الاقتصادي المنتظم وفق قانون السوق، وعلى المستوى السياسي تعني "حرية التجمع، وتأسيس الاحزاب واختيار السلطة "[17]

فالليبرالية هي ذلك المذهب الذي يشتمل على الجانب الفكري والجانب الاقتصادي والسياسي والثقافي، انطلاقا من مبدأ الحرية فالليبرالية تعطي للفرد الحرية الكاملة وتحرره من جميع القيود، كما أنها لا تتدخل في أموره الخاصة، وتسعى دوما للربح الأفضل، ففي الجانب

السياسي يكون الأفراد قادرين على اختيار حكامهم والسلطات التي تمثلهم بكل نزاهة وشفافية، فكلمة الفرد مسموعة، ولديه سلطة الاختيار وفق ما يراه مناسبا، كما أن للفرد الحرية في المعتقدات والتفكير وحرية الرأي والتعبير، وهي ميزات جيدة في الليبرالية، غير أن هذا لا ينفي ويلغي سلبياتها.

3/التسلط الأمريكي على العالم

مع احتدام التنافس والصراع بين الاتحاد السوفياتي وأمريكا كان لا بد أن تميل الكفة لأحدهما، وهذا ما حصل بالفعل حيث أنه مع نهاية القرن 20 وبداية القرن 21 ظهرت ملامح ضعف الاتحاد السوفياتي، بينما ازدادت الو.م.أ قوة في جميع المجالات، وهذا ما جعلها مؤهلة إلى قيادة العالم، والتحكم فيه وفق منظورها، وهذا ما تبلور وتجسد في النظام الدولي الجديد، الذي طرح مفاهيم وأفكار جديدة غيرت مجرى التاريخ حيث " أعلن الرئيس بوش على أن الولايات المتحدة ستقود نظاما عالميا جديدا، تتوحد فيه مختلف الأمم على مبدأ عالمي مشترك يهدف إلى تحقيق طموح عالمي لمصلحة البشرية، عماده السلام واركانه الحرية وسيادة القانون"[18]. والأحرى هنا أن سيادة القانون معناها الولاء لأمريكا.

فالنظام العالمي الجديد هو الفكرة التي تبناها الرئيس الأمريكي جورج بوش ليبرز مكانة الو.م.أ وسيطرتها، ومع تبنيها لفكرة النظام العالمي الجديد تبنته معها باقي دول العالم لتشكل أمريكا قوة كبرى يحسب لها ألف حساب، وبدأت مظاهر هذا النظام تتجلى وتظهر

في سيطرتها على الشعوب في مختلف المجالات، وكان المستهدف الأول لأمريكا الإسلام كما سنوضح ذلك لاحقا.

ويظهر التسلط الأمريكي على العالم في النقاط التالية:

أ-الهيمنة الاقتصادية

نعلم جيدا أن الاقتصاد هو أساس قوة المجتمعات، وهو المعيار والمحك الأول لتصنيف قوة الدول، وكل دوله في هذا العالم لها مورد اقتصادي هام، لكن الغرب استغل جميع الدول لكي يشكل قوة اقتصادية، حيث أن «الهيمنة الاقتصادية قد تكون الأهم، من بين كل آليات الهيمنة الأخرى، لارتباطه المباشر بحياة الناس، ومعاشهم اليومي فنلاحظ سياسة التجويع التي تتبعها الدول الكبرى، تجاه الدول الافقر في العالم، كما هو الحال في العراق قبل التغير عام 2003»[19].

فتطور الو.م.أ في المجال الاقتصادي جعل العديد من الدول الأخرى خاضعة لها، وذلك من خلال فرضها لاستراتيجيات اقتصادية أهمها الشركات المتعددة الجنسيات، وكذلك تطورها في هذا المجال أدى بها إلى البحث عن دول وأسواق بشرية تصدر لها منتوجاتها، مما زاد في توسعها وتعزيز قوتها الاقتصادية، وكذلك الضغط على الدول من خلال حرمانها من منتوج هي بحاجة ماسة إليه، وبرزت هذه الهيمنة من خلال انتشار الرأسمالية في العالم على أساس أن النظام الرأسمالي يقوم على حرية الإنتاج.

وهذه الصفة التي تفردت بها أمريكا جعل من الدول الأخرى غير الغربية خاصة والعربية على وجه التحديد لا تعيش استقلالا اقتصاديا

لذاتها، وانما هي دائما في تبعية للنظام الاقتصادي الأمريكي، وتسعى الرأسمالية كنظام اقتصادي الى مبادلات تجارية غير محدودة في البيع والشراء لتحقيق الزيادة والاستمرار والوصول الى أبعد نطاق اعتمادا على مبدأ الحرية الفردية بعيدا عن سيطرة الدولة، وإن تدخلت الدولة فتدخلها من أجل التنظيم وحماية مصالحها وتأمين الضرائب، لأن الرأسمالية تسعى لتحقيق مصالح الفرد الاقتصادية والاجتماعية بسلطة اقتصادية، وأهم ما يميز هذا النظام عن باقي الأنظمة الاقتصادية الأخرى هو ما حققه من ارباح في مدة قصيرة نتيجة تحرره من كل القيم الأخلاقية كممارسة الاحتكار والانتهازية والربا وغيرها .

ويمكن القول بأن الرأسمالية «هي اتجاه أو أسلوب انتاجي تاريخي تتبناه الهيئات الاقتصادية، ويتسم بمجموعة من الخصائص من اهمها انتاج السلع وتوزيعها على نطاق واسع، وبيع العمل وشراءه كسلعة بواسطة رأسمال، وتحقيق فائض القيمة وتراكم رأس المال واعادة خلقه من جديد على نطاق واسع، وهي النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي حل محل الاقطاع، ويقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج"[20].

فالرأسمالية منذ ظهورها حاولت الحد من القيود المفروضة على التجارة، والفرد لم تكن له الحرية من قبل في ممارسة نشاطه التجاري مثلما يشاء، وعملت الرأسمالية أيضا على الحد من صلاحيات الحاكم في تدخلاته وتسييره للتجارة، فهذا المذهب شكل نفعا وأفقا لأصحاب رؤوس الأموال، وبالتالي فالرأسمالية تضمن لهم الحق في ممارسة نشاطاتهم، وفق ما يحفظ حقوقهم ومصالحهم ودون قيد او شرط.

والنظام الاقتصادي الرأسمالي الذي هو نظام اجتماعي واقتصادي يعترف بجهود الأفراد وحقوقهم، ويشجع الكفاءة والتنافس في تلك الدول فهذا النظام استطاع أن يحفز الطاقات البشرية، ويطورها في نطاق المبادرة الفردية ويقودها إلى استغلال واستثمار الأموال في تجارة مربحة والدخول في علاقات متبادلة الغرض منها هو تحقيق الربح والفائدة، ولم يقتصر هذا النظام على استثمار الاموال، وانما سعى إلى توظيف جميع الموارد دون استثناء.

وقد عملت معظم الدول الغربية على تطبيق النظام الاقتصادي الرأسمالي، لأنه يقوم على تقديس العمل، واحترام المبادرة الفردية واقامة من المؤسسات السياسية والاجتماعية ومجموعة من الشركات الخاصة، بالإضافة الى العديد من العوامل التي شكلت نهضة في جميع المجالات، كذلك تعد أمريكا قوة هائلة في المجال الصناعي، فهي تتميز بالإنتاج الغزير، وأيضا باستخدام البحث العلمي الدقيق في المجال الاقتصادي، لذلك تبنت الرأسمالية كنظام يناسب طموح الفرد الغربي وتطلعاته المستقبلية، وهذا يشجع بالدرجة الأولى الدول الغربية على بقاءها في الصدارة، وسيادة العالم

والنظام الاقتصادي الرأسمالي مهم بالنسبة للغرب، ولا يمكن الاستغناء عنه نظرا لفوائده المتعددة، والتي أعطت للفرد الاولوية في تحقيق متطلباته وساعد التطور التكنولوجي على بروز هذا النظام وبقاءه في الصدارة، واغلب دول العالم التي كانت تنتهج النظام الاشتراكي اصبحت الآن تطبق الرأسمالية نتيجة لنجاحه في حل الازمات والمشاكل

الاقتصادية التي عانت منها تلك الدول في إطار النظام الاشتراكي، ومن هنا وبتحكمها في الإنتاج الاقتصادي ورأس المال، أتيحت للولايات المتحدة الأمريكية فرصة السيطرة على دول العالم والتحكم فيها، ولا شك أن أكثر الدول خضوعا لأمريكا هي الدول العربية الإسلامية، لأنها تحتل المراتب الأخيرة اقتصاديا، فكان لأمريكا حق تصنيف هذه الدول في خانة العمالة، وتصنيف الدين الإسلامي في خانة الإرهاب.

ب-الهيمنة السياسية

عند ظهور الو.م.أ كقوة عالمية سعت إلى السيطرة على كل العالم عن طريق بسط هيمنتها السياسية على العالم، وذلك بذريعة أنها تهدف الى تحقيق الاستقرار والأمن والارتقاء بالشعوب إلى الأفضل، وتوسيع نطاق الحرية للأفراد، فاتخذت الليبرالية كمنطلق لهذه الهيمنة باعتبار أن الليبرالية فكرة سياسة تدعو الى الحرية وتقديس الفرد، وكذلك «التفكير في حل ديبلوماسي لنزاع معين أو لضمان مصلحة ما، هو سمة العلاقات السياسية الدبلوماسية، وهو نفسه الطريق للهيمنة السياسية»[21]. فالو.م.أ تنتهج سياسة إرساء السلام والأمن ونشر الديمقراطية في العالم، بحيث تقوم بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول الضعيفة، خاصة منها الإسلامية لفرض تنظيمها وترتيبها وتجنبها لأي أزمات أو حروب من شأنها أن تؤثر على مكانة امريكا، وهذا هو الهدف المعلن، لكن في حقيقة الأمر تقوم الو.م.أ بالتدخل عن طريق اطلاق الفتنة بين الشعوب، لأنها تقوم بإعانة الأنظمة الفاسدة داخل الدول لتضمن عمالة هذه الأنظمة لها، وهذا ما حدث في بعض الدول

العربية المسلمة، التي أدخلتها أمريكا في حروب وفتن لم تنته، وبعد ذلك تتحكم أمريكا بمخابراتها في هذه الأنظمة، لتضمن بقاء هذا التناحر داخل هذه الدول وإلى الأبد، ليكون التخلف والضعف الفرقة مصير هذه الدول، ثم تتدخل أمريكا في كل مرة بدعوى حل هذه النزاعات واخراج هذه الشعوب من تلك الأزمات التي تتخبط فيها، فتكون أمريكا هي الداء والدواء في ذات الوقت، وكل هذا في غياب الوعي السياسي للمواطن العربي الذي أصبح يتخبط في مشاكل كلاسيكية، ولم يستطع الخروج منها. واستنادا إلى " **ابحاث اكاديمية غربية تكشف الاسرار والابعاد وراء الهيمنة الامريكية على العالم عموما والشرق الاوسط خصوصا، والتي تكشف في اضوائها عن حقيقة هيمنة السياسة الصهيونية والاسرائيلية على القرار العربي وارادته**"[22]

فالغرب اليوم يعترف بأنه يقوم بنشر سياسته على نطاق واسع واغلب الدراسات تؤكد على أن الهيمنة السياسية الأمريكية على دول العالم، وبالخصوص الدول العربية والإسلامية هي هيمنة هدفها خدمة إسرائيل، والوقوف معها من أجل السيطرة على العرب من خلال احتلال فلسطين التي تعتبر بوابة العرب، ومن خلالها تستطيع الهيمنة على الشرق الاوسط ككل، فأمريكا تتحكم في قرارات وآراء ومستقبل العرب من خلال التدخل في السياسة الداخلية للدول، ومن خلال أنظمة عميلة نصبتها أمريكا ولم تنصبها الشعوب العربية الإسلامية، وان نصبت الشعوب حاكما فإن أمريكا تسارع إلى عزله والإنقلاب عليه بحجة أو بأخرى، لكن في الحقيقة كل الأسباب المذكورة كنشر الديموقراطية

والعدالة هي أسباب وهمية، من أجل التحكم في المصير العربي حتى تبقى الدول العربية تحت سيطرتها وهيمنتها وفقط.

وأمريكا لم تفكر يوما في مستقبل الإنسانية وحقوق الناس، بل إن جل تفكيرها هو حفظ مصالحها وكل ما يخدمها، والعمل أيضا على نشر التخلف والفتن في البلدان العربية الإسلامية، لذا كان من المفروض أن يكون شعار كل عربي مسلم " والله لو قالت لي أمريكا قل لا إله إلا الله ما قلتها " وصدق من قال أمريكا الطاعون والطاعون أمريكا.

4/ العولمة ومحاولة أمركة العالم

بعد الريادة الامريكية على العالم ظهرت العديد من المظاهر ومن أهمها العولمة - والتي سنأتي على تفصيلها في آخر هذا الكتاب - حيث تعرف هذه الاخيرة بأنها "ترجمة لكلمة" mondialisation " الفرنسية بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة هي ترجمة " globalization " الانجليزية، التي ظهرت أولا في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، فهي إذن مصطلح يعني جعل العالم عالما واحد وتوجها واحد في اطار حضارة واحدة، ولذلك تسمى الكونية أو الكوكبة"[23] . فالعولمة تهدف إلى جعل العالم قرية واحدة، وهذا ما يتجسد اليوم بشكل كبير جدا في تقليد العالم لمنجزات أمريكا، وعاداتها وثقافاتها وقيمها وحتى اللغة، فاللغة السائدة اليوم هي الانجليزية، ويتم نشر ذلك إعلاميا وسياسيا.

وساهمت العولمة في جعل العالم قرية صغيرة، وذلك من خلال توسيع وتعميم مظاهر تكنولوجيا الاتصالات على مختلف دول العالم وازالة الحواجز التي كانت مفروضة قديما، وساهمت في دفع العجلة الاقتصادية تحت نظام شامل، لتتوحد فيه جميع المعايير وتزول فيه مختلف الفوارق والحدود في العالم.

وظهر مصطلح العولمة أول ما ظهر في مجال التجارة والاقتصاد، غير أنه لم يعد مصطلحا اقتصاديا صرفا، فالعولمة الآن تحولت إلى نظام عالمي يطغى على كل المجالات الإنسانية، بما فيها مجال السياسة والفكر والايديولوجية[24] . والعولمة هي تجسيد للعالم الجديد الذي يعيش تحت الهيمنة الامريكية في جميع المجالات، ويتعدى الأمر أيضا إلى العولمة الثقافية التي ترتبط بفكرة توحيد مختلف الثقافات تحت راية واحدة تطغى عليها الصيغة الغربية، في إطار ما يسمى بتوحيد الثقافات.

وتعد العولمة ثالث مراحل الإمبريالية، وهي مرحلة الهيمنة الأمريكية التي تحولت الى هيمنة ساحقة منذ انهيار الاتحاد السوفياتي 1991 وتمثل الثورة المعلوماتية والاتصالات عماد هذه الهيمنة، أما اداتها فهي الشركات المتعددة الجنسيات التي اصبحت تمارس نشاطات متنوعة جدا وخاصة المضاربات المالية[25] . ومنذ انهيار الاتحاد السوفياتي بسبب تطور نظيره الغربي في المجال المعلوماتي والتكنولوجي أصبحت أمريكا سيدة العالم الحر، فكان هذا عاملا مهما لبسط نفوذها على العالم واعلان نظام دولي جديد يرسي قواعد العولمة، ويجعل هذا العالم يعيش

تبعيه لأمريكا، ويخضع لها باعتبارها القوة الأولى التي لا تنافسها أي حضارة أو قوة أخرى.

5/ أغلوطة الإسلاموفوبيا والمفارقة الإجرامية

أ-توهم الغرب

بالرغم من تفوق الحضارة الغربية اليوم في العالم بإمكانياتها ووسائلها المتطورة في كل المجالات إلا انها تبقى متخوفة من عودة وظهور الحضارة الإسلامية كقوة منافسة لها، وهذا ما جعل الغرب يخلق العديد من الأكاذيب حول الدين الإسلامي ، ذلك أن " **الخوف المنتشر من الإسلام في الغرب يعود الى موقف دفاعي لا عقلاني من غزو إسلامي للعالم، كما يقوم على مبالغة في تقدير التأثير الإسلامي ونسيان للسيطرة الغربية في ميادين السياسة والاقتصاد والعلوم كما يقوم على توصيفات منتقصة من الإسلام، تدعهما تطورات نظرية بعيدة عن الواقع**"[26] .فالحضارة الغربية تتوهم وتوهم المجتمعات من ضرورة الخوف من الإسلام، وتوعده بغزو العالم من خلال عودة الإسلام، وعودة الغزوات والفتوحات الإسلامية.

وبالغ الغرب في تقديره لهذه الفكرة، لأن الواقع يشهد عكس ذلك فالغرب هو الذين يثير الخوف وليس الإسلام، وهناك العديد من الوقائع التي تدل على ذلك، ومنها ما حدث في حرب العراق، كما أن الهيمنة الغربية فرضت على الكثير من الدول اتباع انظمتها والتسليم بأفكارها ومبادئها، في حين يعطي الاسلام الحرية الكاملة للأفراد في اتباع ما يرونه مناسبا لهم ولأفكارهم.

وجدير بنا " **أن نتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة التي ادانتها المحكمة الدولية لممارسة الارهاب الدولي، وهي التي رفضت قرار صادرا عن مجلس الأمن يطالب الدول بمراعاة القانون الدولي، علينا أن نتذكر ذلك خاصة أنه تم كتمه باستمرار وتستمر الولايات المتحدة الامريكية في ممارسة الارهاب الدولي**" [27].

فتشومسكي باعتباره أمريكي كتب وبإنصاف على أن هذه الدولة هي من تمارس الارهاب، ويفصح العديد من جرائمها التي قامت بها في العالم منذ نجاحها فراحت تستغل تطورها من خلال ايجاد أطراف تعطيها الولاء والتبعية بسبب الفقر، وكذلك يعطي أمثلة على تدخلها في السياسات الداخلية لشعوب العالم، وأدت هذه السياسة إلى تفجير حروب وانقلابات سياسية وعسكرية، وهذا ما يؤكد على سلوك أمريكا الإرهابي كما أنها تريد تبييض صورتها بتشويه الإسلام، نتيجة كرهها وحقدها عليه وعلى المسلمين.

وبعد أحداث 11 سبتمبر راحت امريكا تغزو شعوب الاسلامية وتنهب ثرواتها، مثل ما حدث والعراق وافغانستان وسليهم البترول والغاز الا انها تصرح وتقول انها تحارب الارهاب، وتقوم بحماية العالم منه في اطار تدخل انساني، وتهدف لتحقيق استقرار وامن الشعوب وتحقيق الرفاهية لها، ورغم هذا " فنظرة أكثر الاوربيين نحونا نظرة تعصب تجعلهم يشيعون أن أي شيء سيفشل في الوطن العربي، ومن هنا جاءت نظرتهم اليوم على العموم... ومع ذلك قامت صيحات علمية موضوعية منصفة "[28].

إذن هناك بعض الجهات التي انصفت العرب والمسلمين، واعترفت بإنجازاتهم وبحضارتهم، ولم تنكرا أن الغرب أخذ من العرب علومهم وفلسفتهم، كما أن الكثير من المستشرقين يتوقعون انهيار حضارة الغرب وظهور قوة بديلة هي الإسلام، وأن الاسلام سيحكم مستقبلا العالم وهذا قول الكثيرين، ومنهم برنارد شو وروجي غارودي وغيرهم.

ب-أغلوطة الإسلاموفوبيا

تعرض الإسلام من ظهوره الى عدة هجمات من العرب أنفسهم، ومن العجم، لتتوالى هذه الهجمات وهذه المرة من الحضارة الاوربية حيث سعت هذه الاخيرة وبكل الطرق لإبادة الدين الإسلامي، وطمس معالمه وهذا راجع الى الصورة السلبية والخاطئة التي حملها الغرب عن الإسلام والمسلمين، والتي كانت بفعل مجموعة من الأسباب التي من بينها سلوك بعض المسلمين المخالفة للإسلام، وكذلك الصورة الإعلامية الناتجة من الاعلام الغربي ودوره في تشويه الإسلام، وخلق صورة مفارقة تماما لحقيقة الإسلام، أدت الى تخوف الغرب منه ومن المسلمين بصفة عامة.

وهكذا " أخذت تتشكل في اذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الإسلامي بوصفه مهد لفلاسفة عظام، وكانت تلك صورة مضادة تماما للصورة السابقة، صورة الكيان السياسي الذي يسطر عليه دين معاد ومغلوط، وهي الصورة التي خلقتها الخرافات السخيفة في أذهان الناس"[29] . وبالتالي ففكرة الخوف من الإسلام أو ما يعرف بالإسلاموفوبيا اليوم هي فكرة مغلوطة، حدد ورسم معالمها مجموعة من المفسدين

الغربيين الذين نشروا كفكرة وبرهنوا بمغالطات على أن الإسلام هو ظاهرة تثير الخوف، لذلك يجب أخذ الحذر منه ومحاربته بكل الوسائل.

وقام الغرب بعدة استراتيجيات لسد ذلك التوسع عن طريق نشرها ما يسمى بالإسلاموفوبيا " كما رأينا في الجملة الاحتجاج الإسلامي الواسع خذ تدنيس القران في سجن غوانتنامو، وهي الجملة التي نجحت في توجيه ضربة موجعة لمصداقية أمريكا وادعاءاتها باحترام الدين الاسلامي واعادة التأكيد على أن هذه الحروب المزعومة عن الارهاب، وانما هي بالأصل حرب تستهدف ضرب الاسلام وقواعده ومرتكزاته الحية بالمنطقة"[30].

ولعل هذه الصدمة الاكبر تبرز واقع الغرب وتوهمه أنه دين غريب ينشر العنف والأعمال الارهابية بينما تقوم أمريكا بمحاربة الاسلام والمسلمين مدعية أنها تهدف إلى تحقيق السلام والاستقرار لشعوب العالم، وحجتها دوما هي القضاء على المسلمين المتعصبين لدينهم وبالرغم من أن كل أحداث العنف التي شهدها العالم كانت بسبب أمريكا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلا أنها بعيدة عن قفص الاتهام ببساطة لأنها تملك القوة، وهي سبب الحروب والأزمات وتقوم بأعمال عنف وارهاب دولي، واستعباد الشعوب ونهب ثرواتها والهيمنة عليها وتهشيمها والاستلاء عليها، خاصة الدول النامية التي تعاني من الضعف الاقتصادي، وتعمل أمريكا أيضا على محاربة كل ما يمت بصلة للدين الإسلامي، وتساهم في ضرب جوهر الإسلام ألا وهو القرآن الكريم، وتظهر النبي مصطفى في أشبع صورة، كون أن النبي هو جاهل وأمي

ودينه لا يستطيع قيادة وبناء أمة، ولم توهم أمريكا الغرب بهذا فقط لكنها أوهمت بني الإسلام وخلقت في الأمة العربية مفكرين أشد عداء للإسلام من الغرب في حد ذاته، ومهما كانت قوة أمريكا اليوم فإن الوهم يبقى وهما، والحقيقة هي التي ستطفو للسطح يوما ما .

ج-المفارقة الاجرامية

لقد سادت نظرة من طرف الكثير من المعاصرين على أن الشعب الأمريكي يمثل نموذج الشعب الراقي، وسادت مع هذه النظرة حالة من التفاخر والاستعلاء للشعب الأمريكي، لما يملكه ويتميز به من تطور ووصل الأمر بهذا الشعب الى درجة اصابته بمرض جنون العظمة والاستعلاء، لكن المتعمق في تاريخ أمريكا يرى عكس هذه النظرة، فالتاريخ يبين عكس ذلك، لأن هذه الإبادات الجماعية الأعظم والاطول في تاريخ الإنسانية، والتي حاولت الدول المنتصرة محوها من صفحات التاريخ تبقى من صنع أمريكا و الغرب[31] ، ولن تنسى الشعوب الضعيفة وما حاق بها من ظلم وستنتفض يوما ما، وتنتقم لنفسها إن عاجلا أم آجلا، وتاريخ أمريكا منذ نشأتها حتى يومنا هذا حافل بالعديد من الجرائم البشعة، إذ أنها خلقت العديد من المآسي لأغلب شعوب العالم، بداية من الهنود في الشمال الأمريكي، وايضا تفجير القنبلة النووية في اليابان وايضا جرائمها في كوريا والفيتنام والعراق وغير ذلك، فأمريكا لا يهمها شيء سوى تحقيق مصالحها، وتحقيق اطماعها وبسط سيطرتها على العديد من الدول والشعوب.

لكن أمريكا لا تعترف بهذه الجرائم بل سعت الى طمس هذا الجزء المخزي من تاريخها باستخدام العديد من الوسائل والاغاليط والاكاذيب وبمساعدة الأنظمة العميلة في المجتمعات العربية، وتدعم أمريكا موقفها هذا بأحداث 11 سبتمبر 2001، بحيث توهم الناس بالهجوم الإسلامي الإرهابي على أمريكا في عقر دارها، وفي ذلك اليوم توفي ثلاثة الاف شخص في الهجمات، وهو ما يزيد على عدد من ماتوا في بيرل هارير أو أي حادث إرهابي في أنحاء العالم[32]. ومنه ربطت أمريكا بين أي فعل إرهابي في العالم والإسلام ويجب ندرك أن **" لفظ إسلاموي زاخر بالمغالطات، فهو يدل من الناحية المبدئية على كل معتقد بالإسلام ثم صار عند كثير من الغربيين مرادفا للتعصب"**[33].

إن الولايات المتحدة على رأس الدول الخارجة على القانون، ولا تتقيد البتة بالقانون الدولي، وهذا ما تقوله علنا، لقد غزت الولايات المتحدة العراق دون إذن من هيئة الأمم المتحدة أو قبل أن يصدر قرار هذه الهيئة، مع أن ذلك يشكل انتهاكا واضحا وتعديا صارحا على ميثاق الأمم المتحدة[34] . وقتل في حرب العراق من قتل بذنب أو بغير ذنب ومارست أمريكا مع شعب العراق كل أشكال الإرهاب، ومختلف أشكال العنف، ومع ذلك ادعت انها وصية على حقوق الإنسان في العراق، وبعد أن اكلت الأخضر واليابس في العراق وأفغانستان قررت الانسحاب، ودوله فلسطين خير دليل على ارهابهم، وما يحدث في هذه الدولة من مجازر صهيونية أمريكية لا يمكن وصفه بالإرهاب فقط، بل هو الوحشية بكل ما تحمل من معنى، وفي صمت دولي رهيب.

وما نخلص اليه أن هناك مفارقة غريبة في وصف العالم، فأمريكا التي تحتل الأوطان الإسلامية الضعيفة وتعبث وتقتل كيفما تشاء وأينما تشاء توصف بالتقدم ورعاية حقوق الإنسان والراعي الرسمي للديمقراطية في حين يوصف نفر من المسلمين الذي احتلت أوطانهم فدافعوا عن أرضهم وعرضهم يوصفون بالإجرام ويتهم دينهم الإسلامي بالإرهاب.

6/ و اقع المجتمع العربي وحقيقته

شهد العالم العربي راهنا العديد من التغيرات الجذرية التي طرأت على جميع المجالات ساهمت في بروز العديد من الظواهر التي غيرت البيئة والبنية الاجتماعية، وساعدت على نشوب العديد من الأزمات والمشاكل، بداية من الاستبداد السياسي وجور الحكام وغياب الديمقراطية وحرية تقرير المصير إلى جانب الواقع الاجتماعي الصعب كسوء المعيشة والبطالة والفقر واقتصاد منهار، وفي المجال الثقافي الذي نعيش فيه أزمات مخيفة وتخلف رهيب ودوغماتية مقيتة ساهمت في تغير المنظومة القيمية للمسلمين ككل، وحدثت العديد من الصراعات والنزاعات التي ساهمت في بروز ظاهرة الإرهاب في المجتمعات العربية والتي هي عندنا ظاهرة مجهولة غريبة ، ذلك أن تعاليم الدين الإسلامي لا تؤيد مثل هذه الظواهر، عكس ما يدعيه الغرب الذي يعتبر الإرهاب سلوك إسلامي أصيل، وأصبح الإسلام في نظرهم ذلك الدين الدموي العنيف، لكن الحقيقة التي يخفيها ويخافها الغرب هي أن الإسلام هو

ذلك الدين الذي جاء من أجل نشر قيم التعاون والتسامح والسلم والتعارف العالمي، وهو الدين الذي يوحد جميع شعوب العالم تحت راية السلام، وفي ظله تسقط جميع الفوارق والطبقات والأعراف والألوان في إطار الوحدة الإنسانية، وتاريخه و نصوصه ومواقف المسلمين شاهدة على ذلك، وسنركز في الواقع العربي على الواقع السياسي باعتباره عصب الحياة.

أ-و اقع المجتمع العربي الراهن

. الو اقع السياسي

تعتبر الحياة السياسية العربية حياة قاسية جدا، ويعاني الإنسان العربي معاناة لا نظير لها في مجتمعات أخرى، وذلك للعديد من الأسباب ومن أهمها أنها لا تحترم الديمقراطية ولا عدالة فيها، ولا تداول على السلطة، وأصبح الفرد العربي يعيش مظاهر الدولة في غياب الدولة بل وأصبح يعيش مشاكل كلاسيكية جدا يستحي الإنسان من ذكرها ولم تتحقق متطلبات الفرد العربي، ولا أهدافه ولا طموحاته، حتى وإن كانت بعض المجتمعات العربية تعيش الرفاهية، فإن هذه الرفاهية على حساب الحرية، كما السياسة العربية لم تواكب مستجدات العصر ومتطلباته.

والوضع السياسي عندنا منحط ومتخلف، وأصبح القمع والفساد السياسي هو عنوانا واقعنا. "ويبقى واقع هذه الأنظمة السياسية واحدا

وإن اختلفت من حيث الشكل السياسي الخارجي ليبقى الاختلاف لفظيا أكثر مما يعبر عن حقيقة أساسية".[35]

والواقع المعيش يثبت أن الوطن العربي يعيش أزمة سياسية، ومع أن السياسة هي الشغل الشاغل للعرب، إلا أنها لم تتطور ومحاولتهم للتغيير فيها باءت بالفشل، وكل ثوراتهم انتهت الى العدمية، هذا إن صح القول بانها ثورات وليست مجرد مؤامرات، ومع أن مصادر الفكر السياسي العربي متنوعة بشكل كبير مثل الفكر السياسي الإسلامي والفلسفة الغربية الليبرالية والاشتراكية، وفيها من الفكر الحديث كالقومية إلا أن الصراعات والأزمات أثرت كثيرا على البلدان والمجتمعات العربية، و"إذا كانت أزمة أنظمة الحكم العربية متعددة الجوانب سواء الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، إلا أن الجانب السياسي في هذه الأزمة يبدو هو الأكثر حدة وقسوة بالنظر إلى الحياة اليومية للمواطنين في البلاد العربية".[36]

فالسياسة العربية أصبحت هشة وواقعنا السياسي يخضع للعديد من المؤامرات والمخططات الدنيئة، سواء كانت داخلية أو خارجية من أجل إسقاط العالم العربي في الهاوية والصراعات والاقتتال، وإذا لم تتغير هذه الحياة السياسية الراهنة قريبا ستخضع هذه المجتمعات للاستعمار من جديد.

وظاهرة الاستبداد السياسي في المجتمع العربي أصبحت تمارس بكل أنواعها وأشكالها، وقد أثر هذا على ممارسات الفرد العربي وانعكس وأثر

وسلوكه كثيرا، وفي هذا الصدد يقول محمد الغزالي "حتى جاء هذا العصر فأصبح الاستبداد قدرة الحاكم أو جهاز الحكم على فرض الإلحاد قسرا، وأخذ الأجيال الناشئة به طوعا أو كرها"[37] .وأصبح الفرد العربي يخشى من التعبير عن قناعاته السياسية، وذلك لأن أزمتنا هي أزمة أفكار، فالحكام العرب ينظرون للفرد على أنه مجرد سلعة تباع وتشترى، ويجب أن يخضع للنظام السياسي السائد، ولا وجود لحقوقه بل وعلى رجال الدين والعلماء والمفكرون أن يقنعوا الناس بضرورة مساندة هذا النظام، وإلا فهم مارقون وخارجون عن الملة.

وما يمكن أن يقال عن النظام السياسي العربي سوى أنه نظام سلطوي سرطاني منتشر في كل جسد الأمة، وهذا ما لمسناه في العديد من الدول العربية، مما أدى بالمجتمعات العربية إلى الثورة ضد حكامها إلا أن الرؤساء لم يتنحوا، بل دخلوا في صراع مع هذه المجتمعات حيث خلف هذا الكثير من الخسائر المادية والمعنوية والأرواح البشرية دون تغيير في السلطة، وفي بعض الأحيان كان التغيير إلى الأسوأ. وأدى هذا بالأفراد إلى فقدان الثقة في دولهم وحكامهم، كما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار.

وتشهد الأمة العربية انهيارا كاملا على جميع الأصعدة، وكله ناتج عن الأنظمة السياسية الفاسدة التي لا تحترم حقوق وحريات الإنسان فالعديد من التقارير والدراسات توصلت إلى أن الدول العربية تتصدر المجموعات المتأخرة في الترتيب من حيث احترام حقوق الإنسان، كما أن

العديد من الدول العربية تعتبر الأسوأ في مجال العدالة، ومن المؤسف أن يفقد الفرد العربي أبسط حقوقه دولته وفي جميع المجالات، مما جعله عرضة للهجرة غير الشرعية، مخاطرا بحياته ونافرا من أوطانه، فكيف لنا أن نطلب من الفرد العربي أن يبني أمة، وهو يعاني من هيمنة واستبداد وقهر سياسي لا نظير لهم في العالم.

وهذا الوضع السياسي دفع ببعض المجتمعات إلى القيام بالعديد من الاحتجاجات ضد سياسات بلدانهم، وهو دليل على رفضهم لهذه السياسات، والتي كانت مطالبة بسقوط الأنظمة، لأنها لم تحقق لهم مطالبهم، ولم تساهم في الارتقاء بالمجتمع العربي إلى مصاف المجتمعات المتقدمة. "وقد أدت حالة الاختناق السياسي الذي تشهده المنطقة إلى ظهور عدد كبير من الحركات الاحتجاجية"[38] ، فقد شهد العالم العربي العديد من التغييرات على بعض الأصعدة، والمتمثلة في شكل ثورات قام بها مجموعة من الأفراد، والتي كانوا يطالبون فيها بوقف التهميش بتغيير الأنظمة المتحجرة التي لم تساهم في تغيير الأوضاع والظروف الاجتماعية.

وأصبحت الحركات والمنظمات الجماهيرية في المجتمعات العربية بديلا عن الأحزاب السياسية العقيمة، التي أصبحت مجرد آلة في يد النظام يفعل بها ما يشاء، وتمنى المجتمع لو أنه يدير نفسه بنفسه دون الحاجة إلى حكومات أو مؤسسات سياسية، لذلك يجب تغيير الأساليب والآليات الفاسدة من أجل إحداث تنمية سياسية كفيلة بأن ترجع للفرد العربي هويته وحقه المفقود، وذلك بإحداث قفزة نوعية تنطلق مما هو

موجود إلا ما ينبغي وجوده، حتى يحدث التقدم السياسي وفي شتى المجالات، لأننا بحاجة إلى تجاوز هذه الأزمات والفجوات بين الدول وأجهزتها وبين الفرد العربي، الطامح إلى النهوض بواقعه من حالة العجز والتخلف والتبعية إلى حالة الرفاهية والتقدم والرقي.

وكنتيجة حتمية لهذا الوضع ظهر ما يعرف بالهجرة غير الشرعية إلى الدول الغربية، وانتشر اليأس في أوساط الشباب العربي، كما انتشرت حركات في أوساط الشباب تعتقد أنه لا سبيل لإسقاط الأنظمة إلا من خلال محاربة الدولة وأجهزتها، وهو ما يعرف في مجتمعنا بالحركات الإرهابية، ويمكن القول أن هذا التدهور السياسي اعطى الفرصة لمثل هذه الحركات في الظهور والقبول عند بعض الشباب، وتعد ظاهرة الإرهاب من أهم الظواهر المعقدة في وقتنا الحالي، نظرا للمخاطر التي تشكلها على الفرد والمجتمع، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر السلبية التي ارتبطت بالدين الإسلامي وبسلوكات المسلمين، والإسلام منها بريء، ولم تقتصر هذه الظاهرة على الإنسان وسلوكه داخل الدولة، بل شملت حتى العلاقات الدولية الاسلامية، وخير مثال على ذلك الصراعات والحروب الذي تشهدها الدول الإسلامية في إطار ما يسمى بمكافحة الإرهاب أو بالأحرى تصفية الحسابات .

ب -مفهوم الإرهاب

يعتبر الإرهاب قضية من القضايا المنتشرة في العالم، وقد اختلف تعريفه من دولة إلى أخرى، ومن زمن الى آخر، حسب الممارسة التي تهدف

إليها العملية الإرهابية، وهو موجه بالدرجة الأولى إلى الدولة بسبب فساد نظام الحكم أو الخروج عن الحاكم، وهذا الإرهاب يمارسه الأفراد أو جماعات معينة، في ظل تنظيمات أو تخطيطات أو شعارات يقوم عليها وبصفة عامة "الإرهاب هو الاستعمال المنهجي للعنف أو التهديد به بقصد إزهاق الأرواح ... مثل الاغتيال، وأخذ الرهائن، وتدمير المقدسات وتلويث البيئة، من طرف منظمة أو جماعة أو فرد أو دولة، وأقصى درجات الإرهاب هو الاحتلال، وأدنى درجاته هو الترويج باستعمال السلاح"[39]. ورغم أن هذه الظاهرة قديمة إلا أن حدتها ازدادت في الآونة الأخيرة على الساحة العالمية مثل أحداث الحادي عشر سبتمبر، ومن هنا شاع هذا المصطلح بحيث أصبح حديث الصحافة ورجال السياسة والدين، ونال حيزا كبيرا من الدراسات بين المفكرين والمؤلفين، وتم ربطه بكل حادثة عنف.

وهناك أنواع عدة للإرهاب منها الإرهاب الفردي، وهو ما يمارسه الفرد من أحداث تعبر عن ردت فعل نفسية، نتيجة لعدة أسباب تضايقه أو تزعجه، ويدخل في دائرتها الانتحار أيضا، وهناك إرهاب جماعي تقوم به تنظيمات داخل مجتمعات، وهناك إرهاب دولي مثل ما تمارسه بعض الدول من استعمار واستغلال لدولة أخرى مثل ما تقوم به إسرائيل في فلسطين، وتقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وأفغانستان، وتقوم به فرنسا في عدة دول إفريقية، وتعتبر الأعمال الإرهابية "ممارسة غير قانونية وغير مشروعة جوهرها استخدام العنف

بكل أشكاله ضد الأشخاص أو الجماعات وصولا لتحقيق أهداف سياسية أو مصالح فئوية، وقد يكون هذا الإرهاب في أحيان كثيرة موجه من أنظمة معينة وحكومات"[40]، وقد ارتبط الإرهاب بالرعب والخوف نتيجة لما ينجم عنه من أضرار ومخلفات مادية ومعنوية كالأمراض النفسية والقتل والتدمير والخراب الذي يشمل البيئة والآثار وغيرها، كما يكون مصاحب في كثير من الأحيان بتدمير منشآت حضارية تعبر عن أصالة وتراث دولة، لذا فإن انعكاسات هذه الظاهرة وخيمة وخطيرة على الأمم والشعوب.

ج-دو افع الإرهاب وأسبابه

تعددت دوافع الإرهاب واختلفت أسبابه باختلاف ممارساته، ونذكر من أهم الدوافع لحدوث هذه الظاهرة ما يلي:

. الدافع الفردي

ويعرف أيضا بالدافع النفسي "فالبناء السيكولوجي للفرد يلعب دور مهم في تفاعله مع مجتمعه، وقد أظهرت الدراسات ذات الصلة أن النمو الجسمي والعقلي والانفعالي المضطرب والبيئة الاجتماعية الغير سليمة لها علاقة مباشرة بالعمل الإرهابي"[41] ، فتركيبة الفرد السيكولوجية لها دور في تركيب شخصيته، والانفعال كرد فعل عنيف قد يتمثل في السلوك الإرهابي، فما عاشه الإنسان في طفولته أو في شبابه من اضطرابات، وما مر به من تجارب كل هذا يؤثر عليه، وعلى بناء شخصيته مستقبلا.

والفرد يرى أن الإرهاب هو الوسيلة الوحيدة ليحقق بها الأنا في المجتمع، ويعوض بها مظاهر النقص والظلم التي يعاني منها، فيلجأ إليه الإنسان لكي يثبت وجوده، وهذا الشعور هو الذي يولد فيه العداوة والكراهية، ومع غياب دور الأسرة والمجتمع والمنظومة الدينية والتربوية أصبح الفرد يفتقر إلى من يرشده ويوعيه بأخطار وأضرار هذا الفعل أو السلوك غير السوي.

. **الدافع السياسي**

إن قيادة الشعوب بطريقة استبدادية وسلب الناس وجودهم ومشاركتهم بالحكم يدفعهم إلى القيام بأعمال عنف، قد تصل إلى أعمال إرهابية للتخلص من هذا النظام واستبداده، لأن الفرد يبحث عادة عن نظم ديمقراطية عادلة تشعر الفرد بوجوده في المجتمع، وتسمح له بأن يدير أموره بنفسه.[42]

ويعد هذا الدافع من أخطر الدوافع وأهمها على الإطلاق في بروز الإرهاب في الدول من خلال الفساد السياسي، وفساد أنظمة الحكم والحكام، وما يمارسونه من ظلم وانتهكاك لحقوق الشعوب، وقتل الحريات السياسية وغياب الديمقراطية، فكل هذه الأسباب تؤدي بالأفراد إلى الانقلاب على أنظمة الحكم من أجل الوصول إلى حل يفرض فيه المجتمع رأيه على الدولة، من أجل تحقيق سياسة عادلة والاعتراف بحريات الأفراد وحقوقهم المدنية، فتترجم هذه الأفعال إلى أحداث عنف ينتج عنها ما يسمى بالإرهاب.

إن انعدام الحوار بين السياسيين وباقي المواطنين ساهم في تعميق الفجوة بين هاتين الفئتين، مما ساهم في ثوران أفراد المجتمع ودفعهم للقيام بأعمال عنف، لأن أفراد المجتمع من هذا المنطلق يرون أنفسهم مهمشين ولا يتمتعون بأدنى الحقوق السياسية، فتأتي ردة الفعل الإرهابية، التي تتجلى في أعمال التخريب والتدمير، والتي يريد الناس من خلالها أن يسحبوا الطمأنينة من الحاكم ويحولوا حياته إلى فوضى وأرق.

فتجريد الناس من حقوقهم يؤدي بهم إلى ردود أفعال غير محسوبة النتائج، لذا فإن الإصلاح السياسي الهادف إلى تحقيق العدالة والحرية والشفافية هو أول الطرق لإصلاح حال المجتمعات والقضاء على الإرهاب فيها.

. الدافع الاقتصادي

يعتبر الدافع الاقتصادي من أهم الدوافع التي تشجع على الإرهاب فالأوضاع الاقتصادية كالفقر والبطالة والتهميش وغياب العدالة تساعد بشكل كبير على انتشار العنف داخل المجتمع، والتأثير عليه من خلال الفوارق الاقتصادية التي تؤدي إلى نشوء الطبقية داخل المجتمع، فيخلق هذا طبقة محتقرة بين طبقات المجتمع، وهذه الطبقة عادة ما تحرم ظلما من ثروات الدولة، ويتحول أفرادها إلى ما يشبه العبيد، ويقصون من المواطنة بصفة مباشرة او غير مباشرة.

وهذه الطبقة تعاني من مشكلات عديدة كالحرمان والاقصاء وغياب مؤهلات الحياة الكريمة، فتضطر هذه الطبقة إلى التسول أو إهانة

نفسها من أجل ضمان لقمة العيش الزهيدة، ومثل هذه المشكلات الاقتصادية قد تساعد التنظيمات الإرهابية في استغلال الأوضاع الاقتصادية لهذه الطبقة وتجنيدها في صفوفها[43].

ومعظم الشباب العربي يعاني من التهميش والحرمان من ثروات بلده، فيلجأ إلى التنفيس والترويح عن طريق الخمر والمخدرات وغيرها وكل هذه الانحرافات تولد فيه سلوكات شاذة تساهم في صنع توجههم العنيف، وبالتالي التفكير في أعمال تخريبية أو الانضمام إلى جماعات إرهابية من أجل رد الاعتبار والانتقام لوضعهم المزري، الذي نتج عن الظروف الاقتصادية القاهرة.

. الدافع الثقافي

إذا اعتبرنا الثقافة سلوك إيجابي ناتج عما يملكه الإنسان من معرفة ودراية فإن هذا يقودنا إلى إدراك أهمية الثقافة في توجيه سلوك الإنسان، فالثقافة بكل ما تحمله من أخلاقيات دينية وقانونية وسياسية واجتماعية، وتساهم بشكل أو آخر في ردة الفعل العنيفة والإنسان يستمد جزء كبيرا من ثقافته من المنظومة الإعلامية، وهذه الأخيرة لها دور في نشر هذه الظاهرة، فالأعمال الإرهابية قد تزداد شدتها من خلال التضخيم الإعلامي، فقد أثر الإعلام كثيرا وساهم في نشر مثل هذه الظواهر، والتي باتت جزء من ثقافة المسلمين.

وفي الحقيقة فإن عامل الدين يمكن أن يتحكم في الثقافة، بمعناها الأوسع، ونعبر عنه هنا بالعامل الإيديولوجي، وإذا أسيئ استخدام هذا العامل نشأ عنه ثقافة العنف[44].

لذا يجب أن يكون الدعاة إلى دين الله الحق على دراية واسعة بأهداف الدين الإسلامي، ويجب أن يقفوا على التعاليم الإسلامية السمحاء، وأن لا يأخذوا من الدين ما يروق لهم، لأن في هذا مبلغ الخطورة على الشباب، ونقصد هنا تلك الفئة التي ترى في الدين الإسلامي ثورة قتالية فقط بعيدا عن ثورة العقل التي تنتج الحكمة.

د-المفارقة بين الإرهاب والاسلام

تعددت الآراء وتعددت الاتجاهات حول علاقة الإرهاب بالدين الإسلامي، فهناك العديد من الرؤى وأغلبها غربية تنسب هذه الظاهرة للدين الإسلام ويعتبرونه دين عنف وتطرف، واستشهدوا بالعديد من النصوص الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية. وخير مثال على ذلك قوله تعالى" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ الآية " 60 سورة الأنفال"

فالغرب يستشهد بهذه الآية ليثبت أن مصطلح الإرهاب متجذر في الإسلام، والقرآن يدعو إليه حتى أن الرسول عليه السلام نعت بأنه إرهابي، ويستشهدون أيضا بأحداث العنف التي شهدها العالم، فقد كان

منفذوها في نظرهم من المسلمين بالدرجة الأولى، وكذلك استشهدوا بحديث نبي الأمة الإسلامية محمد صلى الله عليه وسلم وسنه للذبح في بعض المعارك، ونسبوا إليه صفة الإجرام، ورأوا أنه عكس ما يدعي بأنه نبي الرحمة، وأنه جاء لهداية الناس إلى طريق السلام وإخراجهم من الضلالة التي كانوا يعيشون فيها، بل على العكس من ذلك فهم يرون بأنه يشجع على القتل، وأن الإسلام وهو يدعوا أتباعه إلى الحرب والقتال ونهب ثروات غيره، في إطار ما يسمى بالفتوحات الإسلامية، ويكون ذلك من خلال إراقة الدماء، وأن الدخول إلى الإسلام يكون بحد السيف وبالسلاح، ويرى الغرب بأن " الدولة الإسلامية الموعودة لا تأتي إلا بالجهاد والأشلاء والجماجم والدماء، ومن قال بغير ذلك فهو لا يفهم الدين ولا تاريخ ولا سنن".[45]

ويوهم الغرب المجتمعات عن طريق ترسانته الإعلامية بأن الحركات الإسلامية والتنظيمات الإرهابية التي ظهرت في وقتنا الراهن، ترتكب مجازرها تحت راية الإسلام، وكل أفعالها عنف ونشر للرعب في الدول سواء كانت هذه الدول إسلامية أو غربية، وهم يمثلون الشريعة الإسلامية الصحيحة حسب ادعاء الغرب.

إن الإسلام وعلى عظمته وسماحته وسمو تقديسه للحياة والوجود والحق والحرية، قد تعرض لأسوأ حملات التشويه التي سعت بمكر وظلم إلى إلصاق تهمة الإرهاب في كثير من الحالات بهذا المعتقد العظيم مستعملة إقدام أشخاص يدينون بالإسلام على ارتكاب أفعال إجرامية

إرهابية، والإسلام بريء من كل هذا، فهو دين المحبة والسلام والعدالة والكرامة، وهو دين يحرم القتل وإراقة الدماء بغير حق"[46]، فأعداء الإسلام منذ ظهوره نشروا حملات عدائية للإسلام، ووصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأبشع الأوصاف، لكن بالرغم من هذا فالإسلام يبقى دين الجميع، لا يرفض الآخر، بل على العكس يشجع على الإقبال عليه دون إكراه أو إجبار.

والادعاءات الغربية المزعومة والتي تعمل على تشويه صورة الإسلام ووصفه بالإرهاب باطلة من أوجه عديدة، فالإسلام دين العفو والعدل والرحمة، ولا يمكن أن يدعو لمثل هذه الظواهر، وقد كشف الكثير من مفكري الغرب المؤامرات الأمريكية والصهيونية الهادفة إلى ضرب الإسلام، ومن بينهم البريطانية يوكسيل سيزغين، وهي محاضرة في معهد الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن، إذ بينت في مقالها الموسوم بعنوان هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب؟ أن الصراع القائم في الشرق الأوسط هو صراع مصالح، ولا شأن للإسلام به، بل وبينت أن الديمقراطية الامريكية المزعومة هي مجرد ديمقراطية مكذوبة تقول في ذلك " **بعد انشار الجدل حول السماح للفتيات المسلمات بارتداء غطاء الرأس الإسلامي... كان علينا أن نسال ونجيب عن السؤال التالي : أي نوع من الديموقراطيين نحن ؟ "**[47] . إذن يدعي الغرب أنه مجتمع الحرية والديمقراطية، وفي ذات الوقت يمنع المسلمات من الدخول إلى المؤسسات بالحجاب، فأي ديمقراطية هذه؟ وأي تعسف هذا؟

وفي المقابل لم يفرض المجتمع الإسلامي على بعض فتياته المسلمات الدخول إلى مؤسسات الدولة متحجبات بحكم أن الحجاب فرض من فروض الإسلام، وعلينا أن نقارن هنا بين المجتمعين الغربي والإسلامي، وتقول **يوكسيل سيزغين أيضا " وكما شاهدنا فإنه بقدر ما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط والخليج بصورة خاصة، فإن الدين لا يكون المحرك للأحداث بل السلطة والمصالح الاستراتيجية، ولا يخشى الغرب التهديد الإسلامي في السياق الديني إلا عندما تكون مصالحه بعيثها مهددة"**[48]. بمعنى أن هجوم الغرب على الإسلام ليس لأن الإسلام دين عنف، وإنما لأنه يهدد مصالح أمريكا فقط، ولو وجدت أمريكا في الإسلام مصلحة لأقامت حلفا معه، وقد فعلت ذلك مرات ومرات مع بعض الحركات الإسلامية في سنوات خلت.

هذا وبيت المفكرة اليهودية البريطانية المعاصرة جاكلين روز في كتابها القضية الصهيونية جل المؤامرات التي تدبرها أمريكا وإسرائيل للقضاء على الإسلام واتهامه وتشويهه، وبينت في ذات الكتاب أن الإرهاب الحقيقي يتمثل في إسرائيل مدعمة بأمريكا تقول في هذا الكتاب **" قال نسيم براخا من غوش قطيف، وهي احدى المستعمرات الرئيسية التي تستهدفها الخطة في غزة " اذا حدث – لا سمح الله - وجرى الفصل بيننا فإنني سأدمر كل شيء"** [49]. فالدمار والخراب هو صفة إسرائيلية أمريكية بامتياز، وتقول أيضا **" ويبدو أن الصهيونية في تكرار غريب للخلاصية تتطلب الرفض أو القبول من دون شروط، فإما أن تكون**

صهيونيا وإما مناهضا للصهيونية دون جدال" [50]. وفي هذا القول تصريح واضح بأن إسرائيل لا تقبل المعارض لها.

و انطلاقا من هذه الاعتر افات علينا أن نقرونعترف بأن في الغرب شرفاء اعترفوا بقيمة الإسلام وعدله وسماحته، وأدانوا أمريكا وكشفوا مؤامراتها، واظهروا الحقيقة دون خجل، رغم حيهم لأوطانهم ودينهم و ايديولوجيتهم.

أما عن وجه بطلان مصطلح الإرهاب وتجذره في النص القرآني فنقول بأن القرآن يؤخذ جملة، ولا يعزل بعضه عن بعض، لأن الإسلام يدعو الى السلم قبل أن يدعو الى الحرب والقتال قال عز وجل في كتابه الكريم " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " الآية "(61) سورة الانفال ". فهذه دعوة للجنوح للسلم، لكن إذا العدو قتالنا واجهناه بالقوة والقتال وهو ما جاء في قوله عز وجل " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " الآية " (39) سورة الأنفال". فالقتال عند المسلمين خيار ثاني وليس بالخيار الأول، والغاية منه اسقاط الحكم السياسي، وليس إرغام الغير على العقيدة الإسلامية، وأمرنا الإسلام بالإحسان إلى من لم يقاتلنا حتى وإن كان مشركا قال عز وجل " لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الآية (8) سورة الممتحنة ". فنحن نجادل غيرنا بالحجة والبرهان، ولا نرغمه على عقيدتنا، وهذا ما سنبينه لاحقا.

ويمكن القول في النهاية أن الغرب يريد أن يحتل أرضنا وينتهك عرضنا وينهب ثرو اتنا، فإن بدرت أي مقاومة منا اتهمنا بتجذر الإرهاب فينا وفي ديننا.

الهوامش

1-راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ط2، مؤسسة اقرا النشر، القاهرة، 2009، ص .63

2-وليام كار : اليهود وراء كل جريمة ، ترجمة خير الله الطلفاح،ط2،دار الكتاب اللبناني بيروت،1982،ص28

3-عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين: التاريخ الاوربي الحديث، (دط)، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص .58

4-سيد محمد نقيب العطاس، ترجمة محمد طاهر الميناوري، ط1، اقرا للنشر، الاردن، 2000، ص .63

5- مارتن لوثر ولد في 10 تشرين الثاني 1487 في ايسيلبن (تورينج) وسجل طالبا في جامعة ايرفرت وحصل على إجازة في 1505.وبعد بضعة اشهر اثناء عاصفة رهيبة نجا من الهلاك فنذر ان يصبح راهبا.وفي ذات السنة دخل دير الاوغسطنيين في ايرفرت وبالرغم من معارضة والده لم يتراجع مارتان عن قراره .وكرس كاهنا في نيسان سنة 1508 ،وقد بدا نشاطه الإصلاحي في 30 أكتوبر 1917 ففي هذا اليوم علق مارتن لوثر على باب الكنيسة من قصر ويتنبورغ اطروحته 95 ضد صكوك الغفران مهاجما فيها الانحرافات المذهبية والثقافية للكنيسة. انظر الى مرسيا الياد تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية تر عبد الهادي عباس ،ط1 دار دمشق ج3 لبنان 1986 1987 ص ص 261 .262

6-مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (دط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 69.

7-هربرت فيشر: اصول التاريخ الاروبي الحديث، ط3، دار المعارف، مصر، 2001، ص 95.

8-نفسه، ص .235

9-علي المولى: الموسوعة العربية الميسرة، ط1، شركة ابناء الشريف الانصاري للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1965، ص .1331

10 -ا.ج.ب تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية: تر مصطفى كمال خميس (د.ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص .312

11-ادغار موران فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر، منحدر من اسرة يهودية يونانية (1921) اكتشف عالم السياسة من خلال مناشير الاقليات السارية، ثم انتمى الى الحزب الشيوعي الفرنسي والى حركة المقاومة ضد النازي، لمع اسمه عام 1951 عندما نشر الانسان والموت، اخضع موارن العلم الحديث لمسائله منهجية جامعة، فاصدر تحت عنوان المنهج، اربعة مجلدات متتالية، (انظرالى: جورج طربيشي: معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2006، ص 649، .650

12-ادغار موران: الى اين يسير العالم، تر: احمد العلمية، ط1، الدار العربية للعلوم الناشرون، لبنان، 2009، ص .22

13-سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط1، كتبة مدبولي، لبنان، 1973، ص.7

14-حازم البلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، (دط)، عالم المعرفة، الكويت، 2000، ص .130

15-فؤاد مرسي: الراسمالية تحدد نفسها، (دط،) دار المعرفة، الكويت، 1990، ص .20

16-لطفي حاتم: موضوعات في الفكر السياسي المعاصر، ط1، 2010، ص .14

17-وحدة الدراسات في مركز صناعة الفكر: اللبرالية في السعودية، ط1، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2013 ص.12

18-النظام العالمي القديم الجديد: نعوم تشومسكي، تر عاطف معتمر عبد الحميد، ط1، نهضة مصر، مصر، 2007، ص .14

19-جميل خليل نعمة المعلة واخرون: الفكر البياني امريكي المعاصر واثرها على الوطن العربي، ط1، ابن القديم، للنشر والتوزيع، لبنان، 2016، ص .77

20-اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي:الموسوعة الميسرة المصطلحات اساسية، دط، 2005، ص .221

21-جميل خليل، نعمة المعلنة واخرون: الفكر السياسي المعاصر وأثره على الوطن العربي، المرجع السابق، ص .72

22-مفيد محي الدين الحواف: الصراع على الشرق الاوسط الكبير، (دط)، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د س)، ص .41

23-صالح الرقيب: العولمة، ط1، الجامعة الاسلامية، 2003، ص .224

24-محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، 1997، ص .136

25-الهادي التيمومي: مفهوم الامبريالية، ط1، دار محمد علي، تونس، 2004، ص .182

26 -ستيفان فايدرنر: خطاب ضد الاسلاموفوبيا، تر رشيد بوطيب، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، 2016، ص .75

27 -نعوم تشومسكي: 11- 09: تر إبراهيم محمد إبراهيم، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ، 2002، ص .32

28-شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1987، ص .40

29 -معتز الخطيب: ظاهرة كراهية الإسلام الجذور والحلول، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد الخامس، العدد 17، 2008، ص .44

30 -احمد يوسف: الإسلاميون وأمريكا التحدي والاستجابة، (دط)، دار قرطبة، الجزائر، 2005، ص 91.

31-منير العكش: أمريكا والابادات الجماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، 2002، ص 16.

32-نانسي سودر برج: خرافة القوة العظمى، تر احمد محمود، المركز القومي، ط1، القاهرة، 2013، ص 242.

33-ادغار موران: هل نسير الى الهاوية؟، تر عبد الرحيم عزل، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 109.

34-نعوم تشومسكي: امريكا...مانقوله نحن يمشي، تر: سامي الكعكي، (دط) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2008، ص 7.

35 -مها سامي فؤاد المصري: دور النظام السياسي العربي في إعاقة بناء مجتمع معرفة عربي (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005، ص73.

36-بوقنوز إسماعيل: التخلف السياسي في الدول العربية، دفاتر السياسة والقانون، العدد التاسع، الجزائر، جوان 2013، ص18.

37 -محمد الغزالي: الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 2005، ص53.

38 -نغم نذير شكر: التحولات الراهنة في النظام العربي المعاصر، دراسات دولية، العدد الثامن والأربعون، ص4.

39 -الطاهر مهدي البليلي: مفهوم الإرهاب في الفكر الإنساني والشريعة الإسلامية، د ط، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة مصر، 2006، ص186.

40 -عبد الرزاق محمد الدليمي: الدعاية والإرهاب، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص17.

41 -جمال نصار: قضايا ظاهرة الإرهاب محدداته وحقيقته وتناقضات الدولية، مركز الجزيرة للدراسات، 15 أبريل، 2015، ص5.

42-محمد إبراهيم الطراونه: أساليب مكافحة الإرهاب، ندوة علمية، الرياض، السعودية، 2011، ص12.

43- أحمد صلاح العموش، مستقبل الإرهاب في هذا القرن، ط1، جامعة نايف للعلوم الأمنية العربية، الرياض، السعودية، 2006، ص83.

44 -عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، الإرهاب التشخيص والحلول، ط1، مكتبة العبيكان، 2007، ص42.

45 -لخضر رابحي: من الخوارج إلى داعش، د ط، عالم الأفكار، الجزائر، 2015، ص 302.

46 -أحمد فتحي سرور: الإرهاب التحديات القانونية، المؤتمر الدولي، القاهرة، 2006، ص14.

47- يوكسيل سيزغين: هل يشكل الإسلام تهديدا على للغرب، مجلة الثقافة العالمية ، العدد107، الكويت ، 2001، ص140، 141

48- نفسه ، ص 138

49-جاكلين روز : القضية الصهيونية ، ترجمة محمد عصفور ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، 2007، ص56

50-نفسه ، ص62

سادسا /كونية وعالمية الإسلام

"لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم، وأعتقد أن هذا الدين العظيم سيسود العالم ذات يوم قريب مقبل إذا ما وجد الفرصة لانتصاره، ليتعرف العالم عليه بلا تعصب"

جورج برنارشو

" ليس من سياسة الإسلام فرض تعاليمه بالقوة أو الاكراه أو بحد السيف، لأن الخط الأساسي حسب ما ورد في القرآن الكريم لا إكراه في الدين "

نبيل لوقا بباوي

" لم ير العالم حتى اليوم رجلا استطاع أن يحول العقول، والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا "محمدًا" ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقًا أمينًا ما صدقه أقرب الناس إليه، خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه أصحاب العقول والأفئدة الصلبة، لكن السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيرًا فشب متأملًا محبًا للطبيعة ميالا للعزلة لينفرد بنفسه"

جون جاك روسو

سادسا /كونية وعالمية الاسلام

لم يأت الدين الإسلامي ليخص أمة دون أخرى، بل جاء للناس كافة وكرم بني آدم دون أن يقصي منهم أحدا، وهو رسالة صالحة لكل زمان فهو يدعو إلى التعاون والوحدة والتآلف والمحبة مع أي شخص دون النظر إلى عرقه أو شكله أو دينه، ويدعو إلى السلام وصلة الأرحام والعدل والإحسان، والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي تعتبر فيه العقيدة "الجنسية التي تجمع بين الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، والعربي والرومي والفارسي والحبشي، وسائر أجناس الأرض في أمة واحدة ربها الله".[1] والإسلام هو الدين الوحيد الذي تسقط في ظله جميع الفروق من خلال جمعه لمختلف الأجناس في إطار الأخوة والعلاقات الإنسانية ويكون هذا الدين في المجتمع بمثابة المنظم والمسير لحياة البشر كافة وهذا ما يظهر من خلال اعتناق الكثير من علماء الغرب للإسلام وإعجابهم بدين الحق، وذلك لأن الإسلام يحتوي على تعاليم إنسانية راقية نوجزها في العناصر التالية

1/الإسلام وثقافة المعاملة

يفترض أن سلوك المسلمين يمثل جوهر الإسلام والمنطلق الأساسي الذي جاء لأجله "وإنما نلتمسها في تلك الأعمال الوديعة الهادئة، التي قام بها الدعاة وأصحاب المهن. الذين حملوا عقيدتهم إلى كل صقع من الأرض، على أن هؤلاء الدعاة لم يلجئوا إلى اتخاذ مثل هذه الأساليب السلمية في نشر هذا الدين عن طريق الدعوة والإقناع، بخلاف ما زعم

بعضهم، فيما جعلت الظروف القوة والعنف أملا مستحيلا، يتنافى مع الأساليب السياسية، فلقد جاء القرآن مشددا في الحث على هذه الطرق السلمية".[2]فالمسلمون منذ بدأ الدعوة الإسلامية كانوا يعاملون الغير بإحسان، فقد سعوا لنشر الإسلام والعقيدة الإسلامية بطرق سلمية، ولا يقاتلون إلا الذين يقاتلهم ولا يؤذون أحدا، وأفعال المسلمين الحقيقيين وتعاملهم مع غيرهم بالرحمة والإحسان ونشرهم لأخلاق القرآن التي أوصى بها النبي عليه السلام هي التي مثلت حقيقة هذا الدين وساعدت في انتشاره بين الأمم الأخرى فعن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادةَ، وأبي عبْدِالرَّحْمنِ مُعاذِ بْنِ جبلٍ رضيَ اللَّه عنهما، عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ" اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ " رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وقدس الإسلام ثقافة المعاملة الحسنة وأمر بالتعارف، وأعطى له درجة عالية من الاهتمام، فقد كان شاملا في الدعوة ومراعيا لجميع جوانب الحياة الكريمة التي تحقق للفرد الرفاهية في الحياة الدنيوية والأخروية و تحقق له السعادة، ولا شك أن هذه السعادة لا تتحقق إلا بحسن المعاملات، فالمولى عز وجل بين في القرآن الكريم أسس المعاملة مع النفس ومع الغير وحرم الظلم بالاعتداءات على الآخرين بالقول أو بالفعل، وأمر بالكف عن النفاق والغيبة التي تفسد علاقة الفرد مع غيره من الناس، كما أمر الاسلام باحترام الذات الإنسانية وتقديسها فالله لم يخلق الإنسان عبثا بل كرمه بالعقل والأخلاق، وفي هذا يقول عز

من قائل ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۞ الآية "70 سورة الاسراء " ويقول أيضا ۞ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ الآية " 34 سورة فصلت ". فهذه الآيات وغيرها تدل على وجوب حسن المعاملة مع الغير بل إن الإسلام شرع العبادات من أجل حسن المعاملة، ولا قيمة لأي عبادة في الإسلام ما لم تنته الى معاملة حسنة مع الغير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الصحابة قالوا: "يا رَسولَ اللهِ، فُلانةُ تَصومُ النَّهارَ وتَقومُ اللَّيلَ، وتُؤذي جيرانَها؟ قال: هيَ في النَّارِ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فُلانةُ تُصلِّي المكتوباتِ، وتَصَّدَّقُ بِالأَثوارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلا تُؤذي جيرانَها؟ قال: هيَ في الجنَّةِ". رواه أحمد وابن حبان. ومعنى هذا أن الهدف من العبادة هو ضبط السلوك ليكون حسنا مع الآخرين.

2/الإسلام دين الوسطية والاعتدال

الإسلام هو دين وسطية والاعتدال بامتياز، وهذه الصفة هي التي تميزه عن باقي الديانات الأخرى، من خلال المبادئ التي نادى بها ويتجلى هذا واضحا في الكتاب والسنة النبوية، وهذا ما يظهر في قوله عز وجل۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية" 143 سورة البقرة ".

ذلك أن الإسلام لم يقتصر على مجال دون آخر بل أمر بتحقيق الاعتدال في كل أمر، وتحقيق التوافق بين الروح والجسد وبين ما هو مادي وما هو معنوي، وبين الدنيا والآخرة، فلم يقتصر على الآخرة فقط بل يدعو إلى التمتع بالدنيا أيضا، لكن حسب شروط وضوابط، وإن" هذه الوسطية، بالنسبة للمنهج الإسلامي – وحضارتهم - هي "عدسته اللامة" لأشعة ضوئه وزاوية رؤيته كمنهج، وزاوية الرؤية به أيضا. وقد بلغت وتبلغ هذا المقام، لأنها –بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل - إنما تمثل الفطرة الإنسانية قبل أن تعرض لها وتعدو عليها عوارض وعاديات الآفات... تمثل الفطرة الإنسانية ببساطتها، وبديهيتها، وعمقها، وصدق تعبيرها".[3]

وتقوم الوسطية والاعتدال في الإسلام على عدم الإفراط التفريط فالمسلم يجب أن يبتعد عن هاتين الصفتين، لأن الإفراط يوصل الإنسان إلى التشدد والتعصب، والتفريط يؤدي به إلى التهاون والتقصير في الحياة ككل، وهذا دليل على أن الغرب خاطئ في نظرته للإسلام القائمة على أنه دين تشدد، ودين يكبح الحريات والشهوات وهو دين عبودية فقط.

ولم يقف الدين الإسلامي عائقا أمام حرية الإنسان، وانما سبق كرامته على حريته، ولم يكبح الإسلام شهوات الإنسان بل ضبطها بأخلاق معلومة، ونصح الإسلام الإنسان بأن لا ينسى نصيبه من الدنيا،

وقد حدد له ضوابط لممارسة مختلف حقوقه ونشاطاته بطريقة سليمة لا تعود عليه ولا على غيره بالضرر، وقدس الإسلام الإنسان وجعله خليفة الله في الأرض.

3/الإسلام دين محاسن القيم ومكارم الأخلاق

إن القيم الأخلاقية التي دعى إليها الإسلام هي القيم السامية التي إن اتبعها الفرد تحققت له الحياة الكريمة ، والراحة النفسية والطمأنينة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمتاز بهذه القيم، وقال بها فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره قائد الأمة الإسلامية، كان يتصف بمكارم الأخلاق، وقد بعثه الله تعالى لكي ينشرها على عباده من خلال تحريم كل ما يعادي هذا الدين والأخلاق، ويدعو الإسلام بشكل واضح في جميع آياته وأحاديثه النبوية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبره أساس السعادة الدنيوية والأخروية ، وأساس خيرية هذه الأمة.

ويتضمن" الإسلام قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا الأمر ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين"[4] . فالقيم من أهم الركائز التي تساعد على بناء شخصية قوية وسليمة للفرد، وبها تستقيم الحياة الإنسانية، وهي أساس بناء مجتمع متماسك، والقيم التي جاء بها الإسلام هي قيم سهلة التطبيق وممكنة الممارسة، وهدفها تحسين حياة الإنسان، وتنظيم علاقته مع غيره من البشر، والقيم التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية قيم عالمية تخص جميع جوانب الحياة، وجميع أنواع المعاملات البشرية، ولم تأت

للفرد المسلم فقط، وإنما جاءت لكافة الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.

ونظرا لأهمية القيم في حياة المسلمين ودورها الفعال في ازدهارهم ولما كانت هذه القيم والأخلاق أساسا لتطور المسلمين عمل الغرب على إفساد هذه الأخلاق "وقد أدرك أعداء المسلمين هذه الحقائق عن مكارم الأخلاق، فعملوا على إفساد أخلاق المسلمين بكل ما أوتوا من مكر ودهاء، وبكل ما أوتوا من وسائل مادية وشياطين إغواء، ليبعثروا قواهم المتماسكة بالأخلاق الإسلامية العظيمة".[5]

إن قوة الإسلام تكمن في قوة منظومته القيمية التي شملت جميع مجالات الحياة، ولم يترك الإسلام صغيرة أو كبيرة في حياة الناس إلا وأطرها أخلاقيا، لقد علم الإسلام المسلمين كل شيء.

4/الإسلام دين عفو وصفح

من بين الصفات التي يتميز بها المسلمون مع غيرهم التزاما بتعاليم الإسلام العفو والصفح عند المقدرة والرأفة والرحمة، فالإسلام يمنع تعرض أي مسلم بالأذى لأي إنسان آخر، سواء كان مسلما أو غير ذلك، كما يأمر الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الآية" 8 سورة الممتحنة "

وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التعرض لأي إنسان بغير وجه حق وذم صفة الظلم، مهما كانت الأسباب وحرم الإسلام الانتقام كما حرم الحقد والتباغض بين الناس، والكثير من أهل الإسلام خاصة في القرون الأولى كانت اخلاقهم تعكس صورة الإسلام الحقيقية ويطبقون مبادئ الإسلام كما ذكرت في القرآن الكريم، معتبرين إياه المرجعية الأساسية لهم في تدبير شؤونهم حياتهم، وضبط علاقاتهم مع غيرهم.[6]

وحظيت أديان مختلفة من الدين الإسلامي بكامل الحقوق والرعاية وسمحت السلطات الإسلامية لغير المسلمين بممارسة شعائر دينهم دونما تضييق، ومن هذا المنطلق يؤكد غارودي أن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح، ولم يسل النبي السيف إلا في حالة الدفاع عن النفس.[7]

وهذا خير دليل وهو اعتراف غربي بحقيقة الإسلام، وبانفتاحه وتسامحه مع الغير واحترامه لهم "أعني أن الإسلام في حقيقته الواقعية وفي سمو مبادئه الإنسانية السامية إنما هو دين الحق والخير والجمال والمحبة والأخوة والرحمة والرفق والرأفة، والتسامح والتضامن بين أبناء آدم وحواء".[8]

فكل هذه الصفات موجودة في الإسلام ويدعو إليها من أجل تحقيق وحدة الإنسانية بعيدة عن الصراع ومبدأه الخير والتعاون، وشجع الإسلام التنوع والاختلاف الموجود بين الناس في ثقافاتهم ولغاتهم شرط ألا تحيد عن أخلاق الإسلام، كما شجع على التعارف قال عز وجل ﴿ يَا

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞ الآية " 13 سورة الحجرات". فالتقوى هي معيار حب الله لنا وحبنا الله، وهي معيار نجاحنا وهي معيار تمسكنا بديننا.

فالمولى عز وجل يدعوا عباده للتعايش والتفاعل مع الآخرين من أجل بناء مستقبل آمن خالي من أي مشاكل ونزاعات، والاختلاف هو سنة الحياة في الإسلام، والله تعالى خلقنا مختلفين، وأعطى لنا الضوابط التي تحدد لنا هذا الاختلاف وأمر بالعفو والصفح، والعديد من علماء الغرب يشهدون بأن الإسلام دين رحمة، نتيجة لتأثرهم بالمسلمين وأخلاقهم وتسامحهم، فقد كانوا بمثابة النموذج والقدوة الحسنة للشعوب الأخرى، وهذا ما دفع بالكثيرين لاعتناق هذا الدين والتعمق فيه وإنصافه، أمام مختلف الدعوات الرافضة له ولجوهره المتعالي. فالإسلام دين سلم وسلام وتعايش.

وكان النبي ﷺ يقوم بدعوة أهل الكتاب ويزور مرضاهم طاعة لله ولا ينهى البنت المسلمة أن تبر أمها المشركة ما دامت جاءت راغبة في الصلة غير رافعة للسلاح على المسلمين، والكافر إذا كان معاهداً أو ذمياً فلا يجوز نقض عهد الأمان معه، ولا الاعتداء عليه **قال ﷺ " ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة "** رواه أبو داود، ففي هذا الحديث يظهر جليا حرص الإسلام على الالتزام بالعهود والمواثيق حتى مع الكفار

يقول ﷺ قال" من قتل معاهداً له ذمة الله، وذمة رسوله؛ حرّم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا". ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النسا، والصبيان في الحروب فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال "وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان"، رواه البخاري ومسلم. فإذا لم يحملوا السلاح أي النساء والصبيان، ولم يعينوا على المسلمين لم يجز مسهم بسوء، ولم يجز قتلهم ولا إعمال السلاح فيهم، وقام أئمة الإسلام بالدفاع عن أهل الذمة في البلدان التي كانت تحكم بالشريعة عندما يتعرضون للظلم، وخير مثال على ذلك دفاع ابن تيمية عن أسرى اليهود والنصارى الذين وقعوا في يد قازان، وقد ذكرنا هذا سابقا. وكثير من الآيات القرآنية تأمر المؤمن بالصفح والعفو، ومنها قوله عز وجل﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية " 14 سورة التغابن" فالمولى عزو جل يأمرنا بالصفح عن الناس حتى ننال مغفرته وعفوه.

5/كونية الإسلام

إن كل الدلائل تؤكد اليوم على أن الإسلام دين عالمي، جاء لكافة البشر، ويهدف إلى تحقيق الخير والمنفعة لكل الناس، فليس من صفاته التفرد بل جاء للجميع، وهذا واضح في غير ما آية من آيات الكتاب المبين على الرغم من أن بعضا من غير المسلمين يرون بعكس ذلك فهم

يعتقدون أن الإسلام دين خاص بالعرب فقط، لأن الرسالة الإسلامية نزلت في الجزيرة العربية وباللغة العربية. لذا فهو خاص بالعرب فقط.

لكن في التعمق نجد أن هذه النظرة ناقصة بسبب الجهل بحقيقة الإسلام، وما يحتويه فهو منظومة شاملة جاء لكل البشر، ولكل الأزمنة فالإسلام يهدف إلى الانسجام بين البشر على رغم من اختلافهم، وهناك العديد من الدلائل التي تؤكد على هذه الحقيقة، وهي أن الإسلام دين عالمي دون منازع كونه صالح لكل جنس، ويحقق السلام والأمان والحرية لكل معتنقيه، ويبتعد عن كل أنواع النزاع والصراع والصدام بين البشر وبين المسلم ونفسه، كما أن قواعده ومبادئه كلها تحتوي على الواقعية لأنها سهلة التطبيق والممارسة، وتبتعد عن المشقة، فهو دين يسر وليس دين عسر، وجاء لكي يحقق الراحة والطمأنينة للناس.

كما أن الإسلام في أغلب آيات القرآن الكريم يدعوا إلى أعمال العقل والفكر للوصول إلى حقائق علمية، وتجسد ذلك في الإعجاز القرآني حيث وصل العلم إلى البرهنة على مصداقية جميع الحقائق الموجودة في القرآن الكريم، كما دعى إلى كل ما يحقق النفع والفائدة للإنسان كطلب العلم، فأول كلمة نزلت في القرآن كانت اقرأ، ويدعوا إلى البعد عن الجهل والتخلف، ويسعى إلى الارتقاء والانفتاح على الحياة، والإقبال عليها ومواجهة كل التحديات التي تواجه الإنسان، فقد أعطى الحلول لكل المشاكل التي قد يقع فيها الفرد سواء بإرادته أو دون قصد منه، كذلك هو دستور لتنظيم جميع مجالات الحياة، وتنظيم علاقة المسلمين

مع بعضهم ومع غيرهم من المجتمعات الأخرى، كما أن الإسلام دين رحمة ومودة، وتتجلى هذه الرحمة والعطف حتى على الحيوان فقد أمر بالرأفة به ،حتى البيئة لم يتجاهلها الدين الإسلامي، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالحفاظ على الثروات الطبيعية وعدم العبث بها أو تبذيرها، لأن الله تعالى خلق كل شيء في هذا الكون لغاية معلومة ووظيفة محددة، وهذا يظهر في غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى.

لقد كانت الحضارة الإسلامية نبعا ومصدرا للإبداع الحضاري فالحضارة الإسلامية قائمة بذاتها، وتشمل على كل المجالات التي تحقق الازدهار للشعوب، وكانت حاضرة في كل الميادين سواء كان ذلك في الاقتصاد أو السياسة أو الثقافة وحتى الفنون والآداب، والكثير من الغربيين نهلوا منها، فقد كانت تتوفر على جميع متطلبات العصر على عكس ما توصف به الآن، و"أبرز الدلائل على عالمية الإسلام واستحقاقه للبقاء والانتشار تتمثل في تطابقه مع الفطرة الإنسانية، وقدرته على العطاء لكل العصور والأزمنة والبيئات، وطابعه الإنساني القائم على الإخاء والمساواة وعدم التفرقة بين الأجناس والعناصر".[9]

فالإسلام منظومة تتوافق مع أي عقل أو شعب أو جنس، كونه ثابت وصالح لكل شؤون الحياة، فقد حدد كل الأمور التي تخص الإنسان في حياته وأعطى لها الحلول، ونظم علاقة الإنسان بالله، وعلاقته بالآخر وعلاقته بنفسه، فقد حدد الأسس لقيام الأمم والدول مثل نظام الحكم

وشروط الحاكم، وأيضا علاقة الشعوب مع بعضها على أساس العفو والقصاص والقانون.

وفي هذا يشهد جورج برنارد شو * الذي قال عن الدين الإسلامي ونبيه محمد في مقال له " **إذا كان لديانة معينة ان تنتشر في إنجلترا بل في اروبا في خلال مئات السنوات المقبلة، فهي الإسلام، لقد نظرت دائما إلى ديانة محمد بأعلى درجات السمو بسبب حيويتها الجميلة، إنها الديانة الوحيدة في نظري التي تمتلك قدرة الاندماج في هذه المراحل من مراحل البشرية بما يجعلها جاذبة لكل عصر**".[10]

لقد كانت نظرة برنارد شو للإسلام نظرة موضوعية، فقد شهد برنارد شو على سماحة هذا الدين، واعتراف أن محمد صلى الله عليه وسلم عبقري قادر على قيادة العالم وحل جميع مشاكله، فقد وصف الدين الإسلامي بأنه منهج حياة قادر على توفير جميع متطلبات العصور.

واعترف برنارد شو بأن الإسلام كدين شامل سوف يغزو في المستقبل قارة اوروبا والعالم بأسره، ومنذ القديم سعى رجال الدين في العصور الوسطى الى محو كل ما يتعلق بالإسلام والطعن والتشكيك في صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وصور لنا رجال الدين المسيحيين الإسلام على أنه دين تعصب يشجع على العنف والقتل، وهو عدو المسيحيين، ويهدد استقرارهم وأمنهم، لذلك لابد من محاربته وإبادة المسلمين كافة، وهذا ما نفاه برنارد شو جملة وتفصيلا.

إن الإسلام هو دين التسامح والعفو والصفح والاحترام، إنه دين السلام والأمان وعاجلا أم آجلا سيصبح دين عالمي.

ومن أهم الدلائل التي تدل على عالمية الإسلام هو التقاء الناس من كل البقاع ومن مختلف الأجناس في الكعبة المشرفة، وبرداء واحد لتنصهر فيه كل طبقات المجتمع دون تمييز حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، ويشهد العديد من المفكرين بعالمية هذا الدين، ومنهم روجي غارودي وإدغار موران، والدخول المتزايد من الناس إليه من اهل الملل الأخرى دليل على ذلك، فهو في تزايد وانتشار وتوسع، وهذا يمثل دحضا لكل الأفكار التي ضربت صميم الإسلام ووصفتهم بالإرهاب، والتي تحمل في طياتها الكثير من المغالطات.

وما ننتهي إليه هو أن السياسة العربية الفاسدة أثرت كثيرا على المجتمع العربي الذي يعاني بشكل كبير، فهو يفتقر إلى أدنى مستويات العيش الكريم نتيجة لحرمانه من أبسط حقوقه في هذه الحياة، وهذا ما أدى بالشباب العربي إلى التفكير في حلول سلبية كالهجرة غير الشرعية أو القيام بأعمال عنف مثل التدمير والتخريب، والخروج عن الدولة والذي فسره البعض بالإرهاب، وتم ربط هذه الظاهرة بالمجتمع العربي وبالمسلم والإسلام.

لكن الإسلام منزه عن كل هذه الأفعال الشاذة، فالإسلام منذ بدأ دعوته كان ينبذ العنف والتطرف ويدعوا إلى السلم والعفو واللين، وهذا ما نلمسه في أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث أنه حورب من

أقرب الناس إليه إلا أنه كان متسامحا، ويدعوا إلى السلم والسلام فالدين الإسلامي لم يقترن إلا بالأمن، وسعى إلى تحقيق النفع ودفع الضرر عن الأفراد والجماعات، لذلك نجده يحرم كل ما يؤذي النفس ويؤدي إلى إفساد الروابط الاجتماعية، ويحث على كل ما يساعد الإنسان على البناء والتطور والتعاون والعدل والرحمة والاحسان والمساواة بين الناس أمام القانون، وكلها مبادئ يدعو إليها ويطمح كل إنسان.

ولو لم يكن الإسلام دينا عالميا، ولو أنه دين خاص بالعرب لما شكل خطورة على الغرب ولما حاربوه أصلا، فنقطة خطورة الإسلام على الغرب تكمن في كونيته وعالميته وصلاحيته لكل الأزمان، ومساواته بين الناس، ورفضه لكل أشكال التمييز العنصري، ومقته لكل أشكال التعصب، ودليل ذلك أن الله لن يسألنا يوم العرض الأكبر عن جنسنا أو حسبنا ونسبنا، وإنما يسألنا عن تقوانا وصلاحنا، وما قدمناه لديننا وما نفعنا به غيرنا، فالكل في نظر الإسلام في خسران إلا الذين آمنوا وعملوا صالحا وكانوا على الحق.

الهوامش

1 -سعيد حوى: الإسلام، ط4، دار السلام، مصر، 2005، ص58.

2-السير توماس وأرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947، ص21.

3 -محمد عمارة: الإصلاح بالإسلام، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2006، ص39.

4 -أسعد السحراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان 1988، ص101.

5 -عبد الرحمان حسن حينكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط5، دار القلم، دمشق، سوريا 1999، ص37.

6 -سورة الممتحنة: الآية 8.

7 -روجي غارودي: لماذا أسلمنا، دراسة: محمد عثمان الخشت، د ط، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر ص73.

8 -عبد الرحمان شيبان: من هدي الإسلام، (د ط) دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ص166.

9 -أنور الجندي: عالمية الإسلام، د ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977، ص23.

10-احمد حجاج: برنارد شو، الإسلام، قضايا وآراء، العدد43580،ابريل 2006.

www.ahram.orgeg

سابعا / القرآن الكريم كتاب جدل وبرهان

" يجب أن يدرك المسلم اليوم ضرورة الجدل العقلاني كمنهج لإقناع الغير بربانية الدين الإسلامي وما فيه من تعاليم إنسانية عالمية... ورسالتنا ليست اعتناق الغرب للإسلام فقط بل هي فهمنا لهذا الدين بعمق والانتقال بهذه الأجيال المسلمة من الإيمان التقليدي الموروث إلى الإيمان العقلي البرهاني "

زروخي الدراجي

سابعا/ القرآن الكريم كتاب جدل وبرهان

يعتقد بعض من المستشرقين أن النص القرآني يفتقر إلى النمط المنطقي، كما أنه يخلو كليا من الجدل والبرهان والحجة، ذلك أن الإسلام يعتمد على القوة والجهاد في فرض تعاليمه، وهذا ما سنفنده من خلال تناولنا لبعض النصوص القرآنية التي احتوت النمط المنطقي والجدل البرهاني من خلال تعرضنا للعناصر التالية:

1/ تعريف المنطق

لا يمكن أن نتطرق للجدل والبرهان خارج نطاق المنطق، لأن المنطق هو الضابط لقواعد الجدل والبرهان، وفيما يلي توضيح لمعنى المنطق وضرورته.

أ- التعريف اللغوي

يعرف المنطق في اللغة على أنه "**علم موضوعه الحكم التقديري، التقويمي بقدر انطباقه على التمييز بين الصدق والكذب**"[1] أي الحكم بكون الشيء صحيحا أو خاطئا بناء على مجموعة من القواعد، وهو وسيلة العقل **للتعرف على الصواب وتجنب الخطأ كما يعرف على أنه " علم حقيقي وهو جزء لا يتجزأ من الفلسفة موضوعه الاستدلالات ويشتمل على الخطابة والجدل "**[2] **بمعنى أن المنطق علم يدرس المبادئ ويناقش الأحكام وهو العلم الذي توزن به الحجج والبراهين.**

وكلمة المنطق تعود في الأصل إلى النطق، ونقصد به تلك القوة التي أوجدها الله تعالى في الانسان والتي تميزه عن سائر المخلوقات الأخرى ألا وهي العقل، وعليه يعرف الانسان في الكثير من الأحيان عند المناطقة على أنه حيوان ناطق – ويرى المفكر والمنطقي الجزائري محمود يعقوبي أن مفهوم الانسان هو المفهوم الوحيد الذي ضبط ضبطا منطقيا على أكمل صورة منطقية- والمقصود به أن النطق عبارة عن تلك الأصوات التي يظهرها اللسان، فالمراد بالناطق هو الذي يملك صوتا، أما عند المناطقة فالنطق هو تلك القوة الباطنية التي يكون النطق بها، وهذه القوة موجودة عند كل البشر، وبالتالي فإن فعل التعقل مرادف للنطق خاصة وأن الكلام هو ذلك الانعكاس الداخلي للفكر، يظهر المنطق في اللغة كمرداف للكلام فيقال نطق: نطق الناطق ينطق نطقا: أي تكلم والمنطق: هو الكلام والمنطقي: هو البليغ، وكلام كل شيء: منطقه[3].

ويقول ابن فارس[4]" النون والطاء والقاف: أصلان صحيحان أحدهما: كلام أو ما أشبهه والآخر: جنس من اللباس، الأول: المنطق والآخر: النطاق"[5]

ب-المعنى الاصطلاحي

من خلال التعريفات السابقة التي وضعت للمنطق في المعاجم اللغوية فإن كلمة المنطق في الأصل لفظ عربي المصدر، وليست ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني (logos) فهي مرادفة للفظ النطق لتدل بذلك

على معنى الكلام، وقد استحدث هذا اللفظ من طرف المناطقة، وحاول الفارابي تسويغه وإيجاد معنى مناسب له فيقول" صناعة المنطق واسمها مشتق من النطق، وهذه اللفظة تدل عند القدماء على ثلاثة أشياء: (القول الخارج بالصوت والذي تكون به عبارة اللسان عما في الضمير (أي الكلمات من حيث هي أصوات) الثانية: القول المركوز في النفس، وهو المعقولات التي تدل عليها الألفاظ (أي المعقولات أو المعاني التي تدل عليها الألفاظ) الثالثة: القوة النفسانية المفطورة في الإنسان، والتي بها يميز وبما يحصل المعقولات والعلوم (أي المفكرة في الإنسان أو العقل)" [6]

وورد في معجم الجرجاني أن المنطق هو آلة قانونية تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ [7]. فالمنطق بذلك هو العلم الذي يبحث في التفكير الإنساني من حيث الصحة والفساد، بقصد الاهتداء إلى القواعد العامة التي يجب توفرها في التفكير.

خلاصة القول هو أن المنطق علم يبحث في قوانين الفكر بغية الوصول إلى اليقين، من خلال آلية التمييز والحكم بين صواب الأمر وفاسده، وكذا تنظيم الاستدلال أي أنه يدرس المبادئ العامة للفكر الحق، فهو العلم الذي يدرس أشكال التفكير، أي جملة القواعد التي يلتزمها الإنسان بغية الحصول على معلومات جديدة يضيفها للمعارف التي لديه، فتكون بمثابة العاصم والموجه لتلك المعارف من أجل تجنب الوقوع في الخطأ.

2/ الجدل في القرآن الكريم

لقد جاء الخطاب القرآني كخطاب منسجم وموافق لطبيعة الإنسان وفطرته على مستوى التفكير أو السلوك أو الوجدان هاديا وموجها غير غافل عن الطبائع النفس الإنسانية، بل مراعيا ومقوما لها ويعد الجدل أحد الطبائع التي فطر عليها الإنسان باعتباره كائن فضولي يبعث عن الحوار والمناقشة والاقناع.

أ-الجدل القرآني

بين القرآن الكريم أن الإنسان أكثر شيء جدلا، فهو الذي يمارس الجدل كطبع في حياته، في كل الأمور التي يعيشها، فقد خلق الله الإنسان كمخلوق متحرك في فكره، وفكر الإنسان ينطلق ليواجه كل ما يعرض عليه من قضايا، وما يعيشه من أوضاع، وما يبصره أو يسمعه أو يراه في هذا الكون، وهذا ما يجعل الإنسان ينطلق في فكرة معينة هنا وأخرى هناك، ليقابله إنسان آخر بفكرة قد تكون مضادة لفكرته، ومنه يتحرك الجدل، في خط مستقيم ليصيب الواقع، أو في الفكر الذي ينطلق في خط الانحراف ليبتعد عن الواقع. "كما أن الجدل شأن اجتماعي لا يمكن أن تخلو منه أمة، نظرا للاختلاف الموجود بين الناس في معتقداتهم وآرائهم قال تعالى﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾الآية " 118، 119 سورة هود"[8]

وبالتالي فإن الإنسان بالفطرة يميل إلى المناقشة والجدل، فجاء التشريع الإلهي آمرا إياه بالجدل بمفهومه الصحيح والحسن، ليكون الجدل أحد وسائل التفكير والعمل، وقد تنوع مجالات الجدال في القرآن الكريم بتنوع صور الفساد الذي كان شاملا لمختلف العقائد والأديان السابقة لظهور الخطاب القرآني، فيمثل الجدل القرآني تلك البراهين والأدلة المستعملة، والآخذة بيد الخصم بغية إقناعه، وقبوله الحق سالكا الطريق البرهاني العقلي والمنطقي.

ب-مشروعية الجدال في الخطاب القرآني

الجدل ميزة ربانية لأن الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بجدل خاص وهو الجدل الفكري، وقد كان الجدال مشروعا في القرآن الكريم ومن الأدلة المؤيدة لمشروعية الجدال في القرآن الكريم نذكر ما يلي:

أ/ قال تعالى﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ الآية "33 سورة الفرقان" ، فالكفار وأهل الباطل يأتون بالأقيسة العقلية والحجج فضرب الله المثل بما هو أحسن وأوضح من حجهم وقال عز وجل﴿ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾ الصافات الآية" 156، 157 " .فكل إنسان مفكر يمارس الجدل في علاقته مع نفسه ومحيطه، وبالتالي فإنه مرتبط بالحكمة والموعظة والإرشاد والتصويب لأن هدفه السمو بالتخاطب إلى أعلى مراتب التواصل، ومن الأدلة أيضا على مشروعية الجدال ثناء الله على من أخذ بمجامع الحجة، مثال ذلك

ثناء الله على سيدنا إبراهيم في أخذه بمجامع الحجة بل وأضاف الله الحجة التي أتاها إبراهيم عليه السلام لنفسه تعظيما لشأنها وحثا على تحصيلها.

ب/ قال تعالى﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾الأنعام الآية"83". فالمتأمل في القرآن يراه مملوء بجدال أهل الباطل وحجاجهم بأحسن الطرق وأوضح البراهين وأقوم الحجج، وتقرير قواعد فن المناظرة في القرآن الكريم، ويعد من أقوى الحجج على مشروعية المناظرة فقواعده مؤصلة في الخطاب القرآني يقول ابن القيم " إن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة" ."[9]

ودعى المولى عز وجل في كتابه الكريم إلى الجدل غير أنه ينبغي للمجادل أن يتسلح بالعلم، فتقوم حجته وبراهينه على أسس متينة تستمد صحتها من صحة مقدماتها ونتائجها، فالقرآن لا ينكر الجدل ولا يضيق به، بل قد أطال القرآن الكريم الجدال في كثير من المواقف وبسط الحجة فيه، ودليل آخر في مدحه للخصام لإظهار الحق قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾ النمل الآية 45، فالدعوة إلى الله توجب المناظرة وقال تعالى ﴿ وإن أحد بين المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ التوبة الآية 06، فالجدال بالحق إحباط للكافرين قال تعالى : ﴿ ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل

صالح ﴾ التوبة الآية 12. فالجدل هو طريق التصديق والايمان الحق [10].
لقد سلك الخطاب القرآني طريقا صارما من خلال طرحه لأدلته بطرق الإقناع والتوجيه والإرشاد كما جاء بطرق الإلزام والإفحام، فجميع الأدلة القرآنية إلزامية، لسلامتها من التناقض والاختلاف، وطرق الاستدلال القرآني في الرد على الخصوم تنوعت غير أنها لا تخرج عن إطار الفطرة والبداهة، وأنها طرق تعتمد على الحجة المستقيمة الموصلة لليقين.

3/طرق الاستدلال القرآني

لخصها محمود يعقوبي في كتابه المنطق الفطري في القرآن الكريم وتتمثل فيما يلي:

أ-قياس الإضمار

وهو قياس حذفت منه إحدى المقدمات باعتباره قياس ذهني تام بينما نقصه يكون في اللفظ فقط يقول عزو وجل﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾آل عمران الآية" 60،59 "، وهذه الآيات تحمل دليلا مبطلا ذلك التفريق ببنوة عيسى على حساب آدم فكان الرد بإثبات ومماثلة عيسى لآدم في الخلق. إن آدم خلق من غير أب كعيسى عليهم السلام جميعا، فلو كان عيسى عليه السلام ابنا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنا باعترافكم، فعيسى ليس ابنا أيضا[11]. إن عيسى

خلق من غير أب كمثل آدم الذي خلق من غير أب ولا أم بقدرة الله، فلما كان الله قادرا على أن يخلق آدم من غير أب ولا أم، كان أسهل عليه خلق عيسى عليه السلام بدون أب فقط، وهو موجود أيضا في الآية الكريمة:" ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ يس الآية 79 والتي تجيب عن التساؤل الذي تضمنته الآية التي قبلها ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ﴾ يس الآية 78، وفيها ردا وإقناعا لمنكر البعث بعد الموت الذي كان يقر بصدق المقدمة الصغرى لأنه يعلم أن لا شيء يخلق نفسه، وأنه لم يهب الحياة لنفسه لترد الآية على الصورة المنطقية التالية :

كل من خلق أول مرة، قادر على أن يعيد الخلق / والله خلق أول مرة / إذن الله قادر على أن يعيد الخلق

ب-قياس التمثيل

قياس التمثيل هو انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين وقد شغل أسلوب ضرب الأمثال مساحة كبيرة من الاستدلال القرآني على قضاي الاعتقاد، ويرى ابن القيم أن القرآن الكريم قد اشتمل على بضعة وأربعين مثلا، تتضمن تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم، فالتشبيه شعبة من قياس التمثيل، ومن شواهده قوله عز وجل ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ يونس الآية 13، ويقول

الطبري أن الله أراد أن ضرب مثلا لمكذبي الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزائهم سيكون كغيرهم من المكذبين بالله، وبما جاء به رسله إن لم يتوبوا إلى الله[12]. إن قياس التمثيل يعد أقرب صور الاستدلال إلى الفطرة، ونحكم على الشيء من جزئه بناء على وجود ذلك الجامع المشترك بينهما، وقد وردت في القرآن الكريم العديد من أدلة البعث تقوم على قياس التمثيل، ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمماثلة بينهما قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج الآية 07"، وهو موجود في كتاب الله في مواضع عديدة[13] .

ج-قياس الخلف

وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، لأن النقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان، وقياس الخلف في القرآن: إبطال الباطل الذي هو نقيض الحق لإثبات الحق كالاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك يقول المولى عز وجل﴿ وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾المؤمنون الآية 91. فنظام الكون المحكم والمتقن يدل على أن خلقه واحد لا شريك له،

وهو ما يسمى بدليل التمانع في الخلق، أي إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون وثبت بالحس دقة صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق وهو يماثل قوله تعالى﴿ ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾الأنبياء الآية 22. فيسمى قياسبالخلف[14]. أي الانطلاق من مقدمة الخصم الكاذبة ليصل إلى النتيجة التي تظهرها دعوته أي الوصول إلى مقدمات صحيحة، وقد اتجه القرآن الكريم إلى ذلك في استدلاله لإثبات وحدانية الله تعالى في قوله سبحانه عز وجل﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾وقوله أيضا﴿ وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾. وقوله عز من قائل﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾فهذه الآيات كلها تبين استناد الخطاب القرآني الى قياس الخلف.

4-مجالات الحجة القرآنية

إن الجدل ظاهرة إنسانية عالمية ووجودها لا يقتصر على الجنس البشري فقط، فالملائكة والجن أيضا أخذت حقها في الجدال، لكن ليس بالقدر الذي حظي به الإنسان، فالنفس البشرية جبلت على حب الدفاع عن نفسها، وهذا الدفاع مقترن بالجدل كسلاح قال تعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ النحل الآية 111 ، فالجدال بمعناه العام يعود إلى نزعة البيان والإفصاح المودعة فطريا في الإنسان لإظهار مبدأ أو نصرة حق يقول ابن خلدون " وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة

للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة"[15]. وقد مثل السؤال عن الحكمة من خلق الإنسان، وهو جدال ورد على لسان الملائكة وقد توجه به الخطاب القرآني إلى الإنسان ليعرف الحكمة من خلقه، وهو ما خفي عن الملائكة والغرض من هذا الجدال الرفع من شأن الإنسان، وتتمثل أصناف الجدال الموجودة في النص القرآني فيما يلي:

أ-جدال الملائكة

أول من سن الجدال هم الملائكة قال تعالى﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾البقرة الآية 30. وهو استدلال بالترجيح والأولوية منهم فهم المسبحون والمقدسون، وبالتالي هم أحق وأولى بالإيجاد ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله تعالى لهم بالترجيح لعلمه بالذي ظنوه فيهم ووصفوهم به "[16] فيخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة بمشيئته في خلق الإنسان، والحكمة من خلق هذا الكائن فيعرفهم بحكمته، لأنهم سيسألون عن سبب الخلق، ليجيبهم الله جل جلاله ويذكرهم بعلمه الواسع وحكمته التي تخفي عليهم.

ب-جدال إبليس

ويعد إبليس أول من أظهر الخلاف وركب العناد، أما الفرق بينه وبين الملائكة أنه أفتى ودل في مسألته، فانقطع في مجادلته وخسر وظهر فساد تعليله، وازاغته عن الصواب في تأويله، بخلاف الملائكة إذ لم يظهروا الخلاف ولا العصيان، بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان"[17]. قال تعالى ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أني كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ص الآية 71-85 ، إن هذه الفكرة نلمس أثرها فيما ذهب إليه محمود يعقوبي في تحليله فإبليس أبى وتعال عن السجود وقد سأله الله عز وجل عن المانع من السجود مع علمه به، ليظهر إبليس عناده وكفره، وافتخاره بأصله وإعجابا بنفسه، لأنه خلق من نار واحتقاره لأصل آدم الذي خلق من طين.

ج-جدال الأنبياء و أقوامهم

وقد جاء هذا الجدال لإظهار عناية الله بعباده الذين نسو نعمه عليهم فتركوا عبادته والعمل بشريعته، وبالتالي أنكروا ألوهيته وعليه أرسل الله

رسله ليعيدوهم إلى عقيدة الله وشريعته، وهذه الدعوة لا تتم إلا بالتنبيه والإقناع مستعينين بتلك القدرات العقلية الفطرية التي يشترك فيها العامة والخاصة، فيلفتون أنظارهم إلى قيمة الشروط التي تتوقف عليها حياتهم، والتي يعملون بها بمقتضى مبدأ العلية الفطري الموجود فيهم[18].

ومثال ذلك جدال نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾هود الآية 25-27. فقد أرسل الله نوحا إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة ربهم فكان ردهم بإنكارهم واعتراضهم عليه.

يرد عليهم نوح بالحجة العظمى وهي الحجة التي أضافها الله عز وجل إلى نفسه في قوله ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾" [19] .فأجاب القرآن على لسان نوح عليه السلام ﴿ ويا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزآئن **الله** ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتيا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال

إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء يما تجرمون﴾ هود الآية 27-35.

د-جدال إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، وكغيره من الأنبياء والرسل واجه اعتراضا لترد عدة أدلة على نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتوجد أدلة وبراهين قاطعة تقوم على أربعة أصول هي" أما الأول فإخبار الأنبياء قبله، ووصفهم له في كتبهم، أما الثاني النظر في قرائن أحواله، أما الثالث فهو الكتاب العزيز، والرابع ما ظهر على يديه من خوارق العادات، وجاء في إخبار الأنبياء السابقين عنه بقدومه ما يلي «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين" فمجيئه من جبل سيناء يعني أن الله أنزل فيه التوراة وكلم عيسى، وإشراقه من جبل ساعير شرق دين المسيح، واستعلانه من جبال فاران أن الله قد بعث محمدا منها وأوحى إليه فيها، فلا اختلاف أن فاران تني مكة وقد قال في التوراة " إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران"[20]. وقد جاء في التوراة أن موسى عليه السلام كليم الله بشر بمحمد عليه الصلاة والسلام بقوله "إن نبيا مثلي سيقيم الرب إلهكم من إخوانكم أبناء إبراهيم، وثبت هذه العبارة أنه محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يأتي نبي

بعد موسى بشريعة كاملة تبين كل الأحكام غير القرآن الكريم...لا يبشر بالنبي فقط، بل ويبين مكان الرسالة، ومباعثها التي تعم مشارق الأرض ومغاربها"[21].

كما جاء في الزبور ترجمة وهب ابن منه، يقول الله لداود عليه السلام في المزمور الخامس: اسمع ما أقول ومر سليمان، فل يقله للناس من بعدك: إن الأرض لي أورثها محمدا وأمته، فهم خلافكم ولم تكن صلاتهم بالطنابير، ولا قدسوني بالأوتار[22].

وأكد محمود يعقوبي من خلال توضيحه لمجالات الحجة القرآنية خاصة تلك التي تتعلق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد خلق على حقيقة بشريته، وكونه بشرا لا ينفي عنه النبوة، وهو ما يدعمه قوله تعالى﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾الكهف الآية 110. ويقول ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ سورة إبراهيم" الآية 10، 11" وقد رد الله على هذين الاعتراضين بحجتين مؤكدا على أن الرسل بشر، لكن لا مانع من إرسالهم لبشر مثلهم، وأن السلطان يكون بإذن الله كرسالة تامة، " أما النوع الثاني فهو استدلال على نبوته بقرائن أحواله حين حملت أمه به قيل لها "إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه

محمدا"، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به بصري من أرض الشام، وقالت أم عثمان الثقفية "حضرت ولادة رسول الله، فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي وولد مختونا"[23] ، أما النوع الثالث فهو الاستدلال على نبوته بالكتاب العزيز قال تعالى ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت الآية 42، وقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الحكيم، فعرضه عليهم وأسمعهم إياه، واستدل على صدقه بذلك، وقال لهم "إن كنتم في شك من صدقي، فائتو بقرآن مثله" وقد عجز قومه عن الإتيان بمثله فقال لهم ﴿ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء الآية 88 . وفي هذا التحدي إحكام لكتاب الله[24]. ليظهر عجزهم بالرغم من أهم الفصحاء والبلغاء، وقد تبينت حجته ووضحت محجته بعجزهم، وغيرها من الأدلة التي ساهمت في توضيح هذا المجال.

هـ-إثبات الألوهية ونفيها

أما عن هذا المجال فيري محمود يعقوبي أنه قد تضافرت العديد من النصوص، وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها يقول عز وجل﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾البقرة الآية 21، وقوله﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾النساء الآية 36 ، كما بين أنه الأساس لوجود الخليقة كما قال تعالى﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾الذاريات الآية 56

وفي موضع آخر يوضح أن عبادته وتوحيده هو القصد من إنزال الكتب الإلهية، يقول المولى تبارك تعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ النحل الآية 02.

وقد وردت العديد من الأدلة في القرآن الكريم التي تنفي الألوهية عن الله في العقائد الفاسدة وأخرى تثبتها، ولعل ما عاناه إبراهيم عليه السلام في بيان فساد عقيدة قومه الذين انتشر السحر بينهم والتنجيم وعبادة الكواكب، لأن حياتهم كانت مرتبة على معارفهم الفلكية، ومبنية على اعتقادهم في تأثير الأجرام السماوية عليهم دليل دامغ يقول الله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتيك فاتبعني أهديك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ مريم الآية 41، 46

فإبراهيم عليه السلام كان بصدد مخاطبة والده بنهيه عن عبادة ما لا ينفعه، مقدما الأدلة العقلية التي تبرهن على بطلان وزيف ما يعبدونه، ليقدم له بديلا وهو التوجه إلى فاطر السماوات والأرض، وهي ركيزة أوجدها الله للتأكيد على فكرة ألوهيته مرشدا إياه إلى طريق بإتباعه له ناهيا إياه عن طاعة الشيطان، لأن طاعته تعني عبادته " ليبين إبراهيم عليه السلام أنه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الإعراض عنها، فوجب

أن لا تحسن عبادها، وهي حجة قائمة على التمييز البديهي بين القادر والعاجز والمستحق للعبادة وغير مستحقها "[25]،في هذه الآيات يتضح لنا كيف استعمل إبراهيم عليه السلام تلك الحجة المقنعة، فمن يغيب لا يستحق الألوهية "وهو تساؤل لا يخرج عن فطرة الإنسان التي تقر بمبدأ العلية ليوسع مجال السببية ويشمل حركة الكواكب المؤلهة ليتبين أنها ليست الفاعلة لحركتها ولا لحركة غيرها بل هي منفعلة بفعل فاعل حكيم[26]. لأن من نعبده ينبغي أن يبقى ساهرا قائما مدبرا لشؤون عباده.

ومن هنا تظهر لنا الجوانب التي استعمل فيها الخطاب القرآني الجدال القائم على الحجة الفطرية، ويعد جدال ابراهيم مع النمرود وكذا جدال موسى مع فرعون دليلين على إنكار ألوهية الإنسان.

يقول الله تعالى في ذلك﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾البقرة الآية 258 . ليتضح من هذا جدال صدور معارضة فاسدة عن النمرود، لأن حقيقة الإحياء والإماتة التي فسرها النمرود غير التي يقصدها إبراهيم، ليبرهن بعدها على ربوبية الله بذكر حجة لا تخرج عن الفطرة الإنسانية التي تقر بمبدأ السببية ليتوسع هذا المجال، فيشمل حركة الكواكب والنظام الذي تسري عليه فيقر أنها ليست فاعلة لحركتها، بل هي منفعلة بفعل فاعل والأكيد أنه ليس النمرود فلا سلطان له على الشمس في طلوعها وغروبها.

و-مجادلة الملحدين ومنكري البعث

تعد مجادلة الملحدين أهم مجالات الحجة الفطرية التي سعي محمود يعقوبي لإيضاحها في حديثه عن منكري وجود الله، والملاحدة لا يؤمنوا بوجود خالق واحد خلق السماوات والأرض، وقد ذكرهم الله تعالى بقوله﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾الجاثية الآية 24، فيزعمون أنهم على الأرض وجودوا عبثا "وأن تولد الأشخاص كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لاقترانات الطبائع، وإذا وقعت تلك الاقترانات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر، حصل الموت، وبالتالي فإن الموجب للحياة والموت هو تأثيرات الطبائع وحركة الأفلاك، فجمعت هذه الطائفة بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة، وقد استعمل القرآن الكريم حجتين فطريتين ضدهم وقد ورد ذكرهما في آيات كثيرة تجتمع كلها في دليلين هما دليل العناية والاختراع"[27] " قال تعالى﴿ ألم نجعل الأرض مهادًا والجبال أوتادًا وخلقناكم أزواجًا جعلنا نؤمكم سباتًا جعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا وجعلنا سراجًا وهاجًا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجًا لنخرج به حبًا ونباتًا وجناتٍ ألفافًا ﴾النبأ الآيات من" 6 - 16 ".

ويرى ابن رشد أن استقراء الكتاب العزيز يظهر تلك الطريقة الشرعية التي أوردها الله في كتابه العزيز، تؤكد هذه الفكرة على الإقرار بوجود الباري فتنحصر هذه الطريقة في جنسين هما: طريق الوقوف على

العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات، وتنبني هذه الطريقة على أصلين أحدهما أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان، أما الأصل الثاني أن هذه الموافقة ضرورية من قبل فاعل القصد لذلك مريد فلا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالإتقان مصادفة [28]. نفس الفكرة نجد أثرها عند محمود يعقوبي، فالأصل في دليل العناية هذا الوارد في هذه الآيات هو كل ما يشاهده الناس من توافق الكائنات الحية بعضها البعض، والموجودات الحية لتلك غير الحية بحيث يستحيل في العقل البشري أن تكون قد حصلت بالمصادفة.

أما الطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾الحج الآية 73، فإن رؤيتنا للأجسام وما يحدث فيها من حياة يجعلنا نعلم قطعا أن هناك موجدا للحياة ومنعما بها. وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها، التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية ومحمية من طرفها، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة [29].

وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع. فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له وصانع لكل ما فيه، وفي هذا

الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي [30]. قال تعالى ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ الأعراف الآية185 ، فالأصل في دليل الاختراع هو كل ما يشاهده الناس من حدوث العناصر الطبيعية الخالية من الحياة والتي إذا جمعناها بنفس النسب التي توجد بها في الكائن الحي، فإن الحياة لا تنبعث فيها، والتي تزول منها الحياة حتى مع بقائها على تركيبتها عند وجود الحياة فيها يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق ﴾ الطارق الآية 6،5 . فهذه الآيات وغيرها تفحم كل من أنكر حقيقة الخالق وتفرده بالألوهية، وتسكت كل من أنكر البعث والنشور، ولا ينكر قوة الجدل القرآني إلا جاحد أو معاند.

يتضح جليا لنا أن الجدل ليس غريبا عن النص القرآني، وهذا ما يظهر في غير ما آية من كتاب الله عز وجل، بل إن قوة الخطاب القرآني مستمدة من قوة تماسكه المنطقي، وحسن جدله وإحكام براهينه، والإيمان البرهاني عند الإنسان المسلم مبني على مدى قوة فهمه للمنطق القرآني والجدل داخله، ويكاد يكون النمط البرهاني في القرآن الكريم أساس تماسك النص، وأساس اقتناع المخالفين له به، ولولا هذا التماسك المنطقي العقلاني لسهل على أعداء الإسلام تفنيد الآيات القرآنية، وتبيين تهافت الخطاب القرآني. فهل يمكن القول بعد هذا بأن مصطلح الإرهاب متجذر في الخطاب القرآني؟

الهوامش

1- أندري لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، مادة المنطق، مج2، ط2، تعريب: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت -باريس، 2001،ص 742.

2- جول تريكو: المنطق الصوري ترجمة محمود يعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992، ص 21

3- محمود يعقوبي: المنطق الفطري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2000، ص 62..

4- أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني الإمام العلامة اللغوي المحدث كان رأسا في الأدب بصيرا بفقه مالك مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق نحويا على طريقة الكوفيين، من تصانيفه: المجمل في فقه اللغة حلية الفقهاء اختلاف النحويين توفي بالري سنة 395هـ

5- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة النطق، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411م ص 440.

6- أبي نصر الفارابي : إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه على بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال للدراسة والنشر، بيروت، 1996، ص 36،37.

7- محمود يعقوبي المنطق الفطري في القران الكريم ، ص ،63 64

8- عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ج1، ط1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، 1999، ص52

9- احمد بن براهيم العثمان: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص29، 37.

10- محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 62

11- محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، 1934، ص 64، 65.

12- أحمد بن عبد السلام الريسوني: التجديد الأصولي نحو صياغة تحديدية لعلم أصول الفقه، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.م.أ، 2014، ص 358 ، 357 .

13- عثمان علي حسن: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ص 404.

14- محمود يعقوبي : المنطق الفطري في القرآن الكريم ، ص 72، 73

15- نقلا عن: عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة، ص 52،54.

16- ابن حنبلي: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، ط1، مؤسسة الريان، لبنان، 1996، ص 31.

17- محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 120

18- محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 50.

19- ابن حنبلي: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ص 53.

20- ابن المزين: إثبات نبوة محمد، تحقيق ودراسة: أحمد آيت بلعيد، د:ط، دار الكتب العلمية، لبنان، د:ت، ص31،34 .

21- محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، مج1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 66.

22- ابن المزين: إثبات نبوة محمد، ص 37.

23- نفسه، ص 52.

24- نفسه، ص 111، 112 .

25- ابن المزين: إثبات نبوة محمد، ص 53.

26- نفسه، ص 52.

27- محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص56.

28- ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 118.

29- نفسه، ص 118 ، 119.

30- نفسه، ص 119.

ثامنا / الدين الإسلامي و أثره في الغرب

"إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات، خالدًا خلود الأبد، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا، بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها"

جورج برنارد شو

"إن محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى و أبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي، برغم قول الكثيرين عنه أن الدين بعيد عن المعاملة؛ إلا أن هذا المفكر ربط الجانبين بعضهما ببعض، وقال أيضا إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخوله أن يعتبر أعظم شخصية أثرت في تاريخ البشرية "

مايكل هارت

" إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدًا وقائدًا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه"

مونتجومري

ثامنا / الدين الإسلامي و أثره في الغرب

استطاعت العقيدة الإسلامية أن تنتشر في المجتمع الغربي بشكل سريع وملفت للانتباه خاصة في زمننا هذا، ذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة محكمة يؤيدها العقل والدين الإسلامي دين يؤيده العلم، وكما نعلم فالمجتمع الغربي مجتمع انتشر فيه التفكير وساد فيه العلم، وهذا ما سمح لهذا المجتمع بعيدا عن السلطة السياسية سمح له بمعرفة حقيقة هذا الدين، وسنعرض انتشار الإسلام في المجتمع الغربي، وفيما يلي بيان بذلك

1/ لماذا أسلموا*؟

مجموعة هائلة قد لا تعد ولا تحصى من العلماء والأدباء والفلاسفة والفنانين ورجال الاعمال أعلنوا إسلامهم، وسنورد قصص إسلام بعضهم

***-ديرك والترموسيج (الالماني) أو سيف الدين ديرك والترموسيج**

ألماني نصراني كاثوليكي كان يحضر نفسه ليكون قسيسا كاثوليكيا، أصابته العناية الإلهية فاهتدى إلى نور الإسلام، وكان ذلك بفضل دراسته الدينية المجردة إلى الإسلام، يقول فيما يقول عن نفسه عثرت على ترجمة القرآن باللغة الإسبانية، ولم يعترض والدي على قراءتي لها في البداية، حيث كان يظن أنها ربما تساعدني على توسيع مداركي لا أكثر ولا أقل، ولم يكن يدري مدى الأثر العميق لكلمات الله في عقلي.

وكنت كاثوليكيا متعصبا عندما بدأت في قراءة القرآن، وأصبحت عند انتهائي منه مسلما على الأصالة، ومن البديهي أن فكرتي عن الإسلام كانت فكرة خاطئة قبل قراءتي للقرآن الكريم، حيث بدأت أقرؤه في تعجب وفي سخرية، متوقعا أن أجد بين طياته أخطاء فاحشة وأفكار كافرة وخرافات زائدة ومتناقضات لا يقبلها العقل السليم ولا يؤيدها العلم المعاصر، لقد كنت متعصبا وأنا في هذه السن الصغيرة، ولكن لحسن حظي لم يكن قلبي غلفا.

ولقد بدأت قراءة سور القرآن على الرغم من صعوبتها على نفسي في البداية، ثم انتهيت وأنا أكثر ما أكون متعطشا لمعرفة الحقيقة.

وفي لحظة من أعظم لحظات عمري شرح الله صدري للإسلام وهداني إلى الصراط المستقيم، وأخرجني من الظلمات إلى النور من المسيحية إلى الإسلام.

اعتراف سيف الدين ديرك وطمأنينته للإسلام يدل على أن الإسلام دين ترحب به النفس السليمة، وتأباه النفس المريضة، حتى وان كانت من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وهو دين ترتاح له النفوس الجميلة وترحب به العقول المفكرة.

***-ماتيس الإنجليزية المسلمة**

هذه السيدة الإنجليزية ظلت مدة تحقد على الإسلام فتهاجمه وتعيبه، ثم اقتنعت أخيرا بصوابه وسموه فأعلنت دخولها فيه وانضواءها تحت لوائه، تروى عن نفسها قائلة لقد فعلت هذا وأنا أشعر بقدر عظيم من الرضا والارتياح، لإدراكي التام أن هذا الإيمان لم ينشأ عن نزوة عاطفية عارضة، بل كان نتيجة لعملية فكرية طويلة امتدت عامين، ثم خلالها تأكدي من أصالة الإسلام وروعة تعاليمه مما جعلني في النهاية أعتنقه وأومن به.

***-السيدة خديجة فيزوي (الإنجليزية)**

سيدة إنجليزية اهتدت إلى الإسلام فآمنت به، لاحظت الفرق الواسع بين الإسلام والمسلمين اليوم، فالإسلام باهر رائع لكن المسلمين حاليا لا يعطون صورة صحيحة للإسلام من عز وعظمة، ولا يجوز في شرعة العدل والإنصاف الحكم على الإسلام من واقع المسلمين، لذلك فهي تحث المسلمين حثا قويا على أن يكونوا عناوين طيبة للإسلام، وأن يكونوا قدرة كريمة أمام الناس تعبر عن الإسلام تعبيرا صادقا في سلوكهم وأعمالهم.

تقول أيضا: إني لا أشك لحظة واحدة في أن الإسلام يمكن أن يكون عاملا فعالا لتحقيق الخير والسلام في العالم إذا ما تحقق المسلمون من أن المبادئ الدينية لا تتعارض مع التقدم المادي، وإذا بدءوا

في بناء صرح حضارة قيمة قائمة على تراث ماضيهم المجيد، بدلا من نقلهم للحضارة المادية الغربية بما فيها من معايير أخلاقية منحلة.

إن كل ما أرجوه أن يضرب المسلمون الذين يزورون بلادنا المثل الطيب؛ حتى يثيروا في نفوس الإنجليز اهتماما وشغفا بالإسلام.

ونفس ما قررته تلك السيدة الإنجليزية المسلمة قرره أيضا ليوبولد وابز، الذي اعتنق الإسلام فيما بعد وتسمى باسم محمد أسد بعد اهتدائه إليه بعد خمس سنوات من القراءة عن الإسلام حتى تمكن نوره من قلبه، فتراه يقول" إن واقع المسلمين اليوم لا يعكس المثل الأعلى الذي يمكن أن تحققه تعاليم الإسلام، إن كل ما في الإسلام من حث على كرم الطبع والاستعداد وبذل النفس والتضحية قد تقلص على أيدي المسلمين المعاصرين إلى ضيق في الأفق والتعود على حياة كلها دعة واستكانة"

***-محمد جون ويستر (الإنجليزي)**

يقول محمد جون ويستر رئيس البعثة الإسلامية الإنجليزية بأستراليا عن سبب إسلامه" من العسير علينا نحن الغربيين أن نتعرف على الإسلام، فمنذ الحروب الصليبية المسيحية ونحن نرى إما إغفالا متعمدا لذكر الإسلام، وإما تحريفا متعمدا وتشويها لحقائقه"

ثم حدث عند إقامتي في أستراليا أن طلبت نسخة من القرآن الكريم من مكتبة (سيدني) العامة، فما أن قرأت مقدمة المترجم حتى

لمست التعصب ضد الإسلام مكشوفا مفضوحا، فلم أتمالك إلا أن أقفل الكتاب وأتركه، ولم أجد عندهم ترجمة للقرآن قام بها المسلمون.

وبعد أسابيع كنت في (بيرت) في غربي أستراليا فعاودت البحث في مكتبتها العامة عن نسخة للقرآن، شريطة أن يكون مترجمها مسلما، ولا أستطيع أن أعبر في كلمات عن مدى تأثري بمجرد تلاوتي الأول سورة فيه سورة الفاتحة بآياتها السبع، ثم قرأت عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقضيت بضع ساعات في المكتبة ذلك اليوم وجدت طلبي وبغيتي وشاء فضل الله أن أكون مسلما مع أنني لم أكن من قبل قد التقيت بمسلم، وفي زيارة ثانية للمكتبة كنت أسائل نفسي أكان حلما ذلك الذي حدث بعد ذلك، أو هو حقيقة واقعة؟.

وكان من المستحيل علي أن أصدق ما حدث، خرجت من المكتبة لأتناول فنجانا من القهوة، وبينما أنا أسير في الطريق إذا ببصري يقع على بناء خلف سور مرتفع من الطوب الأحمر مكتوبا عليه مسجد المسلمين فقلت لنفسي على الفور: أما وقد عرفت الحق فعليك أتباعه على الفور. فأعلنت قولي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وبذلك أصبحت بفضل الله من المسلمين.

***-عبد الله باترسي (الإنجليزي)**

يقول عبد الله باترسي وهو ضابط برتبة رائد بالجيش البريطاني عن سبب إسلامه: كان من عادتي اليومية منذ أكثر من ربع قرن أن أتنزه

فترة في زورق صغير في طرق بورما المائية، وكان بحار الزورق "الشيخ علي" رجلا مسلما من (شيتا تونج) في شرق باكستان، ماهرا في عمله متمسكا بتعاليم دينه مخلصا له حريصا على الصلاة في وقتها بادي التقوى، فلم يكن جديرا باحترامي فحسب، بل مثيرا لاهتمامي كذلك بماهية هذا الدين الذي استطاع السيطرة على هذا الرجل وجعل منه عبدا تقيا.

اشتريت بعض الكتب التي تبحث في تاريخ الإسلام وتعاليمه ودرست ما أمكن من سيرة النبي ، وما حققته من عظائم الأمور، وكنت أحيانا أناقش بعض هذه الأمور مع أصدقائي المسلمين، ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى وكان علي - كما كان على كثير غيري - أن ألتحق بالخدمة في الجيش الهندي في بلاد ما بين النهرين، وأعيش مع العرب الذين بعث فيهم الرسول والذين بلغتهم نزل القرآن، وكانت إقامتي بين هؤلاء الناس حافزا على الاستمرار في الاهتمام بالإسلام وعلى دراسته، فتعلمت اللغة العربية وازددت اتصالا بالمسلمين، فأعجبني حرصهم على عبادة الله، وانتهى بي الأمر إلى أن آمنت أنا كذلك بالله وبوحدانيته على الرغم من أن ترددي على المساجد كان قليلا عندما تضطرني أعمالي الرسمية بصفتي ضابط شرطة، بعد ذلك فقد بقيت حتى ذهبت إلى فلسطين في الفترة بين سنتيي" 1935-1942"، حيث أعلنت رسميا دخولي في دين الإسلام الذي اخترته لنفسي منذ سنوات عديدة.

وكان هذا اليوم من أعظم الأيام في حياتي، كنت في ذلك الحين رئيس أركان الحرب، وكان إعلاني لاعتناق الإسلام سببا في بعض

المضايقات والمشاكل، ومنذ ذلك الوقت عشت حياة المسلمين عقيدة وعملا في مصر وبعدها في باكستان.

وإذا كنت اليوم قادرا على الاعتراف بعظمة الإسلام، وقد استطعت في السنين الأخيرة أن أبذل في سبيل الإشادة بعظمته جهدي ونتاج قلمي وحياتي، فإن الفضل يعود إلى ذلك الرجل البسيط (الملاح) الذي كان في تقواه حافزا لي لأعود إلى الله وإلى الإسلام فإننا جميعا نولد مسلمين، ولكن في ضعف البشرية كنت قد ضللت الطريق.

***-الكتاب والصحفي النمسوي الكبير (ليوبولد فايس)**

في سنة 1922 ترك الكاتب والصحفي الفرنسي "ليوبولد فايس" بلاده متوجها نحو الشرق ليقوم بمجموعة من الرحلات في بعض البلاد الآسيوية والإفريقية؛ ليتفقد أحوالها السياسية والاجتماعية ويجمه تقارير عنها لصالح صحيفة (فرانكفور ترزيتنج) الألمانية. وقد ولد ليوبولد فايس) في مدينة " ليفو" التابعة للنمسا، وهي تابعة الآن إلى بولندا منذ سنة 1900، وبرغم حداثة سنه يوم بدأ بتلك الرحلات، فقد كان يعد واحدا من أوسع الكتاب الأوروبيين وأنفذهم بصيرة وذكاء وأكثرهم تحررا وأشدهم تعطشا للاستزادة من المعرفة، وقد أتاحت له تلك الرحلات المتصلة التي قضاها في الشرق عبر عدة سنوات أن يدرس أحوال المسلمين عن كثب، وأن يدرس عقيدتهم بذهن محرر من قيود التعصب والجمود.

وقد أدهشه منذ البداية ذلك التناقض الظاهر بين أحوال كثير من الشعوب الإسلامية المعاصرة وما تعانيه من تخلف وخضوع للدول المستعمرة، وبين ما كان عليه أسلافهم من رفاهية وقوة منذ بضعة قرون.

ومما زاده دهشة أنه لم يجد في تعاليم الإسلام ذاتها ما يبرر تلك الأحوال المؤسفة، التي تعانيها المجتمعات الإسلامية المغلوبة على أمرها في المستعمرات البريطانية والفرنسية والإيطالية وغيرها من الأقطار المختلفة، فلم يجد في الإسلام ما يدعو إلى التواكل أو الخضوع والاستسلام، ولم يجد في الإسلام ما ينفر من العلم أو يضعف الهمم بل وجد فيه خير داعية إلى التحرر والأخذ بأسباب التقدم والفلاح ولذلك فإنه لم يلبث أن أيقن وبعد دراسات مستفيضة لجوهر الإسلام ولأحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم أن السر فيما تعانيه كثير من الشعوب الإسلامية من التخلف، إنما يرجع إلى جهلها بأحكام دينها وعدم تمسكها بتعاليم هذا الدين، وليس كما يزعم أعداء الإسلام من أن التمسك بأحكامه هو السبب الأول في تأخر هذه الشعوب.

وقد عبر عن رأيه هذا بقوله: إن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر على كل حال في أيامنا الحاضرة بعيدة جدا عن الإمكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام، فإن كل ما كان في الإسلام تقدما وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم أي منذ ربع قرن تراخيا وركودا، وكل ما

كان في الإسلام من قبل كرما وإيثارا أصبح بين المسلمين ضيقا في النظر وحبا للحياة الهنيئة.

ثم أردف يقول: لقد شجعني هذا الاكتشاف ولكن الذي حيرني ذلك التباعد الواضح بين الماضي والحاضر، من أجل ذلك حاولت الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامي، لقد تخيلت نفسي واحدا من الذين يضمهم الإسلام على أن ذلك كان تجربة عقلية بحتة، ولكنه كشف لي في وقت قصير عن الحل الصحيح، لقد تحققت أن ثمة سببا واحدا فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين، ذلك السبب يرجع إلى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئا فشيئا يتركون إتباع روح التعاليم الإسلامية.

وبدأ (ليوبولد فايس) ينظر إلى الشعوب الإسلامية المستضعفة الواقعة في حقل التخلف والاستعمار نظرته إلى أناس مسؤولين عن سوء أحوالهم، ويعتقد أنهم يستطيعون لو أرادوا أن يتخلصوا من أحوالهم هذه، ويستردوا حريتهم ومجدهم ورفاهيتهم لو عملوا كأسلافهم الأول بكتاب الله وسنة نبيه.

وكان لا يكف عن إبداء دهشته لكل من يلقاه من قادة المسلمين وأولي الأمر منهم من تراخيهم في إصلاح أمورهم واسترداد مجد آبائهم ولذلك يقول: كنت كلما زدت فهما لتعاليم الإسلام من ناحيتها الذاتية وعظيم ناحيتها العلمية، ازددت رغبة في التساؤل عما دفع المسلمين إلى

هجر تطبيقها تطبيقا تاما على الحياة الحقيقية، لقد ناقشت هذه المشكلة مع كثير من المسلمين في جميع البلاد ما بين طرابلس الغرب إلى هضبة البامير في الهند، ومن البوسفور إلى بحر العرب، فأصبح ذلك تقريبا شجي في نفسي، طفا في النهاية على سائر أوجه اهتماماتي الثقافية بالعالم الإسلامي، ثم زادت رغبتي في ذلك شدة حتى أني وأنا غير المسلم أصبحت أتكلم إلى المسلمين مشفقا على الإسلام من إهمال المسلمين وتراخيهم.

وحدث يوما أن ناقشت ذلك الموضوع مع أحد رجال الإدارة الشبان في بلاد الأفغان، فلما لمس فيه ذلك الشاب غيرته على الإسلام والمامه بتعاليمه وإيمانه بكمالها وعظمتها وقدرتها على إسعاد البشرية وعلاج مشكلاتها قال له: إنه ما دام يرى هذا الرأي في الإسلام فلا شك أنه في الحقيقة مسلم، وإن كان لا يدري.

وأثرت تلك الكلمات في نفس "ليوبولد فايس" فأطرق صامتا يتأملها وقد أيقن بصدقها، فلا شك أنه ما دام قد آمن بصحة تعاليم الإسلام فإنه في الحقيقة قد أسلم بقلبه ولا ينقصه إلا التعبير العلمي عن ذلك ولهذا فإنه لم يكد يعود إلى أوربا سنة 1938 حتى وجد أن من واجبه أن يكون منطقيا مع نفسه ومع الناس وأن يشهر إسلامه.

وفي كتابه (الإسلام في مفترق الطرق) تحدث عن أسباب اعتناقه الإسلام فقال: يجب أن اعترف بأنني لا أعرف جوابا شافيا لم يكن الذي

جذبني تعليما خاصا من التعاليم، بل ذلك البناء العجيب والمتراص بما لا أستطيع له تفسيرا من تلك التعاليم الأخلاقية، بالإضافة إلى منهاج الحياة الأخلاقية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهواني أكثر من غيرها، إن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ويشد بعضها بعضا، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مترابطة ومتكاملة، هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي، وربما كانت مع هذا كله أيضا مؤثرات أخرى يصعب علي الآن أن أحللها أو اتذكرها.

ثم تحدث عن دراساته عن الإسلام وتاريخه، وما كتبه عنه المنصفون والمغرضون وعن انطباعاته بزيارة الأراضي المقدسة فقال: منذ ذلك الحين سعيت إلى أن أتعلم من الإسلام كل ما أقدر عليه، لقد درست القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لقد درست لغة الإسلام وتاريخ الإسلام، وكثيرا مما كتب عنه أو كتب في الرد عليه وقد قضيت أكثر من خمس سنوات في الحجاز ونجد، وأكثر ذلك في المدينة ليطمئن قلبي بشيء من البيئة الأصلية للدين الذي قام النبي العربي بالدعوة إليه فيها، وبما أن الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الأقطار، فقد تمكنت من المقارنة بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الإسلامي في أيامنا، وهذه الدراسات

والمقارنات خلقت في العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية، لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين محتفظا بحيويته و قوته . وهذا الاعتراف يعني أن القرآن له قوة دفاع ذاتي ناتجة من تماسك نصه وخطابه.

وقد بلغ من تبحره في العلوم الإسلامية أن اختير عند إنشاء دولة الباكستان، ليشغل وظيفة مدير دائرة تجديد الدين في إقليم البنجاب الغربي، ثم صار فيما بعد مندوبا لباكستان في الأمم المتحدة، وقد ألف كتابين هما "الإسلام في مفترق الطرق" الذي ترجمة الدكتور عمر فروخ إلى اللغة العربية سنة 1948 و "الطريق إلى مكة".

كما أصدر مجلة إسلامية شهرية باسم "عرفات"، وشرع في إنجاز ترجمة المعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية.

وسنقدم فيما يلي فقرات من آرائه في الإسلام وأسباب اعتناقه له:

- يختلف إدراك العبادة في الإسلام عما هو في كل دين آخر؛ إذ أن العبادة في الإسلام ليست مقصورة على أعمال الخشوع الخاص كالصلوات والصيام مثلا، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضا، وإذا كانت الغاية من حياتنا على العموم عبادة الله، فيلزمنا حينئذ ضرورة أن ننظر إلى هذه الحياة في مجموع مظاهرها على أنها تبعة أدبية متعددة النواحي وهكذا يجب أن تأتي أعمالنا كلها حتى تلك التي تظهر بسيطة على أنها عبادات يجب أن نأتيها بوعي، وعلى أنها تؤلف جزء من ذلك المنهاج

العالمي الذي أبدعه الله تبارك و تعالى تلك حال ينظر إليها الرجل العادي على أنها مثل أعلى بعيد، ولكن أليس من مقاصد الدين أن تتحقق المثل العليا في الوجود، والواقع ليس من الضروري أن نستشهد بآيات القرآن الكريم أو بأحاديث الرسول للدفاع عن موقف الإسلام من العلم.

- إن التاريخ يبرهن أنه ما من دين أبدا حث على التقدم العلمي كما حث عليه الإسلام، وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي من الدين الإسلامي انتهى إلى ذلك الإنتاج الباهر أيام الأمويين والعباسيين وأيام دولة العرب في الأندلس، وإن أوروبا لتعرف ذلك؛ لأن ثقافتها هي نفسها مدينة للإسلام ولتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس.

- نحن نعد الإسلام أسمى من سائر النظم الحديثة؛ لأنه يشمل الحياة بأسرها، إنه يهتم اهتماما واحدا بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد وبالفرد والمجتمع، إنه لا يهتم فقط بما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى السمو، بل يهتم أيضا بما فيها من قيود طبيعية، إنه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد، وإلى أن نصل مستوى أسمى من الحقيقة حيث لا شقاق ولا عداء بين الرأي وبين العمل.

***-الشاب الفرنسي وصال محمد عبد الكريم**

هو شاب فرنسي اعتنق الإسلام سنة 1963، وكان عمره 19 عاما وهذا الشاب هو وصال محمد عبد الكريم، ويقول عن نفسه أنه يقيم

ببلدة كوندسير سوب بفرنسا: نشأت في قرية بفرنسا ليس بها مسلمون إلا أني منذ كنت صغيرا أحب السماع إلى اللغة العربية وإلى الموسيقى والأغاني العربية، فكنت دائم البحث في الراديو للحصول على محطات عربية، سواء كانت من الدول العربية ذاتها أو من بعض الدول الغربية التي كانت توجه إذاعات عربية، وكنت أجد نفسي شديد الإنصات إلى القرآن الكريم، وكنت لا أعرفه في ذلك الوقت، ولكني كنت أحسبه نوعا من التواشيح التي كنت أسمع عنها، وكنت أشعر بسعادة كبيرة عند سماعه لم أشعر بها في أي وقت آخر، وكانت نفسي تهدأ وأحس بالسعادة، واستمريت على هذه الحالة مدة طويلة، ولكني كنت حريصا أن لا أعلم أحدا من أهلي عن هذه الحالة، وخاصة أني لا أعرف لها سببا.

وفي سنة 1962 حضر إلى بلدتنا شاب عربي يقيم في باريس وهو من المغرب الأقصى لزيارة صديق، فتقابلنا معه كم كانت فرحتي عندما علمت أنه عربي، وبدأت أتحدث معه عن كل ما يجول في نفسي، وما يحدث لي عند سماع القرآن الكريم، فأخبرني بأن ما أسمعه هو كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذت أسأله عدة أسئلة، وطلبت منه أن يشرح لي ديانته، ثم أخذت عنوانه في باريس ووعدته بزيارته وقد تكرر لقائي بهذا الشاب.

وعندما زرت باريس في نهاية العام تقريبا ذهبت لزيارة هذا الصديق، ومن حسن الحظ أنه كان يسكن بجواره جامع باريس، ولقد دهشت عندما رأيت هذا المبنى الضخم وهذا الفن المعماري الأصيل

وطلبت منه إذا كان يستطيع أن يأخذني معه لزيارة هذا المكان فرحب وأخذني معه فزرته ، وأخذت أتجول في قاعاته المختلفة حتى وصلت إلى بيت الصلاة، ورأيت بعض المسلمين يؤدون الصلاة فأحسست بشيء من الرهبة والخوف والاطمئنان والراحة في نفس الوقت، وشعرت بدموعي تبلل خدي، وتعجبت كما تعجب صديقي من حالي حتى طلب مني أن أستريح قليلا، فمكثت في بيت الصلاة ما يقرب من نصف ساعة، وبدأ شعوري بالطمأنينة والراحة يغلب على نفسي، وأحسست بأن شيئا ما يجذبني لمعرفة كل شيء عن هذا الدين.

وخرجت إلى مكتبة الجامع فاشتريت بعض الكتب باللغة الفرنسية عن الإسلام ومصحفا شريفا، وكنت قد تعودت سماع اللغة العربية من الراديو، فكان من السهل علي أن أتعلم اللغة العربية بسرعة من أحد الكتب التي اشتريتها، إلا أنني لم أستطع أن أعيش في بلدتي طويلا فوجدتني أحضر إلى باريس وأن أبحث لنفسي عن سكن قريب للجامع بل ذهبت إلى الجامع وطلبت أن التحق فيه بأي عمل، وكانت سعادتي لا توصف عندما عينت في إدارة الجامع، وعملت مع مديره الدكتور أبو بكر حمزة الذي لم يبخل علي بل ساعدني كثيرا في فهم هذا الدين القيم، وكانت المنة الكبرى من الله في سنة 1963 حيث شهرت إسلامي، ثم كان لا بد لي أن أترك الجامع لأعود إلى بلدتي لأعمل بكل ما أوتيت من قوة وإيمان على نشر هذا الدين الذي يجلب الطمأنينة النفس، والذي يدعو إلى الرشاد وإلى الهدى .

ولقد حضرت اليوم 29 ابريل سنة 1972 وكان من السهل على أن أقنع أصدقائي ومعارفي بهذا الدين، وأحب أن أعلمك بأن هناك عددا كبيرا من الفرنسيين قد أسلموا، وقد من الله عليهم بأن هداهم للإسلام والحقيقة أن الإسلام بأركانه الخمسة، الشهادة بوحدانية الله وأن سيدنا محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت المعمور لمن استطاع، تدعو إلى المحبة والسلام، وتدعم بناء المجتمع الصالح الذي يقوم على الحب والتقدير ويطرد البغض والكراهية.

هذه الاعترافات تقودنا إلى القول بأن العامل المشترك والسر في إسلام هؤلاء يكمن في موافقة الإسلام لصحيح العقل الغربي أو موافقة سلوك المسلم لصريح نصوص الإسلام.

2/ أثر الفقه الإسلامي في القوانين الغربية

كانت الدول الغربية تعيش عصراً مظلماً متأخراً كله عنف واستبداد سياسي، والغلبة فيه للقوي على حساب الضعيف، وانتشر فيه كل أنواع الظلم والقهر، وجاء الفقه الإسلامي ليسلط ضوء الرقي على الفكر القانوني الغربي، وذلك من خلال الأثر الذي تركه الفقه في القوانين الغربية.

أ-وقائع تؤرخ لأثر الفقه الإسلامي[1]

لقد وصل تقليد الشعوب العربية للدول الأوربية درجة الاعتقاد شبه الكامل أن هذه الدول هي مصدر الحضارة والرقي، ونحن بدورنا نريد أن نكشف الغطاء على حقيقة يخفيها المؤرخون وهي أن الدول الغربية كانت تعيش عصراً مظلماً متأخراً وجاء الفقه الإسلامي ليسهم في ترقية الفكر القانوني الغربي، ويظهر ذلك في وقائع تاريخية نذكر منها

1/ أن المذهب المالكي بدأ تطبيقه في الأندلس منذ (711م/93هـ) أدخله زياد بن عبد الرحمن القرطبي وبقي مستخدما في أوروبا حتى (1492م/ 977هـ) أي لمدة 700 سنة.

2/ طوال 700 سنة كان الأوربيون يرسلون طلابهم إلى الدول الإسلامية التي امتدت حروبها حتى شملت جنوب فرنسا ومدن مثل ليون كانوا يرسلونهم لأخذ العلم، وقد تبوأ الفقه الإسلامي مكانة دفع بعض الرجال الحكم إلى إنشاء مجلس استشاري من العلماء المسلمين كما هو الحال مع وليام الثاني (1116م/1184م)، بل وكما أن بعضاً من الناس في يومنا نراهم يتكلمون اللغة الفرنسية والإنجليزية فيما بينهم، فإننا نقول أن

تأثير الحضارة الإسلامية على الدول الأوروبية في القرون السابقة جعلت بعض الملوك يكتبون مراسيمهم باللغة العربية.

وقد انتشرت أحكام الفقه الإسلامي في كافة أنحاء أوروبا على إثر السنوات 700 التي أمضاها المسلمون في هذه القارة، وحتى بعد مغادرة المسلمون لهذه القارة فإنّ أحكام الفقه الإسلامي ظلت مطبقة من طرف الأوروبيون كون أن تنشئتهم كانت عليها فأضحت أعرافاً وتقاليد، بل حتى بعد خروج المسلمون من غرناطة بقي التأثير مستمراً.

ولنذهب معاً إلى أواخر القرن (18) الثامن عشر غزا نابليون بونابرت المغرب العربي، وهناك تعرف على الفقه المالكي، وعند عودته إلى فرنسا وضع القانون المدني الفرنسي في العام 1804م، وهذا القانون مأخوذ 90% من المذهب المالكي، وهذا الرقم ليس عشوائياً بل نتيجة دراسة مقارنة بينهما، وكما أن التأثير وصل إلى دولة المجر التي حكم العثمانيون جزء منها لمدة 150 سنة.

وهذه أمثلة على المسائل التي أخذها القانون الأوروبي من الفقه الإسلامي

. الرضائية في العقود أي أن العقد ينشأ بإيجاب وقبول.

. سن البلوغ 18 سنة.

. الأوراق التجارية لا سيما الشيك.

. عقد الرهن.

. عقد المزارعة.

. الشركة المحدودة المسؤولية.

. القانون البحري الإسلامي: هو مصدر القانون البحري المعاصر، ايجار السفينة، سنة الشحن، مسؤولية الناقل في حالة التلف الناتج عن قوة قاهرة.

ما تم ذكره لا يجهله المؤرخون الغربيون، فمحكمة العدل الدولية اعتبرت في حكمها الصادر بتاريخ 1958/8/23 أن أحكام الشريعة هي احدى الأنظمة القانونية في المجتمع.

وأضاف الغربيون واستكشفوا أمورا عجز عن إيجادها حتى المسلمون أنفسهم مثل: العولمة، الأخلاق، التسامح. لكن الأرضية الأولى كانت الفقه الإسلامي.

ب-دراسات تؤرخ للفلسفة العربية الاسلامية

إنّ أصول الفقه فلسفة إسلامية أصيلة، فقد شاع القول في ربوع القرن التاسع عشر أن الفلسفة اليونانية هي أساس الفلسفة الإسلامية كما يشيع في عصرنا، وتم حصر دائرة الفلسفة الإسلامية في علم المنطق وبين بعض المستشرقين أن الفلسفة الإسلامية نتجت من اتصال بعض الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي وابن رشد وابن سينا (الطائفة التي عرفت بفلاسفة الإسلام) بالفكر اليوناني، وهذه مغالطة فندها المؤرخون المستشرقون، كما فندها بعض المفكرين العرب، ومنهم علي سامي النشار، وهذا ما يظهر في كتابه (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام) إذ بين فيه أن هذا المنهج يحدد تاريخ الفلسفة الإسلامية بإثقال العلم اليوناني فلسفياً كان أو غير فلسفي إلى العالم الإسلامي خلال حركة الترجمة المشهورة في العصر العباسي الثاني، وينفي هذه الدعوى برؤية

يقدمها الشيخ مصطفى عبد الرزاق في أوائل الأربعينيات التي قامت على تلمس نشأة التفكير الفلسفي الإسلامي في كتابات المسلمين أنفسهم في فترة قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية، وقبل أن يتدارسوها دراسةً وافية، وقد وصف سامي النشار هذه الرؤية بأنها تقرر ما كان لدى المسلمين من تفكير خالص صدر من عقولهم، وهو تفكير نسقي كان لهم فيه أيضاً حظ الابتكار[2]، وهذه الرؤية وجهت أنظار الباحثين إلى ناحية جديدة في التفكير الاسلامي اعتبرها بعض الباحثين بعد ذلك الناحية المعبرة عن الحضارة الإسلامية كلها، وهي نظرة قال بها فلاسفة الإسلام أنفسهم حيث نجد ابن رشد الذي اشتغل بعلم الفقه وعلم أصول الفقه، وترك فيه مؤلفات مشهورة بقيمتها العرفية والشرعية (بداية المجتهد ونهاية المقتصد، كتابه الضروري في علم أصول الفقه)، ويرى أن علوم الشرع ليست مجرد علوماً بقيمتها المعرفية، وليست مجرد علوماً تهتم بالتشريع بل هي أكثر من ذلك هي دستور ينظم الفكر والحياة في آن واحد.

من خلال هذه الرؤية يظهر أن علم أصول الفقه يتصل بالفلسفة الإسلامية مباشرة أكثر من غيره في العلوم والطرق الفكرية، يقول مصطفى عبد الرزاق "وعندي أنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شامل لهما، فإنّ علم أصول الفقه المسمى أيضاً علم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول الفقه العقائد الذي هو علم الكلام"[3].

إذن يتبين أن علم أصول الفقه كان بالنسبة للمسلمين بمثابة قانون وفلسفة في التشريع يحرر عقولهم من الجمود ويعززها ويدفعها إلى التفكير والاجتهاد.

وهذه الأدلة من الاجتهاد يصورها كل من ابن عبد البر والجويني في البرهان، وابن حزم، وابن القيم، ولا ننسى الوقائع التاريخية في القضايا الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ وصنفت تباعاً على أنها من قبيل الاجماع حسب المصالح المتعارف عليه بعد ذلك.

ولا ننسى أن الشافعي هو مؤسس الفقه الإسلامي، ومن نتائج هذه الجهود المتعاقبة في فقه الاستنباط لدى الرعيل الأول، ودون اتصاله بالفلسفة اليونانية، ووضع الإمام الشافعي علم أصول الفقه كمادة علمية مستقلة في مصنف خاص، وكان القصد من وراء ذلك رسم مناهج البحث والاستنباط، وكان هذا سببا في وصف مترجميه فيما بعد بفيلسوف الفقه[4].

وكان الناس قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل الفقه، ويعترضون ويستدلون، لكن كان لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة الدلائل الشرعية، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً، وهو بمثابة فلسفة في فهم الشرع وحل مشكلات العصر، وهي فلسفة تعكس روح التفلسف، والنظر العقلي الحر في الفهم العقلي للدّين ولمقاصده التشريعية، هنا لم يكن الشافعي بحاجة لا إلى أرسطو ولا إلى فلاسفة الإغريق في نسج مبادئه العلمية والشرعية، بل كان يهتدي

بخطى الشارع وأصحابه ومن تبعهم من التابعين في استنباطهم للأحكام الشرعية.

ومنه يمكن القول بأن علماء الفقه وأصول الفقه، وعلى رأسهم الشافعي كانوا فلاسفة حق، لكنهم كانوا فلاسفة في ميدانهم الخاص فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم أصول الفقه كنسبة أرسطو طاليس إلى علم المنطق.

ج -مكانة الفقه الإسلامي بين النظم القانونية الغربية

احتل الفقه الإسلامي بين النظم القانونية الغربية مكانة هامة، بل هو بمثابة جوهرة التي تضيء القوانين الغربية بأحكامه وأسسه وقواعده، إنّه منهج حياة، هذا ما جعل الغربيون يعترفون به كمصدر عالمي للتشريع وللقانون، بل حتى أقلام المفكرين الغربيين القانونيين أبت إلاّ أن تكتب وتصور عظمة الفقه الإسلامي.

. الاعتراف بالشريعة الإسلامية كمصير عالمي للتشريع والقانون

قد تنبه علماء القانون في الغرب لعظمة الشريعة الإسلامية ومعرفتها الدقيقة بحاجات المجتمعات منذ وقت بعيد وتلبيتها في ذات الوقت وتوالت كتاباتهم، وقلت صيحاتهم للإشادة بالقوانين المستمدة من الإسلام، فقد تم الاعتراف بالشريعة الإسلامية كمصدر عالمي للتشريع والقانون في عديد من المؤتمرات الدولية العلمية منذ 1932م منها

- القانون المقارن لاهاي عام 1932م.
- مؤتمر لاهاي المنعقد في عام 1937م.
- مؤتمر القانون المقارن في لاهاي عام 1998م.

- المؤتمر الدولي عام 1945 بواشنطن.
- شعبة الحقوق بالمجمع الدولي للقانون المقارن 1951م بباريس.

وقد صدرت عن هذه المؤتمرات قرارات هامة نذكر منها

. اعتبار التشريع الإسلامي مصدراً رابعاً لمقارنة الشرائع.

. إنّ الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الرّوماني أو إلى أي شريعة أخرى وصلاحية الفقه الاسلامي لجميع الأزمنة.

. تمثل الشريعة الإسلامية في القضاء الدولي ومحكمة العدل الدولية.

ولعل أبرز دليل على ظاهر التقدير الكبير الذي بدأ يسود بين فقهاء أوروبا وأمريكيا في العصر الحاضر إشارة الفقيه الفرنسي لامبير إلى ذلك بين، فهو يقر بأنه لا يرجع إلى الشريعة يقصد (الشريعة الإسلامية) ليثبت صحة ما يقول، ففي هذه الشريعة عناصر لو تولتها الصياغة فأحسنت صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول، وفي مسايرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تتلقاها عن الفقه الغربي اليوم، وفي مقدمة هذا نظرية التعسف في استعمال الحق، ونظرية الظروف الطارئة، ونظرية عمل التبعية ومسؤولية عدم التمييز، فإن كل هذه النظريات أساساً من الشريعة الإسلامية لا تحتاج إلى الصياغة والبناء، وقد أقر جوستاف ليون في كتابه حضارة العرب بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية (كان تأثير العرب يقصد المسلمون في الغرب عظيماً وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا). زيادة إلى ما سبق فإنّ هناك الكثير من فقهاء الغرب أقروا بفضل الإسلام على القانون الدولي العام، ومنهم. فيتو ريا وسوارس والبارون مشيل دي توب

أستاذ القانون الدولي بمعهد الدراسات بلاهاي بهولندا، حيث ذكر الكثير من القواعد والأحكام سبق الإسلام بها القانون الدولي وعلى الأخص في نظم الحرب، وأورد وصية أبي بحر لجنوده، وذلك في الجزء الأول من مجموعة دراسات سنة 1926م للأكاديمية القانون الدولي، كما أورد الأوامر التي أصدرها في قرطبة الخليفة الحاكم بن عبد الرحمن في هذا الشأن سنة 963م، أي قبل أن تعمل الكنيسة البابوية للسلام، ومنهم أيضاً المؤرخ (سيديو) في كتابه تاريخ العرب حيث حدد الكثير من فضل الإسلام على الحضارة الغربية، وعلى الأخص في القانون الدولي، وعدد ما ذكره البارون "دي توب" وأضاف وهذه هي مختلف القواعد الشرعية الإسلامية التي عمل بها لتخفيف وطأة الحروب من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر للميلاد، فهي إذن أسبق بأمد طويل على الأفكار والمبادئ القانونية المماثلة، والتي بدأت تشق طريقها من خلال القرن الثالث عشر مما يدل على أثر وتواجد القواعد الإسلامية في القانون الدولي الأوروبي[5].

ومما يدل على أسبقية وأفضلية الشريعة الإسلامية في مجال القانون الدولي عامة والقانون الدولي الإنساني خاصة أن الفقيه المسلم محمد بن الحسن الشيباني أعتبر المؤسس الأول لعلم "قانون الحرب" أي القانون الدولي الإنساني[6]، وتكريماً له فقد أنشئت في ألمانيا جمعية باسمه.

وقد أفاض فقهاء الشريعة الإسلامية في كتب السير وكتب الجهاد في شرح وبيان قواعد، وأحكام القانون الدولي الإنساني الواردة في القرآن

الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدون، ومن تبعهم وسار على نهجهم، فأول هذه القواعد حماية النفس الإنسانية أو حق الحياة، فالإسلام هو الشريعة الوحيدة التي أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أهمية هذا الحق، فقد حرص الإسلام على حفظ النفس الإنسانية وحماها دون غيره من الملل والنحل والقوانين فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿نْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ الآية " 32 سورة المائدة" .

وفي آية أخرى جعل من صفات عبد الله الصالحين انهم لا يقتلون النفس وهذا في قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾الآية " 68 سورة الفرقان ".

د-التشريع الإسلامي بأحكام قانونيين ومفكرين غربيين:

يقول عز وجل في كتابه الكريم ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية" 48سورة المائدة". هذه الآية تبين خصائص القانون الإسلامي، ولكل قانون طبيعته

وسماته وخصائصه التي تميزه عن غيره من القوانين، وهذه السّمات والخصائص تستمد بصفة أصلية من عنصريين:

الأول: شخصية واضعيه والعوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر في سلوكهم، أي القانون يكون حسب واضعيه ومختلف العوامل المؤثرة في ذلك.

والثاني: طبيعة المجتمع الذي ينظم القانون، العلاقة بين أفراده، ويوضع لحفظ أمنه ورعاية مصالحه أي القانون يكون مرآة لطبيعة المجتمع المنظم له.

ومهما ارتقى القانون فإنه لن يكون حلاً أو علاجاً إلاّ بأثر محدود أو فترة معينة، لأن القانون في النهاية موضوع بأيدي بشر، بل إنّ تشكيلته منوطة بعقول البشر القاصرة كل حسب رأيه وهواه وبأفهامهم فقد تتعرض آرائهم لتسلط الهوى، وقد تكون فهومهم محدودة، وهنا تبرز مكانة التشريع الإسلامي الذي هو من صنع خالق البشر الأعلم بأحوالهم، وما فيه صلاحهم وأدرى وأعلم بما تؤول إليه عاقبة أمرهم.

وهذا ما يجعل هذا التشريع ضرباً فريداً معجزاً من التشريعات والقوانين التي لم تعرفها البشرية من قبل ولن تعرفها بعد، إذ لا تتحكم في سنها الآراء ولا تعبث في وجهتها الأهواء.

والجدير بالذكر أنّ هذه الشريعة الإسلامية تجلت في قواعد جوهرية نذكر منها:

- الأسس التي قامت عليها.

- المقاصد والغايات التي استهدفتها لتحقيق العدالة المطلقة بين الناس.
- المصادر المتنوعة التي استمدت أحكامها منها متمثلة في القرآن والسنة فالإجماع والقياس، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وسد الذرائع والعرف.
-الأحكام التي جاءت بها سواءً في القرآن والسنة مباشرة أو ما أستشهد منها باستعمال أصول الفقه وضوابطه، وقواعده الكلية والجزئية التي وضعها الفقهاء المسلمون، مستلهمين الحلول من سوابقهم وسوابق أسلافهم والأنبياء والنظائر، وإذا لم يجدوا في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بغيتهم، وقد اجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد وصنفوا في أصول التقاضي والأحكام والدعاوى ما عجزت سائر الأمم في الإتيان بمثله، بل سبقوا إلى تأصيل النظريات القانونية التي يفاخر القانونيون المعاصرون بتأصيلها وذكروها في كتبهم، وبلغ بهم الشأن العظيم أن كانوا مرجعاً للأوروبيين في المسائل الحقوقية والمعضلات القانونية بحثاً عن كلمة الفضل لدى المسلمين، وفي بينه الأستاذ علي حيدر -رحمه الله- وزير العدلية في الدولة العثمانية والأستاذ بكلية الحقوق ورئيس محكمة النقض وأمين الفتيا بدار الاستفتاء أن بعض الحلول اعتمدت من قبل دول أوروبا في بعض المسائل الغامضة من الشريعة الاسلامية[7].

وقد انتبه فقهاء وفلاسفة القانون العالمي المعاصر إلى إعجاز التشريع الإسلامي، فنضحت مؤلفاتهم بانبهارهم وصرحوا في مؤتمراتهم بعلو كعب الشريعة في المجال التشريعي، والإقرار بأنها السبيل لخلاص

البشرية البائسة من ويلات القانون الوضعي وتبعاته المجحفة **يقول برنارد تشو "الإسلام هو دين الديموقراطية وحرية الفكر وهو دين العقلاء وليس فيما أعرف من الأديان نظام إجماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتقاليد الإسلامية، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملائمة أوجه الحياة المتغيرة وهو صالح لكل العصور... لا بدّ أن تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن، ولو أن محمداً بعث في هذا العصر، وكان له التحكم في هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حل جميع المشاكل العالمية وقاد العالم إلى السعادة والسلام"**[8].

ويقول المستشرق الانجليزي البروفيسور (نويل ج كولسون) أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن "ويصح النظر إلى الشريعة نظام قانوني متطور ويتميز هذا النوع من القوانين السماوية عند مقارنتها بالقوانين المعتمدة على: العقل الإنساني بخاصيتين أساسيتين:

أولهما: إنه ثابت لا يتبدل ومنه فإن معاييره ثابتة ثبوتاً مطلقاً، وليس لأي سلطة قانونية حق تغييرها.

ثانيهما: أنّ الشريعة الإسلامية المنزلة تمثل السمت الموجود لجميع الشعوب على حين أن الاختلاف سيكون هو النتيجة الحتمية لقوانين من العقل الإنساني المتأثر بالظروف المحلية الخاصة والمعبر عن احتياجات مجتمع معين"[9]. ويقصد بالسمت هنا الطريق الواضح الجلي لجميع الشعوب التي تبحث عن العدالة.

ووضح المفكر الفرنسي الشهير ايتان رينيه (1861- 1929م) في كتابه (محمد رسول الله) صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، مهما بلغت درجة التحضر والرقي، ولقد أكد الإسلام منذ الساعة الأولى من ظهوره أنه دين صالح لكل زمان ومكان، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة، بل إنّ التشريع الإسلامي لا تبرز خصائصه العلمية إلاّ حيث يرتقي بالإنسان ولنا في تراث المسلمين الفقهي الغزير، وفي نشوء عشرات المدارس الفقهية في التاريخ الإسلامي حيث اتسعت رفعة العالم الإسلامي، وفي كلية القانون في جامعة هارفارد أشهر الجامعات الأمريكية والعالمية على الإطلاق وضعت الآية رقم 134 من سورة النساء على حائط المدخل الرئيسي للآية موصوفة بأنها من أعظم عبارات العدالة في العالم عبر الأزمان، والآية المعنية هي قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ الآية " 135سورة النساء"[10] .

وهذا خير شاهد ودليل على ذلك حيث كانت الدولة الإسلامية منارة العلم في كافة المجالات -الطبية والنظرية والأدبية-وأقر علماء التاريخ في الشرق والغرب بفضلها على سائر الأمم.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى مقولة المؤرخ الانجليزي جيبون الشهيرة **"إنّ الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً في أحكامها، ومن**

أعظم ملك إلى أقل مملوك، فهي شريعة حيكت على منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين" [11].

هذه جملة من أقوال فلاسفة الفكر الغربي وفقهاء القانون، وهم أهل الاختصاص والخبرة في إعجاز التشريع الإسلامي، وحاجة البشرية الملحة إلى تفعيله في التقنيات المعاصرة، والحق الذي علينا قوله هو أنه مهما حاول الباحثون إبراز جوهرة الشريعة وجوهر إعجازها فلن يستطيعوا أن يوفوا حقها، بل لن يستطيعوا تحصيل ولو قدراً يسيرا من محاسنها.

وعلى ضوء ما سبق الحديث عنه في الفصل الثالث، نستنتج أن الفقه الإسلامي ساهم في تأسيس القوانين الغربية وساهم في ترقية الفكر الغربي.

إنّ الفقه الإسلامي ليس مصدرا عالميا للتشريع وحسب، بل إنه ضرب فريد ومتميز عن التشريعات المعروفة، إذ لم تعرف البشرية مثله من قبل قط.

ورغم تطور العقل الغربي مقارنة بالعقل العربي والإسلامي إلا ان هذا لم يمنعه من اللجوء إلى منظومة الفقه الإسلامي، وهذا يدل على أن الغرب يحكم على تخلف العقل العربي، لكنه لم يحكم على تخلف الدين الإسلامي، وبما أن العقل العربي الإسلامي متخلف، ورغم ذلك يعتمد الغرب على المنظومة القانونية الإسلامية، فهذا يعني أن الغرب يدرك جيداً قيمة التشريع الإسلامي، وهذا ما يفند فكرة الإسلاموفوبيا التي ينادي بها رجال السياسة والعسكريين الغربيين.

الهوامش

*- نقلا عن :محمد عزت الطهطاوي : لماذا اختار هؤلاء الإسلام دينا ؟ دار طيبة للطباعة الجيزة، القاهرة 2005، ص107-120

1- المحامي خليل غصن، أثر الفقه الاسلامي على القوانين الغربية، محاضرة ألقيت في مركز أبو بكر الصديق عام 2007م، ص 1،4

2-علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1119م، ج3، ص21.

3 - مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مكتبة الإسكندرية: مصر، دط: 2010م، ص133.

4- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الاسلامية، دار المشرق: بيروت، ط2: 2000م، 25/7.

5- غوشاف لبون، حضارة العرب، مؤسسة هنداوي، مصر، دط، 2012م، ص31.

6- لويس سديو، خلاصة تاريخ العرب، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، ص16.

7- علي حيدر، درر الاحكام شرح مجلة الاحكام، دار عالم الكتب للطباعة، السعودية، 1463هـ-2003م، مجلد الرابع، ص560.

8 - علي أحمد الجرجاوي، حكمة التشريع فلسفته، دار الفكر، بيروت، ط2: 1424هـ-2003م، ص 26.

9- نويل ج كولسون، في تاريخ التشريع الاسلامي، المؤسسة جامعية، لبنان، دط، 1412هـ-1992م، ص28- 29.

10 - التشريع الاسلامي فى دراسة أعلام الغربين، مجلة الازهر، المجلد 24، الجزء 7، رجب1372هـ-1953م، ص885.

11 - مجلة البيان، العدد324، شعبان 1435هـ يونيو 2014م، ص6.

تاسعا/ التربية على القيم الإسلامية الوسطية وضرورة الخروج من مأزق عولمة خرافة الإسلاموفوبيا

في عصر العولمة علينا أن ندرك جيدا الأمور التالية

. من المؤكد أن الإسلام سينتصر ولاريب...لكن من المؤسف حقا أن لا نساهم في صناعة هذا النصر، ومن الخزي والعار أن تصفنا الأجيال الإسلامية القادمة بشتى أوصاف السفالة والانحطاط.

. علينا أن نعترف كمسلمين بأن أخلاقنا المفارقة لتعاليم الإسلام هي السبب الرئيس في عزوف غيرنا من الملل الأخرى من اعتناق هذا الدين الرباني.

. انسحاب المسلمين من الحضارة وتخليهم عن التفكير وعن الكثير من العلوم فسح المجال لغيرهم من الملل الأخرى لقيادة العالم والتحكم فيه وتسييره وفقا لإرادتهم ومآربهم واصبح المسلمين مجرد أداة.

. أمريكا ستسقط لا محالة لكن المهم أن تقوم الحضارة الإسلامية كبديل لها وإلا فلامعنى لهذا السقوط عندنا.

. العولمة مفادها الأمركة، وكل سلوك صادر عن مسلم ولو كان الدفاع عن نفسه هو سلوك إرهابي في المقابل كل سلوك غربي أمريكي ولو كان استعمارا أو إجراما فهو نشر للديمقراطية والعدالة ببساطة لأن أمريكا تملك القوة.

. الإسلام اليوم بحاجة إلى فقيه يشرع له...وسياسي يحكم به... ومفكر يجادل به وله... وبيولوجي يدافع عنه... وفيزيائي ينصره... وفنان يعرف به... وإعلامي يشهر به...وعسكري يذود عنه.

زروخي الدراجي

تاسعا/ التربية على القيم الإسلامية الوسطية وضرورة الخروج من مأزق عولمة خر افة الإسلاموفوبيا

إن أخطر فكرة على الإسلام والمسلمين هي العولمة التي تحتوي على مخططات خطيرة منها امركة العالم، وتشويه صورة الإسلام عن طريق الإعلام والاقتصاد، فالعولمة تريد للمسلم أن يمسخ ويتذوق بلسان امريكي، ويتخلى عن هويته الإسلامية وبداية الطريق هي نفور الفرد من الإسلام، لذا يجب على المسلم ان يحتوي حركة العولمة عن طريق تفعيل التربية، وسنبين ذلك من خلال تطرقنا للعناصر التالية

1/ العولمة وأهدافها

إذا كان مفهوم التربية في العصور السابقة قد ارتبط بالسلوك البشري مباشرة فإنه مع عصر العولمة تغير ليعكس الانفتاح والتعامل مع الأخر، وانتقلت وظيفة التربية من مجرد توجيه وضبط السلوك إلى تمكين الفرد من احتواء الآخر والتعامل معه ندا للند أو ما يعرف بالندية، واقصد هنا وظيفة التربية في المجتمعات العربية والإسلامية، لأنها المستهدف الأول من الانفتاح العالمي، وقبل أن ندرك حقيقة هذا وجب علينا أن نتعرف على معنى العولمة، وغاياتها بحكم أن غايات العولمة هي التي أفرزت تغير غايات التربية في عصرنا هذا.

والمعنى اللغوي لكلمة عولمة مشتق من الفعل علم، ويعلم، عولمة على وزن فوعله: يقال فوعل الشيء أي جعل له فاعلية وتأثيرا [1] .

والعولمة لغويا هي تعميم الشيء إلى أبعد حد ممكن، وتطبيقه على أوسع نطاق [2]. العولمة هي إكساب الشيء صفة العالمية، وجعل تطبيقه عالميا، والعولمة مصطلح حديث إذ يركز هذا المفهوم على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية [3].

وبدأ مفهوم العولمة يحتل موقعاً أساسياً في العلوم الاجتماعية المعاصرة، ويستخدم في عدد من فروع المعرفة مما جعله أحد المفاهيم التي تستدعي مدخلا تتفاعل فيه فروع المعرفة بشكل متبادل، وصادق لتحليل المجتمع ككل، لأنه يتضمن معظم الظواهر الاجتماعية والاتصالية والثقافية والاقتصادية المعاصرة [4].

وتستخدم مصطلحات كثيرة للتعبير عن مفهوم العولمة منها الكونية والكوكبة والدولية والعالمية وغيرها، غير أن المفهوم الأكثر شيوعاً واستخداماً هو العولمة، وكان أول من أطلقه معرفيا عالم الاجتماع الكندي مارشال ماك لوهان في الستينيات إبان صياغته لمفهوم القرية الكونية)[5].

وتبنى هذه الفكرة بعده بريجنكسي الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي جيمي كارتر، وعمل على أن تقدم أمريكا نموذجا كونيا للحداثة أمريكي القلب والوجه واللسان وانتشرت الحادثة الأمريكية على مستوى العالم بسرعة كبيرة في الأوساط المختلفة، بينما بدأت الإيديولوجية السوفييتية التي اعتمدت منطق الدبلوماسية والشعارات الثقيلة بالاحتقان والضمور يوما بعد آخر.

وتعرف العولمة أيضا على أنها الاتجاه الذي يصبح به العالم نسبيا، كرة اجتماعية بلا حدود أو أنها تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حيث ترتبط الأحداث المتباعدة بطريقة تبدو كما لو كانت تتم في مجتمع واحد.

والعولمة شكل جديد للرأسمالية أحاطت من خلاله العلاقات الرأسمالية كافة الأبعاد والمجالات الإنسانية، وبذلك فإنها ظاهرة تتداخل فيها أمور السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، وتحدث فيها تحولات على مختلف الأصعدة تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان، ودون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة.

تأخذ العولمة أبعاداً كثيرة غير أن التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم كله هو هدفها الأساسي، ويكون ذلك عبر أعمال آليات استراتيجية كالهيمنة والتبعية باعتبارها الأوفى لتحقيق مبدأ التنميط، وبذلك أصبحت العولمة وفق هذا التوجيه تعني السيادة المطلقة ليس لنموذج اقتصادي وحسب، وإنما سيادة النظام الكوني الأمريكي الموحد عبر آلياته وأهدافه التي تؤكد على ذلك يوم بعد يوم [6].

ومنه يمكن القول بأن العولمة تحولت إلى هيمنة سياسية وثقافية واقتصادية، ولن تستطيع نظم التعليم أن تعيش بمنأى عن هذه الهيمنة والعبارة الشهيرة العولمة هي أمركة العالم تجسد المفهوم الحقيقي للعولمة.

ويترتب عن هذا المفهوم للعولمة القائم على الهيمنة تحديات متعددة منها زوال الهوية القومية، حيث يظهر تعارض حاد بين الطرفين، فالتمسك بالهوية والوطن والأمة والخصوصية الثقافية والدينية يقابل العولمة ويقاومها، وهناك أيضاً التحدي الثقافي والحضاري لما قد تفرضه العولمة من أنماط وسلوكيات وثقافة غريبة عن تلك المألوفة مما ينذر بصراع الثقافات والحضارات، وعودة الاستعمار في شكل جديد في ظل انعدام تكافؤ القوى، ومن هنا يمكن القول أن العولمة وفق ما يريد لها المجتمع الغربي هي حوار من زاوية واحدة، زاوية الأقوى بكل ما يحمله مفهوم القوة من معاني، لذا تهدف العولمة الغربية إلى اكتساح المنظومة التربوية للمجتمعات الضعيفة خاصة منها الإسلامية بهدف النيل من ثقافتها وقتل هويتها، ويمكن تلخيص أهداف العولمة في النقاط التالية:

. الوصول إلى سوق عالمي مفتوح بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو قيود مادية أو معازل عرقية أو جنسية أو معنوية أو عاطفية بل إقامة سوق متسع ممتد يشمل العالم كله، ويشمل كل قطاعاته ومؤسساته وأفراده، أي الوصول بالعالم كله إلى أن يصبح كتلة واحدة متكاملة ومتفاعلة، وفي نطاق هذا الهدف يتم احتكار مباشر وغير مباشر بين كافة الأجناس البشرية بموروثهم الحضاري، وثقافتهم المتعددة واختلافهم الفكري، وصهر هذا الاختلاف في بوتقة الوحدة والائتلاف.

. الوصول بالعالم إلى جعله وحدة واحدة مندمجة ومتكتلة سواء من

حيث المصالح والمنافع المشتركة والجماعية أو من حيث الإحساس والشعور بالخطر الواحد الذي يهدد البشرية جميعا أو من حيث أهمية تحقيق الأمن الجماعي بأبعاده الكلية، وعناصره الجزئية الفاعلة فيه وأهمية التصدي لأي خطر يهدد الاستقرار و الأمن العالمي العام، والتعامل معه بجهد وعمل مشترك، وتعاون كامل من الجميع، ويتضمن ذلك القضاء على بؤرة النزاع، ومصادر التوتر وعوامل القلق، ويتم ذلك من خلال زيادة مساحة الفكر المشترك، وإنهاء حالات الصراع وزيادة الاعتمادية المتبادلة بين الشعوب، وتنمية حاجة كل منهما إلى الآخر، وخلق الثقة وجني المكاسب المشتركة، وتتبنى البشرية ثقافة واحدة طبعا هي ثقافة الأقوياء، ويتم الترويج عن طريق وسائل الإعلام الامريكية والغربية وعملائهم من العرب على أن الإسلاميين مصدر قلق، والإسلام مصدر الإرهاب، لذا وجب محاربته وتخويف النص من خطره.

. الوصول إلى شكل من أشكال التجانس العالمي سواء من خلال تقليل

الفوارق في مستويات المعيشة أو في الحدود الدنيا لمتطلبات الحياة أو في حقوق الإنسان، وخاصة أن هذا التجانس لا يكون بالتماثل، ولكنه قائم على التعدد والتنوع وعلى التشكيل الدافع والحافز على الارتقاء والتطور الذي يرتفع بجودة الحياة، ومن ثم تختفي الأحقاد والمطامع، وتزداد المودة والألفة، ويتحول الانتماء و الولاء إلى رابطة إنسانية عامة شاملة

تشمل كل البشر، وتتحول قيمة الحياة معها إلى قيمة الحرية، وقيم العدل وقيم المساواة ظاهريا فقط أما الباطن فهو احتواء الآخر، وتربيته على نسق الدول الغربية المهيمنة، وطبعا سيكون الإسلام في نظر الغرب عدوا للتعايش والتآلف، لذا وجب القضاء عليه حتى يتم تنفيذ مخطط العولمة، وفقا لما تريده أمريكا، ومن ورائها إسرائيل والغرب.

. تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحول بالتدريج إلى لغة

وحيدة للعالم يتم استخدامها وتبادلها سواء بالتخاطب بين البشر، أو بين الحاسبات الالكترونية أو ما بين مراكز تبادل البيانات وتخليق وصناعة المعلومات، و تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على انهاء وجود اللغة العربية الفصحى وتشجيع اللهجات المحلية الدارجة، وسخرت أمريكا لذلك الأموال والاعلام و المفكرين والفن والسينما، والهدف من اندثار العربية وانتشار اللغات اللهجات المحلية الدارجة هو البعد عن الفهم الحقيقي للنص القرآني والحديث النبوي الشريف فتحدث قطيعة بين المسلم و تراثه، ومن ثم يستطيع الغرب تشويه صورة الإسلام عند الفرد المسلم .

. الوصول إلى وحدة الإنسانية جمعاء ويستخدم لتحقيق هذا الهدف

قدر متعاظم من الحراك الحضاري لتأكيد الهوية العالمية، ولتحقيق تحسينات مضافة في الوجدان والضمير الإنساني، وتنمية الإحساس

بوحدة البشر ووحدة الحقوق لكل منهم، سواء ما كان مرتبطا بحق الحياة أو حق الوجود أو حق الاستمرار.

. تعميق الإحساس والشعور العام والمضمون الجوهري بالإنسانية

البشرية، وإزالة كل أشكال التعصب والتمايز العنصري والنوعي، وصولا إلى عالم إنساني بعيدا عن التعصبات، ويروج الغرب إلى أن الإسلام هو دين التعصب والعنصرية، وفي المقابل يوهمون الشعوب بأن أمريكا هي راعي السلام والديمقراطية في العالم.

. نشر رؤية جديدة تكون بمثابة حركة تنوير كبرى توحد طموحات البشر

باختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم تحقق أحلامهم، ومن ثم تصبح الرؤية فاعلة في المنظور البشرى سواء من حيث الضمير أو من حيث الطموحات، وهذه أهداف تبدو سامية، لكنها مجرد آلية للنفاذ واستعمار الشعوب والقضاء على هويتها، خاصة الشعوب العربية الإسلامية، وتستغل المناسبات الرياضية للعبث بالأخلاق الإسلامية وتشجيع العري بحجة أنها منافسات رياضية إنسانية.

2/ خطاب التربية وجدلية الأنا والآخر

يمكن اختصار إشكالية العولمة والتربية في التساؤل التالي: هل الهدف عولمة التربية بهدف انهاء وجود التربية الإسلامية أم تربية العولمة بحيث تصبح إسلامية؟ وبمعنى آخر هل العولمة سوف تنتج تربية خاصة بها لتقضي على الموروث الإسلامي؟ أم أن التربية الإسلامية ينبغي أن تحافظ

على مقوماتها الذاتية، وتستوعب العولمة، والتي تحتم على التربية الإسلامية الاستجابة لها، ويتطلب الشق الثاني معرفة الاستعدادات التي يجب إتباعها لتحصين النفس كنوع من الوقاية أولا، ولما كانت العولمة كالثورة العلمية والمعلوماتية، تتضمن أيضاً توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أنحاء العالم بسرعة الضوء عبر التجارة الإلكترونية والديمقراطية الإلكترونية والتعليم الإلكتروني، وإذا كانت العولمة الاقتصادية تبدو للبعض مكتملة على أرض الواقع فإن العولمة التربوية ليست بنفس القدر من النضج، والعالم بعيد كل البعد عن أن يكون معولما عولمة تربوية، إن عولمة التربية ظاهرة حديثة، وتمر بمرحلة التأسيس الأولي، ولم تبرز بشكل واقعي إلا في التسعينيات، خاصة بعد الضغوط التي بدأت تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية راعية العولمة على بعض الدول وأنظمتها التربوية، لتغيير سياستها التربوية ومناهجها ومحتواها، بما يجعلها تستجيب للمطالب الأمريكية والخريطة الجيو سياسية الجديدة، التي يتم الإعداد لتنفيذها بعد أن اكتمل التخطيط لها.

وإذا كان هناك إجماع على معنى العولمة الاقتصادية فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للعولمة التربوية، حيث لم تتمكن من أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها على أرض الواقع تجليات وتطبيقات العولمة الاقتصادية فالعالم ليس موحداً تربوياً أو ثقافياً كما هو موحد تجارياً ومالياً، كما أن دول العالم التي تتدافع و تتنافس للأخذ بسلع ومنتجات وخدمات العولمة الاقتصادية، تبدو أقل اندفاعاً وإقبالاً وأكثر تردداً وتمهلاً نحو مفاهيم

العولمة التربوية، وكثير من الشعوب خاصة منها الإسلامية غير مطمئنة للعولمة التربوية، وغير واثقة من كيفية التعامل معها، وفي الوقت الذي يبدو فيها العالم ميالاً للانغماس في العولمة الاقتصادية، فإنه يظهر ميلاً للانكماش من العولمة التربوية، فالهدف النهائي للعولمة التربوية هو خلق تربية واحدة، وعالم بلا حدود، وهو ما لم يتحقق، ولا نتوقع أن يتحقق قريباً في ظل وجود استماتة إسلامية ولو أنها غير ممنهجة .

أما بالنسبة لتربية العولمة فتتجلى من خلال محاولات الإصلاح التي بدأت تضطلع بها معظم الأنظمة التربوية في العالم محاولة منها الإبقاء على بعض خصوصياتها من جهة، ومسايرة متطلبات العولمة من جهة أخرى حتى لا يجرفها تيار العولمة.

والغالب أن الاتجاهين الأول والثاني متداخلان، فكما أن للعولمة منهجها وأسلوبها وآلياتها فإن لها محتواها، بما يتضمنه من مكونات فكرية ومادية ولها صيغتها المفروضة، الأمر الذي يتطلب التفكير فيما عسى أن يكون موقع التربية، من أجل مواجهة هذه التحديات، إنه لا يمكن غلق الباب ولا يجب فتحه على مصراعيه، حتى يبقى ما يمكن تنفسه بحرية، وبما يناسب ظروف وقيم وعادات وعقيدة كل مجتمع وفق أولويات ومعايير ينطلق منها الاختيار الحر لكل فرد ولكل دولة.

والنتيجة أن خطاب التربية لا ينبغي أن يعولم، لأن أية عولمة للخطاب التربوي ما هي إلا هيمنة لتربية فئة معينة أو حضارة معينة على فئة أو حضارة أخرى، هذه الهيمنة تستند على آليات من القوة خارج إطار التربية، سواء كانت مستمدة من التكنولوجيا أو من الاقتصاد أو من

القهر السياسي أو غيره، وبمقتضاها يحتوى الآخر الأنا، ويسيطر عليه ليلغي وجوده، وعلى المسلمين اليوم انتاج مناهج تربوية تقودهم للتفاعل مع العولمة والانفتاح على الحداثة الغربية، لكن مؤثرين لا متأثرين، ويجب أن يدرك المسلمون في علم اليوم أن الانغلاق يعتبر انتحارا واختناقا، والانفتاح غير المشروط يعتبر انصهارا في الحضارة الغربية والحل يكمن في تأسيس منظومة تربوية منتجة، تساهم في احتواء العولمة دون الخوف من تأثيراتها السلبية.

ويجب تربية العولمة تربية قادرة على الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية قائمة، وهذا الأمر يتطلب إقامة نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة والتربية، لا تقوم على الهيمنة بل من خلال خلق نوع من الحوار والتكامل والتواصل الفكري، حتى تتلاقى الثقافات بلا تصادم، وأن يكون هناك ندية واحترام للكيانات الصغيرة فيصبح الحجم ليس مقياس التقدير، ولكن بما لدى الكيان من فاعلية وتأثير وعطاء وقدرات مكنونة، إن التربية إنما هي إفراز بيئة بعينها، ومن ثم كان تنوعها باختلاف البيانات التي أفرزها هو تنوع واختلاف يثري الثقافة الإنسانية، ومجرد توحيد هذه الثقافات إنما يحكم على الثقافة الإنسانية بالفناء، ثم يحكم على الإنسانية بالتخلف، فمن حكمة الله أن خلق الناس مختلفين ليكمل بعضهم بعضاً ويثري أحدهم الآخر[7].

ولا شك أن هذا النوع من التربية كفيل بأن يجعل كل أمة تعيش عالمها الراهن بواقعية، ودون تناقضات أو تأزم أو حساسية حيال عقدة النقص أو الخوف بعيداً عن الهيمنة والصراع.

وفي ظل عولمة الخطاب التربوي، وهو ما تسعى إليه أمريكا تتحول العولمة إلى هيمنة دول المركز في ظل منافسة غير عادلة، فالعولمة في مظهرها الخارجي انفتاح وتبادل للثقافات، لكن في باطنها استعمار -وزوال للثقافات الضعيفة أو التي أصابها الضعف نتيجة اكتفاء أهلها بالاستهلاك كالثقافة الإسلامية -وهي سيطرة الأنا الغربي على الآخر الشرقي وإن صح التعبير العربي الإسلامي، فهي خطاب موجه نحو هدف تسطره المجتمعات الغربية القوية بثقافتها ومنتوجها الاقتصادي.

3/ فلسفة للتربية وضرورة تفعيل الخطاب التربوي الإسلامي

نشير من خلال هذا العنصر إلى أن التربية كعلم له أهداف كفلسفة إذ تسعى فلسفة التربية إلى تحديد غايات التربية، وعليها أن تجيب في شأن ذلك عن سؤالين رئيسيين الأول لماذا نعلم ونتعلم؟ والثاني ما مواصفات الإنسان الذي يجب أن تنتجه التربية الإسلامية المنشودة؟ والإجابة عن هذه الإشكالات هي التي ستحدد نمط العلاقة بين الأنا والآخر، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد الغاية الأساسية للتربية الإسلامية في المحافظة على مقومات الإنسان المسلم المتكامل، من حيث البدن والفكر والعواطف والأخلاق، إن هذا المثل الأعلى التربوي نجده في جميع مراحل التاريخ وفي أغلب الأقطار، وقد تحدث عنه رجال السياسة والفلسفة والأخلاق، وأصحاب النظريات والمذاهب التربوية، وكان من المواضيع الأساسية التي اهتم بها الفكر الإنساني والإسلامي منذ أقدم العصور، وربما كان تطبيق هذا المثل الأعلى ناقصا، إلا أنه رغم ذلك كان مثمرا بل

ساهم إلى حد بعيد في وضع العديد من المشاريع التربوية المفيدة للمجتمع.

إن الإنسان الذي يجب أن تعنى التربية الإسلامية بتهذيبه هو على وجه العموم ذلك الإنسان المجرد من حدود الزمان والمكان الذي له افق الكونية والعالمية [8].

والواقع أن غايات الخطاب التربوي لابد أن تكون خاصة وعامة في الوقت نفسه، فإذا اعتبرنا أن الخطاب التربوي مستمد من التراث والتقاليد والعادات أو مفروض فرضا بحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فحينئذ هو ناتج عن حالات خاصة، ومن جهة أخرى فإنه يكتسي طابعا عاما، ذلك أن التربية أصبحت اليوم من المشاريع التي لها أبعاد عالمية، كما أنها تؤثر تأثيرا عميقا على مستقبل البشرية جمعاء.

إن هذه الغايات هي في الواقع تعبير عن بعض المثل العليا، التي تراود عقل الإنسان المعاصر، ومما يدل على وجود غايات مشتركة ما لوحظ من اتفاق بين الشعوب في الاتجاه الإنساني العلمي، وفي تطور الفكر العقلاني، وفي تشجيع الفرد على الخلق والإبداع والشعور بالمسؤولية اتجاه المجتمع، وفي عدم ترجيح جانب من جوانب الشخصية على الآخر على أن اختيار الغايات ليس هو المشكل الأساسي، فالأهم من ذلك أن تتفق الآراء حول تلك الغايات، ومع أنه لا يمكن إنكار الدور الذي تلعبه الاختيارات السياسية والمعطيات التربوية والعلمية في تحديد تلك الغايات، إلا أن الأمر لا يجب أن يترك لمشيئة رجال السياسة أو

الصحافة أو العلماء وحدهم بل ينبغي أن يساهم في تحديد الغايات كذلك المعنيون بالأمر وأولياء أمورهم، إن الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية يتعلق بتلك الاختيارات وبحصول ذلك الاتفاق، فإما أن توجه التربية الإسلامية أنظار الناشئة إلى المستقبل وإلى الماضي، وإما أن يؤول الأمر إلى الجمود، وإما أن توجه الأنظار إلى البحث عن الاستقرار المزيف عن طريق مقاومة التجديد والتغيير، وإما أن تستنهض الهمم من أجل التوصل إلى الاستقرار الصحيح عن طريق مباشرة التقدم[9].

وعموما هناك شبه اتفاق على ثلاث غايات رئيسية للتربية في كل العصور، وتتمثل في اكتساب المعرفة والتكيف مع المجتمع، وتنمية الذات والقدرات الشخصية، وهذا ما يتوجب على المسلمين الاهتمام به، وتحقيقه عن طريق ابداع مناهج خاصة بالتربية، بحيث تعمل هذه المناهج التربوية على إعداد مسلم فعال، ونقصد بالفعالية هنا ذلك الإنسان الذي يجده الناس حيث يريدونه أحسن ما يكون، فإن كان والدا كان أحسن أب، وإن كاب طبيبا كان أحسن طبيب، وإن كان قاضيا كان أفضل قاضي وهكذا، ويكون هذا المسلم منتجا لكل ما هو حضاري ومستقل فكريا وإعلاميا وثقافيا وسياسيا و اقتصاديا، ولا يقتات من بقايا صناعات العالم الغربي، وفيما عدا هذا وفي غياب الإنتاج الإسلامي، وغياب المناهج التربوية الإسلامية الفعالة يبقى المسلم متهم بالإرهاب، لأن القوة تنقصه ووسائل النصرة مفقودة عند أهله، كما يصبح المسلمون فريسة سهلة لرياح العولمة، ويتم توجيههم

في أي ناحية تريد العولمة أقصد الأمركة، والعولمة لا تخشى المسلم المتدين بقدر ما تخشى المتدين المنتج لكل ما هو حضاري.

4/ الخطاب التربوي وتصحيح المسار

والإشكالية التي تواجهنا هنا هل الغايات التي حددتها اليونسكو هي الغايات التي تتبناها الدول العظمى بداية من أمريكا وتسعى إلى تحقيقها فعلا؟ سنعود إلى منطلقنا الأول وهو أن هناك غايات واضحة وظاهرة وغايات مستترة لدى الدول العظمى، فظاهرة العولمة أصبحت كقصر ظاهره فيه الرحمة وباطنه العذاب، بمعنى أن الدول المهيمنة تتبنى شعارات في ظاهرها العدالة والديمقراطية والتربية، لكنها في واقع الأمر وفي نواياها القضاء على خصوصية الآخر من خلال ضرب هويته وإنهائها وستكون آخر مرحلة من مراحل العولمة هي عولمة الخطاب التربوي في حد ذاته، وهو إيذان بزوال الآخر المتمثل خاصة في المجتمع الإسلامي. ولتفادي هذا الأمر وتصحيح المسار والإبقاء على الهوية الإسلامية شامخة يجب على المجتمعات العربية الإسلامية أن تضيف الغايات التالية للخطاب التربوي [10]:

. يجب أن يهدف الخطاب التربوي الإسلامي إلى صنع الإنسان لذاته والاهتمام بالفروق الفردية التي تميز شخصاً عن آخر، بما يحصله من مكاسب فكرية وعملية، والأهم في التربية هو خلق المواطن الصالح من خلال التكيف الجيد مع البيئة والمجتمع المحيط.

. يجب أن يهدف الخطاب التربوي الإسلامي إلى تهذيب الإنسان من الناحية العقلية والخلقية والجسدية والعاطفية والإنسانية، وذلك

بالارتباط مع العديد من العوامل والروابط المحيطة به اجتماعيا وقوميا ووطنيا ودينيا واقتصاديا وسياسيا وعلميا وتقنيا، وهكذا يتم إعداد الفرد للحياة الفعالة في المجتمع، واعداده لحياة أسرية يتفاعل فيها مع الآخرين بنجاح.

. يجب أن يعمل الخطاب التربوي الإسلامي على نقل الأنماط السلوكية للفرد من تعاليم المجتمع وفق تجانس مع احترام التعدد والتنوع، ودون القضاء على الوحدة والانسجام، ونقل التراث الثقافي من الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة بوعي تام، وذلك بتحيين التراث الثقافي والتعديل في مكوناته وفقا لمتطلبات العصر، وإكساب الفرد خبرات اجتماعية نابعة من قيم ومعتقدات ونظم وعادات وتقاليد وسلوك الجماعة التي يعيش فيها، ثم تنوير هذه المعتقدات بالأفكار والمعلومات الحديثة.

. تمكين الفرد من آليات التحديث المعاصر وتجاربه النهضوية التربوية والعلمية والفكرية والنقدية ووسائله التكنولوجية المتطورة ومعارفه وتراثه العالمي.

. لابد أن يعمل الخطاب التربوي الإسلامي على الاستجابة للتحديات المستقبلية والأساليب الذكية من أجل التعامل والاستفادة من العولمة الجديدة واحتوائها.

. الخطاب التربوي الإسلامي يجب أن يكون أداة لقبول الحضارة، لأن أي حضارة لا تستطيع اليوم أن تبقى منعزلة في إحدى زوايا الأرض، فقد حان الوقت لكل حضارة أن تدافع عن نفسها، وأن تتعلم من غيرها

من الحضارات، وأن تكون ذات حركية سريعة التطور والنمو، وإلا فلا مكان لها لمنافسة ومضاهاة غيرها من الحضارات.

. تحدي الانفتاح فالخطاب التربوي الاسلامي مطالب بتطوير سبل الاتصال والتواصل، وتكوين الفرد لاستخدامها والتكيف معها، لأن الانفتاح أصبح أمراً حتميا لابد من التعامل معه، فالانفتاح يساعد على العمل الجماعي، والتنسيق وزيادة الوعي، ونقل التكنولوجيا بصورة أفضل وسهولة أكبر.

. إن من أكبر التحديات التي تواجه مسؤولي وقادة النظم التربوية الاسلامية في القرن الحادي والعشرين تأكيد وتعميق مفاهيم التقارب والتضامن بين الأفراد والجماعات والشعوب، وتمكينهم من امتلاك منظر عالمي، وبلورة مهارات فاعلة تمكنهم من استشراف المستقبل وتبصر بدائل إدارة شؤونه.

. يمكن القول بأن هدف الخطاب التربوي الإسلامي الأساسي هو أنسنة الإنسان، أي جعله مخلوقا إنسانيا يعيش في مجتمع ضمن إطار اجتماعي يحتوي على تقاليد، ونظم وقيم ومعايير وأفكار خاصة به، ينفتح على الأخر دون أن يخشى التغييرات، ودون أن يكون مستبدا بفكرته، ولا مستهينا بها.

والعملية التربوية تكسب الفرد حضارة الماضي، وتمكنه من المشاركة في ممارسة الإنتاج المعاصر، وتهيئته للتطوير وإضافة واختراع وصناعة حضارة المستقبل. إنها عملية تسهم وتشارك وتدفع عجلة الزمن للبقاء إنها تحصيل فرد من تراث الجماعة، وتراث جماعة ينتقل بواسطة فرد.

وتتحول التربية في ظل الخطاب الإسلامي المعاصر إلى وسيلة وهدف وطريقة وغاية، تبدأ مع بدأ الحياة، ولا تنتهي رغم نهاية حياة الأفراد لأنها اجتماعية تخص المجتمع كما تخص كل فرد فيه، هي راية تسلمها الجيل الحاضر من الجيل الماضي، وسيسلمها الجيل الحالي إلى الأجيال القادمة، هي عملية اجتماعية رغم كونها من العلوم التطبيقية، فهي جهد اجتماعي يمارس في المجتمع، ويطبق على مر الأجيال.

. إن وظيفة التربية تكون أساسا في نقل التراث من جيل إلى جيل، وفي اكتساب الخبرات المتزايدة، لتكون أساسا للتطور والنمو وتعديل النظم الاجتماعية المختلفة، وتطويرها كما تعمل التربية على تزويد أفراد المجتمع بالمواقف التي تنمي التفكير لديهم.

والتربية هي مؤسسة الثقافة، التي عن طريقها يمكن تغيير وتجديد وتطوير عقول الأفراد.

. إن اعتبار التفاعل بين القوى الاجتماعية حقيقة المجتمع، والثقافة نتاج هذا التفاعل، يعني ارتكاز كل منهما على حقيقة أخرى هي وجود قوة يملكها الأفراد، بحكم وجودهم الاجتماعي والثقافي، وتحقق لهم استمرار هذا التفاعل، وتضمن لهم كذلك الإفادة من هذا النتاج بعد تمثلهم له واستيعابهم لعناصره في دفع أسباب حياتهم الثقافية والاجتماعية.

وهذه القوة هي التربية التي وإن دلت على شيء، فإنها تدل على استعداد الفرد اللامتناهي للتغير والتشكل، وعلى قدرته في أن يغير هو نفسه بما تغير به في أسلوب حياته، وأساليب حياة مجتمعه وأنماط ثقافته.

وكذلك قدرته على تشخيص المحيط الثقافي الذي ينتمي إليه، وتبيين ما فيه من عناصر قوة وضعف، والتمييز بينها وتوجيهها وصولا إلى مستوى أفضل لهذا المحيط بمستوياته المختلفة المتعددة.

وإذا ما أخذت هذه النقاط في الحسبان من قبل المجتمعات العربية الإسلامية أمكنها التصدي للعولمة، وتربيتها وفق نسقنا الاسلامي وليس العكس، كما تتيح للفرد إمكانية التفتح على الآخر بكل قوة دون أن يخشى الانصهار فيه، وتبقى المناهج التربوية العربية والإسلامية لحد الآن بعيدة كل البعد عن هذه الأهداف، لذا اتهم أهلها بالعنف والإرهاب والعجز العقلي والتخلف.

لقد ساهمت العولمة في ترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا في أذهان الناس سواء من المسلمين أو من غيرهم، وتغيير هذا الأمر يتطلب من المجتمعات الإسلامية تبني فلسفة تربوية هادفة وعميقة، وتأسيس مناهج تهيكل الفرد، وتمنحه قدرة التفاعل مع العولمة وترويضها، كما تمنحه وسائل المواجهة والندية، لإحباط مخطط العولمة من خلال تبني سياسة الإنتاج وخصوصية الثقافة، ومن خلال الانفتاح على الآخر دون التخلي عن التراث، ويكون الانفتاح ايجابيا بالتأثير لا بالتأثر بالإنتاج لا بالاستهلاك، بالجدل والبرهان ودون اقصاء الغير.

ويجب أن ندرك جيدا وجيدا بأن انسحاب المسلمين من الإنتاج الحضاري، وتخليهم عن التفكير وعن الكثير من العلوم فسح المجال لغيرهم من أهل الملل الأخرى لقيادة العالم، والتحكم فيه وتسييره وفقا لإرادتهم ومآربهم، وهذا الخطأ المرتكب من المسلمين في حق

الإسلام قد لا يقل جرما عما ترتكبه أمريكا وحلفائها في حق الدين الإسلامي.

الهوامش

1- زروخي الدراجي ، الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ط1 غرداية، دار صبحي للطباعة والنشر، 2015، ص65

2- تومي عبد القادر، العولمة من الاقتصاد إلى الايديولوجيا ، ط1 الجزائر، الحكمة للنشر والتوزيع . الجزائر. 2009، ص19

3 -البنا فؤاد، العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري و رياح العولمة ، ط1، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية . 2006، ص231

4- عبد الله قلي: غايات التربية في ضوء العولمة، مجلة التربية و الابستمولوجيا، مخبر التربية و الابستمولوجيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة .الجزائر، العدد الاول، 2011، ص 20

5- حسن أحمد غلاب، في التربية والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة ط1، القاهرة، دار الفكر العربي. 2002، ص147

6- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة ، ط1، الكويت. منشورات دار الثقافة. 1985، ص57

7- مصطفى عبد الغني، المثقف العربي والعولمة، القاهرة، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2000، ص89

8-عبد الله قلي: غايات التربية في ضوء العولمة، ، ص 17

9- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، ط1 الكويت. منشورات دار الثقافة. 2001، ص157

10 -البنا فؤاد، العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري و رياح العولمة ، ط1، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية . 2006، ص231

لفت انتباه

نتائج الحرب العالمية الثانية

دمرت مدنا بكاملها وأحدثت خسائر بشرية كبرى، فقد استعملت في الحرب مدافع ثقيلة وقنابل بكثافة حيث بلغ ضحايا الحرب (قتلى، جرحى، مشردين) أكثر من 80 مليون نسمة وأدت بالتالي إلى نقص كبير في اليد العاملة وتدني الولادات وتغيير هرم الأعمار للدول. أما الآثار الاقتصادية فتتمثل في تراجع القوة الاقتصادية لأوروبا المدمرة لصالح الولايات المتحدة فكثرت مديونيتها، وانخفضت قيمة عملاتها وارتفعت أسعار السلع فيها وذلك نتيجة تحطم البنية الإنتاجية من طرق مواصلات وأراض زراعية.

في نهاية الحرب، كان هناك ملايين اللاجئين المشردين، انهار الاقتصاد الأوروبي ودمر 70% من البنية التحتية الصناعية فيها.

طلب المنتصرون في الشرق أن تدفع لهم تعويضات من قبل الأمم التي هُزمت، وفي معاهدة السلام في باريس عام 1947، دفعت الدول التي عادت الاتحاد السوفييتي وهي المجر، فنلندا ورومانيا 300 مليون دولار أمريكي (بسعر الدولار لعام 1938) للاتحاد السوفييتي. وطلب من إيطاليا أن تدفع 360 مليون دولار تقاسمتها وبشكل رئيس اليونان ويوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي.

على عكس ما حدث في الحرب العالمية الأولى، فإن المنتصرين في المعسكر الغربي لم يطالبوا بتعويضات من الأمم المهزومة. ولكن على العكس، فإن خطة التي أنشأها وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال، سميت "برنامج التعافي الأوروبي" والمشهور بمشروع مارشال، وطلب من الكونغرس الأمريكي أن يوظف مليار دولار لإعادة إعمار أوروبا، وذلك كجزء من الجهود لإعادة بناء الرأسمالية العالمية.

تم إنشاء هيئة الأمم المتحدة كنتيجة مباشرة للحرب العالمية الثانية، الأمر الذي أدى إلى سيطرة جديدة على العالم من جهة الدول المنتصرة على الشعوب الأخرى المنهزمة منها والضعيفة. طبعا الإسلام لم يكن حاضرا في هذه الحرب وإلا كان متهما بها.

هذا هو الغرب الذي يتهم الإسلام بالإرهاب، وهذه هي الديمقراطية التي يتغنى بها ولأجلها يعد ترسانة نووية لا مثيل لها؟

فاعتبروا يا أولي الأبصار

خاتمة

خاتمة

يمكن القول في النهاية بأن الإسلاموفوبيا مجرد أغلوطة، فالتاريخ يشهد بأن الغرب هو صاحب العمليات الإجرامية، وهناك العديد من الوقائع التي تؤكد ذلك، وما تفعله الترسانة العسكرية الأمريكية من جرائم خير شاهد على هذا، وبعدما كان للإسلام فضل على العالم أصبح اليوم متهما بصناعة الإرهاب، وتدهورت علاقات المسلمين مع غيرهم، واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل حركة العولمة أن تغير المفاهيم في الاذهان وأن تشوه التصورات في العقول، وبدلا من أن يشيع مصطلح عالمية الإسلام ظهر مصطلح العولمة مصاحبا بكونية الثقافة الامريكية وتعنيف العقيدة الإسلامية، وفق مخطط أمريكي غربي محكم سخرت له كل الإمكانيات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفنية والإعلامية.

إلا أن الإسلام يبقى دين العفو والصفح والرأفة والرحمة، بالرغم من الصورة السلبية التي يروج لها الغرب، ذلك أن ساسة الغرب يعرفون حقيقة وجوهر الدين الإسلامي الحنيف، كما هم متيقنون بأنه سيصبح مستقبلا دينا كونيا لا محالة، والكثير من الشواهد تؤكد على ذلك. وهذا ما نلمسه من خلال تحليل بودريار للعالم سياسيا أو حتى من اعترافات روجي غارودي الذي أكد كونية هذا الدين واكتساحه لأوروبا في القرون القادمة، وهو عين ما ذهب إليه أيضا الفيلسوف الإرلندي برنارد شو.

ويجب أن ينتبه المسلمون في اصقاع العالم إلى أن الغرض من ظاهرة الإسلاموفوبيا هو تشويه الإسلام، والتأثير على الرأي العالمي من خلال

ترسيخ فكرة تجذر مصطلح الإرهاب في الدين الإسلامي، وعلينا أن ننتبه جيدا إلى أن العولمة مفادها الأمركة، وكل سلوك صادر عن مسلم ولو كان الدفاع عن نفسه هو سلوك إرهابي، وفي المقابل كل سلوك غربي أمريكي ولو كان استعمارا أو اجراما فهو نشر للديمقراطية والعدالة.

وثمة تحولات فكرية للغرب ساهمت بشكل أو بآخر في الوضع الذي آلت إليه الأمة العربية الإسلامية الآن، وذلك من خلال الحلقات المتتالية للحروب بداية من الصراع الديني، والذي تمثل في الحروب الصليبية بين المسلمين والاوربيين، ثم النهضة الاوربية التي ساهمت في تغير ملامح أوروبا، والسير بفضلها الى التطور والازدهار، ثم حرب الثلاثين عام بين المسيحيين، ونقصد المذاهب الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي، ثم الحربين العالميتين الاولى والثانية، التي شكلت كارثة عالمية، وكادت أن تنهي حياة الكثير من المجتمعات، وساهمت في تقسيم العالم إلى قطبين يسعى كل منها للتفرد بالزعامة العالمية، وهما الاتحاد السوفياتي والو.م.أ لتكون السيطرة أمريكية، والتي كانت نعمة على بعض الدول ونقمة على أغلب الدول الأخرى، ومن أهم الدول التي عانت من السيطرة الامريكية دول العالم الثالث، والتي هيمنت عليها أمريكا واستعلنت ثرواتها، وعملت أمريكا على نشر ثقافتها وعولمتها في هذه الدول خاصة، كما حاولت ابادة الاسلام باعتباره منافسا لها واخطر من سيواجه المستقبل الغربي، لذلك خلقت الذرائع لتتهم الإسلام بالعنف والتطرف ونشر الفساد، فحاولت تدمير الدول الإسلامية، وتفريقها بصورة مباشرة وبأبشع الصور.

وعلينا أن نعترف كمسلمين بأن أخلاقنا المفارقة لتعاليم الإسلام هي السبب الرئيس في عزوف غيرنا من الملل الأخرى عن اعتناق هذا الدين الرباني، وانسحاب المسلمين من الحضارة وتخليهم عن التفكير، وعن الكثير من العلوم، فسح المجال لغيرهم من الملل الأخرى لقيادة العالم والتحكم فيه، وتسييره وفقا لإرادتهم ومآربهم، وبتخاذلنا أصبحنا أداة من أدوات العولمة، وانسحبنا من صناعة التاريخ وصناعة الحضارة، فخربنا بيوتنا بأيدينا، وجعلنا من أنفسنا عبيدا بعدما كنا سادة على العالم.

ولا مخرج لنا من الاتهامات الموجهة إلينا كمسلمين إلا من خلال تجديد الخطاب التربوي الإسلامي، بحيث ينتج هذا الخطاب إنسانا فعالا متفتحا له نصيب من الفكر والعلم والدين، ويعي ويدرك جيدا بأن الزهد في الدنيا لا يكون إلا بعد امتلاكها، وإحكام القبضة عليها، وتسخيرها للحق، وأن يساهم في الإنتاج الحضاري ليكون سيدا لا عبدا.

.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ص5

أولا/ ماهية الإسلاموفوبيا

1/ حول مصطلح الإسلاموفوبيا..... ص11

2/ارهاصات نشأة الإسلاموفوبيا..... ص18

3/أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا ص24

ثانيا/ رؤى ومواقف حول الإسلاموفوبيا

1/المنظور الفلسفي للإسلاموفوبيا ص31

2/ المنظور الاجتماعي للإسلاموفوبيا ص41

3/ الإسلاموفوبيا والاجتهاد السياسي ص43

4/انعكاسات الإسلاموفوبيا على الإسلام والمسلمين ص45

ثالثا/ الفكر السياسي عند ابن تيمية وأغلوطة التنظيمات الجهادية

1/ تعريف الخطاب ص60

2/ حول مفهوم السياسة..... ص62

3/الفكر السياسي عند ابن تيمية ص68

4/المفارقة بين الفكر السياسي عند ابن تيمية والفكر السياسي عند تنظيم الدولة الإسلامية..... ص75

رابعا/ قراءة جون بودريار للسياسة العالمية وتصدع مصطلح الإسلاموفوبيا

1/ السياسة الردعية للنظام العولمي ص92

2/السياسة الاستهلاكية للنظام الرأسمالي ودورها الإرهابي ص99

3/ النظام العلاماتي الاستهلاكي ص104

4/ السياسة الزيفية للنظام الإعلامي..... ص106

خامسا / العالم الغربي ومحاولات تزييف الدين الإسلامي

1/ التحولات الفكرية والتطور العلمي للغرب..... ص120

2/التطور العلمي وبروز الفكرة الليبرالية ص128
3/التسلط الأمريكي على العالم..... ص132
4/ العولمة ومحاولة أمركة العالم ص138
5/ أغلوطة الإسلاموفوبيا والمفارقة الإجرامية ص139
6/ واقع المجتمع العربي وحقيقته ص146

سادسا /كونية وعالمية الإسلام

1/الإسلام وثقافة المعاملة ص168
2/الإسلام دين الوسطية والاعتدال ص170
3/الإسلام دين محاسن القيم ومكارم الأخلاق ص172
4/الإسلام دين عفو وصفح ص173
5/كونية الإسلام ص176

سابعا/ القرآن الكريم كتاب جدل وبرهان

1/تعريف المنطق..... ص 184
2/ الجدل في القرآن الكريم ص187
3/طرق الاستدلال القرآني..... ص190
4-مجالات الحجة القرآنية ص193

ثامنا / الدين الإسلامي و أثره في الغرب

1/ لماذا أسلموا؟ ص209
2/ أثر الفقه الإسلامي في القوانين الغربية..... ص225

تاسعا/ الخروج من مأزق عولمة خر افة الإسلاموفوبيا

1/ العولمة وأهدافها ص241
2/ خطاب التربية وجدلية الأنا والآخر ص247
3/ فلسفة للتربية وضرورة تفعيل الخطاب التربوي الإسلامي ص251
4/ الخطاب التربوي وتصحيح المسار ص254
لفت انتباه ص260
خاتمة ص262
فهرس المحتويات ص266